السيرة النبوية

للامام أبى الفداء إسماعيل بن كثير

701 - 774 ه

تحقيق مصطفى عبدالواحد

الجزء الثالث

1293 ه = 1976 م

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثلاث من الهجرة

في أولها كانت غزوة نجد ويقال لها غزوة ذى أمر .

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق أقام

بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريبا منها ، ثم غزا نجدا يريد غطفان ، وهى غزوة

ذى أمر (1) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عثمان بن عفان .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صفرا كله ، أو قريبا من ذلك ، ثم رجع ولم

يلق كيدا .

وقال الواقدى : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا من غطفان من بنى ثعلبة

ابن محارب تجمعوا بذى أمر يريدون حربه ، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس

لثنتى عشرة خلت من ربيع الاول سنة ثلاث ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ،

فغاب أحد عشر يوما ، وكان معه أربعمائة وخمسون رجلا .

وهربت منه الاعراب في رؤس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فعسكر به ،

وأصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل تحت شجرة هناك

ونشر ثيابه لتجف ، وذلك بمرأى من المشركين ، واشتغل المشركون في شئونهم .

* (هامش) * (1) ذو أمر : موضع من ديار غطفان . وقال ابن سعد : بناحية النخيل . ـ * ـ

ـ 4 ـ

فبعث المشركون رجلا شجاعامنهم يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن

الحارث فقالوا : قد أمكنك الله من قتل محمد .

فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيف ، حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالسيف مشهورا ، فقال : يا محمد من يمنعك منى اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل في صدره

فوقع السيف من يده .

فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من يمنعك منى ؟ قال : لا أحد ،

وأنا أشهد أن لا إله الله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، والله لا أكثر عليك جمعا أبدا .

فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه .

فلما رجع إلى أصحابه فقالوا : ويلك ، مالك ؟ فقال : نظرت إلى رجل طويل فدفع

في صدرى فوقعت لظهرى فعرفت أنه ملك ، وشهدت أن محمدا رسول الله ، والله

لا أكثر عليه جمعا . وجعل يدعو قومه إلى الاسلام .

قال : ونزل في ذلك قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم

إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم (1) " الآية .

قال البيهقى : وسيأتى في غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه ، فعلهما قصتان .

قلت : إن كانت هذه محفوظة فهى غيرها قطعا ، لان ذلك الرجل اسمه غورث

ابن الحارث أيضا لم يسلم بل استمر على دينه ، ولم يكن عاهد النبى صلى الله عليه وسلم

ألا يقاتله . والله أعلم .

غزوة الفرع من بحران

قال ابن إسحاق : فأقام بالمدينة ربيعا الاول كله أو إلا قليلا منه ثم غدا (2)

* (هامش) * (1) سورة المائدة 11 . (2) ابن هشام : ثم غزا . ـ *ـ

ـ 5 ـ

يريد قريشا ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بحران (1) ، وهو معدن بالحجاز من ناحية الفرغ (2) .

وقال الواقدى : إنما كانت غيبته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام . فالله أعلم .

خبر يهود بنى قينقاع من أهل المدينة

وقد زعم الواقدى أنها كانت في يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من

الهجرة . فالله أعلم .

وهم المرادون بقوله تعالى : " كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم

عذاب أليم " (3) .

قال ابن إسحاق : وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمر بنى قينقاع .

قال : وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم في سوقهم ثم

قال : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا ، فإنكم قد

عرفتم أنى بنى مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم .

فقالوا : يا محمد إنك ترى أنا قومك ؟ ! لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم

بالحرب فأصبت منهم فرصة ، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

قال ابن إسحاق : فحدثنى مولى لزيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، وعن عكرمة ،

عن ابن عباس قال : ما نزلت هؤلاء الآيات إلا فيها : " قل للذين كفروا ستغلبون

وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فئتين التقيا " يعنى أصحاب بدر

* (هامش) * (1) بحران : بضم الباء وفتحها وهى أول قرية مارت اسماعيل وأمه التمر بمكة .

(2) الفرع : بضم الفاء والراء وفى المواهب بفتحهما . (3) سورة الحشر 15 . ـ * ـ

ـ 6 ـ

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش : " فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى

كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة

لاولى الابصار (1) " .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن بنى قينقاع كانوا أول يهود

نقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

قال ابن هشام : فذكر عبدالله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبى عون

، قال : كان ـ من (2) ـ أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته

بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها

فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها

فضحكوا بها ، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا ،

فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب (2)

المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال : فحاصرهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه .

فقام إليه عبدالله بن أبى بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال : يا محمد أحسن

في موالى . وكانوا حلفاء الخزرج . قال : فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فقال : يا محمد أحسن في موالى فأعرض عنه . قال : فأدخل يده في جيب درع النبى صلى

الله عليه وسلم . قال ابن هشام : وكان يقال لها ذات الفضول . فقال له رسول الله صلى الله

* (هامش) * (1) سورة آل عمران 13 . (2) من ابن هشام . (3) ابن هشام : فغضب . ـ *ـ

ـ 7 ـ

عليه وسلم : أرسلنى . وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللا ثم

قال : ويحك أرسلنى .

قال : لا والله أرسلك حتى تحسن في موالى ، أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع قد

منعونى من الاحمر والاسود ، تحصدهم في غداة واحدة ! إنى والله امرؤ أخشى الدوائر .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في محاصرته إياهم أبا لبابة

بشير بن عبدالمنذر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشر ليلة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى ، عن عبادة بن الوليد ، عن عبادة بن الصامت

قال : لما حربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبث بأمرهم عبدالله بن أبى

وقام دونهم ، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من

بنى عوف له من حلفهم مثل الذى لهم من عبدالله بن أبى ، فخلعهم إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : يا رسول الله أتولى

الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم .

قال : وفيه وفى عبدالله بن أبى نزلت الآيات من المائدة : " يا أيها الذين آمنوا

لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض " الآيات حتى قوله : " فترى

الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة " يعنى عبدالله

ابن أبى إلى قوله " ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون "

يعنى عبادة بن الصامت . وقد تكلمنا على ذلك في التفسير .

سرية زيد بن حارثة

إلى عير قريش (1) صحبة أبى سفيان أيضا ، وقيل صحبة صفوان

قال يونس بن (2) بكير ، عن ابن إسحاق : وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثها أن قريشا خافوا طريقهم التى كانوا يسلكون

إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار

فيهم أبوسفيان ومعه فضة كثيرة ، وهى عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلا من بكر بن

وائل يقال له فرات بن حيان ، يعنى العجلى حليف بنى سهم ، ليدلهم على تلك الطريق .

قال ابن إسحاق : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، فلقيهم على

ماء يقال له القردة (3) ، فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول

الله صلى الله عليه وسلم .

فقال في ذلك حسان بن ثابت :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها * جلاد كأفواه المخاض الاوارك (4)

بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم * وأنصاره حقا وأيدى الملائك

إذا سلكت للغور من بطن عالج * فقولا لها ليس الطريق هنالك (5)

قال ابن هشام : وهذه القصيدة في أبيات لحسان ، وقد أجابه فيها أبوسفيان

ابن الحارث .

وقال الواقدى : كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهل جمادى الاولى

على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة ، وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية .

* (هامش) * (1) ابن هشام : إلى القردة . (2) الاصل : عن بكير . وهو تحريف (3) القردة : ماء من مياه نجد .

(4) الفلجات جمع فلجة ، وهى النهر الصغير . وقال السهيلى : الفلجات جمع فلج وهو العين الجارية .

قال : والمخاض : واحدتها خلفة من غير لفظها ، وهل الحامل ، وقد قيل في والواحد : ما خض . والاوارك :

التى رعت الاراك واشتكت من أكله . (5) الغور : ما انخفض من الارض . وعالج : موضع كثير الرمل . ـ * ـ

ـ 9 ـ

وكان سبب بعثه زيد بن حارثة أن نعيم بن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير

وهو على دين قومه ، واجتمع بكنانة بنأبى الحقيقفى بنى النضير ومعهم سليط ابن

النعمان من أسلم ، فشربوا ، وكان ذلك قبل أن تحرم الخمر ، فتحدث بقضية العير نعيم بن

مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الاموال ، فخرج سليط من ساعته فأعلم

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم فأخذووا الاموال

وأعجزهم الرجال ، وإنما أسروا رجلا أو رجلين ، وقدموا بالعير فحمسها رسول الله

صلى الله عليه وسلم فبلغ خمسها عشرين ألفا ، وقسم أربعة أخماسها على السرية . وكان

فيمن أسر الدليل فرات بن حيان ، فأسلم . رضى اله عنه .

قال ابن جرير : وزعم الواقدى أن في ربيع من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان

أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخلت عليه في جمادى الآخرة منها .

مقتل كعب بن الاشرف اليهودى

وكان من بنى طئ ، ثم أحد بنى نبهان ولكن أمه من بنى النضير .

هكذا ذكره ابن إسحاق قبل جلاء بنى النضير ، وذكره البخارى والبيهقى بعد

قصة بنى النضير ، والصحيح ما ذكره ابن إسحاق ، لما سيأتى ، فإن بنى النضير إنما كان

أمرها بعد وقعة أحد ، وفى محاصرتهم حرمت الخمر كما سنبينه بطريقة إن شاء الله .

قال البخارى في صحيحة : " قتل كعب بن الاشرف " حدثنا على بن عبدالله ،

حدثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابر بن عبدالله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : من لكعب من الاشرف ؟ فإنه قد آذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة

فقال : يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال : نعم . قال : فأذن لى أن أقول شيئا .

قال : قل .

فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقة وإنه قد عنانا (1) وإنى قد

أتيتك أستسلفك . قال : وأيضا والله لتملنه .

قال : إنا قد اتبعناه قد فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أى شئ يصير شأنه ، وقد

أردنا أن تسلفنا (2) .

قال : نعم أرهنونى . قلت : أى شئ تريد ؟ قال : أرهنونى نساءكم .

فقالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ! قال : فأرهنونى أبناءكم ، قالوا :

كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال : رهن بوسق أو وسقين ! هذا عار علينا ،

ولكن نرهنك اللامة . قال سفيان : يعنى السلاح (3) .

فواعده أن يأتيه ليلا ، فجاءه ليلا ومعه أبونائلة (4) وهو أخو كعب من الرضاعة ،

فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ وقال غير

عمرو (5) : قالت : أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم . قال : إنما هو أخى محمد بن مسلمة

ورضيعى أبونائلة ، إن الكريم لو دعى إلى طعنة بليل لاجاب !

قال : ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين ، فقال : إذا ما جاء فإبى مائل (6) بشعره

فأشمه ، فإذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه . وقال : مرة ،

ثم أشمكم (7) .

فنزل إليهم متوشحا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال (8) : ما رأيت كاليوم

ريحا . أى أطيب . وقال غير عمرو : قال (9) : عندى أعطر نساء العرب

وأجمل العرب .

* (هامش) * (1) عنانا : أتعبنا . (2) زاد بعض روايات البخارى : وسقا أو وسقين .

(3) اللامة في اللغة : الدرع . وإطلاق السلاح عليها من إطلاق اسم الكل على البعض . وقصدوا من ذلك

ألا ينكر عليهم السلام حين يأيونه به . (4) هو سلكان بن سلامة .

(5) غير عمرو : أى رواية أخرى غير رواية عمرو بن دينار . (6) وتروى : قائل بشعره . أى آخذ .

(7) أشمكم : أمكنكم من الشم . (8) أى محمد بن مسلمة . (9) أى كعب .

ـ * ـ

ـ 11 ـ

قال عمرو : فقال أتأذن لى أن أشم رأسك ؟ قال : نعم . فشمه ثم أشم أصحابه ،

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 11 سطر 1 الى ص 20 سطر 22

قال عمرو : فقال أتأذن لى أن أشم رأسك ؟ قال : نعم . فشمه ثم أشم أصحابه ،

ثم قال : أتأذن لى ؟ قال : نعم . فلما استمكن منه قال : دونكم . فقتلوه . ثم أتوا النبى صلى

الله عليه وسلم فأخبروه .

* * *

وقال محمد بن إسحاق : كان من حديث كعب بن الاشرف ، وكان رجلا من طئ

ثم أخذ بنى نبهان وأمه من بنى النضير ، أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر حين قدم

زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة ، قال : والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن

الارض خير من ظهرها .

فلما تيقن عدو الله الخبر خرج إلى مكة ، فنزل على المطلب بن أبى وداعة بن ضبيرة

السهمى ، وعنده عاتكة بنت أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزلته

وأكرمته ، وجعل يحرض على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الاشعار ويندب

من قتل من المشركين يوم بدر .

فذكر ابن إسحاق قصيدته التى أولها :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله * ولمثل بدر تسهل وتدمع

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضى الله عنه ومن غيره .

ثم عاد إلى المدينة فجعل يشبب بنساء المسلمين ويهجو النبى صلى الله عليه

وسلم وأصحابه .

وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الاشرف أحد بنى النضير أو فيهم ، قد

آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء وركب إلى قريش فاستغراهم ، وقال له

أبوسفيان وهو بمكة : أناشدك أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه ؟ وأينا أهدى

في رأيك وأقرب إلى الحق ؟ إنا نطعم الجزور الكوماء ونسقى اللبن على الماء ونطعم

ماهبت الشمال .

ـ 12 ـ

فقال له كعب بن الاشرف : أنتم أهدى منهم سبيلا !

قال فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : " الم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من

الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من

الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا "

وما بعدها .

قال موسى ومحمد بن إسحاق : وقدم المدينة يعلن بالعدواة ويحرض الناس على

الحرب ، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وجعل يشبب بأم الفضل بن الحارث وبغيرها من نساء المسلمين .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عبدالله بن المغيث

ابن أبى بردة : من لابن الاشرف ؟

فقال له محمد بن مسلمة أخو بنى عبدالاشهل : أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله .

قال : فافعل إن قدرت على ذلك .

قال : فرجع محمد بن مسلمة ، فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق

نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له : لم تركت الطعام

والشراب ؟ فقال : يا رسول الله قلت لك قولا لا أدرى هل أفى لك به أم لا . قال :

إنما عليك الجهد .

قال : يا رسول الله ، إنه لابد لنا أن نقول . قال : فقولوا مابدالكم فأنتم في

حل من ذلك .

قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش ، وهو أبونائلة

أحد بنى عبد الاشهل ، وكان أخا كعب بن الاشرف من الرضاع ، وعبد بن بشر بن

وقش أحد بن عبدالاشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ أحد بنى عبد الاشهل

وأبوعبس بن جبر أخو بنى حارثة .

قال : فقدموا بين أيديهم إلى عدو الله كعب سلكان بن سلامة أبا نائلة ،

فجاءه فتحدث معه ساعة فتناشدا شعرا ، وكان أبونائلة يقول الشعر ، ثم قال : ويحك

يابن الاشرف ! إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عنى . قال : أفعل .

قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء ، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس

واحدة وقطعت عنا السبيل ، حتى ضاع العيال وجهدت الانفس وأصبحنا قد جهدنا

وجهد عيالنا .

فقال كعب : انا ابن الاشرف ! أما والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة أن الامر

يصير إلى ما أقول .

فقال له سلكان : إنى قد أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن

في ذلك .

قال : ترهنونى أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا ، إن معى أصحابا لى على

مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك ونرهنك من

الحقة ما فيه وفاء .

وأراد سلكان ألا ينكر السلاح إذا جاءوا بها . فقال : إن في الحلقة لوفاء .

قال : فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلام ثم ينطلقوا

فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : مشى

معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال : " انطلقوا على

ـ 14 ـ

اسم الله ، اللهم أعنهم " ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته وهو في ليلة

مقمرة ، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه .

فهتف به أبونائلة وكان حديث عهد بعرس ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته

بناحيتها وقالت : أنت امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة ،

قال : إنه أبونائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى . فقالت : والله إنى لاعرف في صوته

الشر . قال : يقول لها كعب : لو دعى الفتى لطعنة أجاب !

فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، ثم قالوا : هل لك يا ابن الاشرف

أن نتماشى إلى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا

فمشوا ساعة .

ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ، ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيبا أعطر

قط . ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفودى

رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله ! فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولا (1) في سيفى فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم

يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار ، قال : فوضعته في ثنته (2) ثم تحاملت عليه حتى

بلغت عانته (3) فوقع عدو الله . وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو في رأسه

أصابه بعض سيوفنا .

قال : فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ثم على بنى قريظة ثم على بعاث ، حتى

أسندنا في حرة العريض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم ، فوقفنا له

ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه ، فجئنا به رسول الله الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل

وهو قائم يصلى ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل رسول الله صلى

* (هامش) * (1) المغول : فصل طويل . (2) الثنة : ما بين السرة والعانة . (3) الاكتفا : غايته . ـ *ـ

ـ 15 ـ

الله عليه وسلم على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خفات يهود بوقعتنا

بعدو الله ، فليس بها يهودى إلا وهو خائف على نفسه .

قال ابن جرير : وزعم الواقدى أنهم جاءوا برأس كعب بن الاشرف إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وفى ذلك يقول كعب بن مالك :

فغودر منهم كعب صريعا * فذلت بعد مصرعه النضير

على الكفين ثم وقد علته * بأيدينا مشهرة ذكور

بأمر محمد إذ دس ليلا * إلى كعب أخا كعب يسير

فما كره فأنزله بمكر * ومحمود أخو ثقة جسور

قال ابن هشام : وهذه الابيات في قصيدة له في يوم بنى النضير ستأتى .

قلت : كان قتل كعب بن الاشرف على يدى الاوس بعد وقعة بدر ، ثم

إن الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبى الحقيق بعد وقعة أحد ، كما سيأتى بيانه إن شاء

الله وبه الثقة .

وقد أورد ابن إسحاق شعر حسان بن ثابت :

لله در عصابة لاقيتهم * ياابن الحقيق وأنت يا ابن الاشرف

يسرون بالبيض الخفاف إليكم * مرحا كأسد في عرين مغرف

حتى أتوكم في محل بلادكم فسقوكم حتفا ببيض ذفف

مستبصرين لنصر دين نبيهم * مستصغرين لكل أمر مجحف

قال محمد بن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من ظفرتم به من رجال

يهود فاقتلوه " .

فوثب عند ذلك محيصة بن مسعود الاوسى على ابن سنينة ، رجل من تجار يهود

كان يلابسهم ويبايعهم ، فقتله ، وكان أخوه حويصة بن مسعود أسن منه ولم يسلم بعد ،

فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أى عدو الله أقتلته ؟ ! أما والله لرب شحم في

بطنك من ماله !

قال محيصة : فقلت والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك !

قال : فوالله إن كان لاول إسلام حويصة وقال : والله لو أمرك محمد بقتلى

لتقتلنى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها !

قال : فوالله إن دينا بلغ بك هذا لعجب ! فأسلم حويصة .

قال ابن إسحاق : حدثنى بهذا الحديث مولى لبنى حارثة عن ابنة محيصة ،

عن أبيها .

وقال في ذلك محيصة :

يلوم ابن أم (1) لو أمرت بقتله * لطبقت ذفراه بأبيض قارب (2)

حسام كلون الملح أخلص صقله * متى ماأصوبه فليس بكاذب

وما سرنى أنى قتلتك طائعا وأن لنا ما بين بصرى ومأرب

وحكى ابن هشام ، عن أبى عبيدة ، عن أبى عمرو المدنى ، أن هذه القصة

كانت بعد مقتل بنى قريضة ، فإن المقتول كان كعب بن يهوذا ، فلما قتله محيصة عن أمر

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بنى قريظة قال له أخوه حويصة ما قال ، فرد عليه

محيصة بما تقدم ، فأسلم حويصة يومئذ . فالله أعلم .

تنبيه : ذكر البيهقى والبخارى قبله خبر بنى النضير قبل وقعة أحد ، والصواب

إيرادها بعد ذلك ، كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازى .

وبرهانه : أن الخمر حرمت ليالى حصار بنى النضير ، وثبت في الصحيح أنه اصطبح

* (هامش) * (1) ابن هشام : ابن أمى . (2) الذفرى : عظم ناتئ خلف الاذن وفى ابن هشام : قاضب . وهو القاطع . ـ * ـ

ـ 17 ـ

الخمر جماعة ممن قتل يوم أحد شهيدا ، فدل على أن الخمر كانت إذ ذاك حلالا ،

وانما حرمت بعد ذلك ، فتبين ماقلناه من أن قصة بنى النضير بعد وقعة أحد .

والله أعلم .

تنبيه آخر : خبر يهود بنى قينقاع بعد وقعة بدر . كما تقدم . وكذلك قتل كعب

ابن الاشرف اليهودى على يدى الاوس .

وخبر بنى النضير بعد وقعة أحد كما سيأتى . وكذلك مقتل أبى رافع اليهودى تاجر

أهل الحجاز على يدى الخزرج .

وخبر يهود بنى قريظة بعد يوم الاحزاب وقصة الخندق . كما سيأتى .

ـ 18 ـ

غزوة أحد في شوال سنة ثلاث

" فائدة " ذكرها المؤلف في تسمية أحد . قال : سمى أحد أحدا لتوحده من بين

تلك الجبال .

وفى الصحيح : " أحد جبل يحبنا ونحبه " قيل : معناه أهله . وقيل : لانه كان

يبشره بقرب أهله إذا رجع من سفره ، كما يفعل المحب . وقيل : على ظاهره كقوله :

" وإن منها لما يهبط من خشية الله " .

وفى الحديث عن أبى عبس بن جبر : " أحد يحبنا ونحبه ، وهو على باب الجنة ،

وعير يبغضنا ونبغضه . وهو على باب من أبواب النار " .

قال السهيلى مقويا لهذا الحديث : وقد ثبت أنه عليه السلام قال : " المرء مع

من أحب " .

وهذا من غريب صنع السهيلى . فإذا هذا الحديث إنما يراد به الناس ، ولا يسمى

الجبل امرءا .

وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث . قاله الزهرى وقتادة وموسى بن عقبة

ومحمد بن إسحاق ومالك .

قال ابن إسحاق : للنصف من شوال . وقال قتادة : يوم السبت الحادى عشر منه .

قال مالك : وكانت الوقعة في أول النهار ، وهى على المشهور التى أنزل الله فيها قوله

تعالى : " وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم . إذ

همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون . ولقد نصركم

الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون . إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن

ـ 19 ـ

يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من

فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين " الآيات وما بعدها

إلى قوله : " ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه ، حتى يميز الخبيث من الطيب ،

وما كان الله ليطلعكم على الغيب (1) " .

وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله في كتاب التفسير بما فيه كفاية ولله

الحمد والمنة .

ولنذكرها هنا ملخص الوقعة مما ساقه محمد بن إسحاق وغيره من علماء هذا الشأن

رحمه الله .

* * *

وكان من حديث أحد ، كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى بن

حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبدالرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ،

وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدث ببعض هذا الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع

حديثهم كلهم فيما سقت . قالوا - أو من قال منهم - :

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلهم إلى مكة ،

ورجع أبوسفيان بعيره ، مشى عبدالله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان

ابن أمية ، في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلموا

أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ،

إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه

ثارا . ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ففيهم كما ذكر لى بعض أهل العلم أنزل الله تعالى : " إن الذين

* (هامش) * (1) سورة آل عمران 121 - 179 ـ * ـ

ـ 20 ـ

كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، ف يسنفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم

يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون (1) " .

قالوا : فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبوسفيان

وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

وكان أبوعزة عمرو بن عبدالله الجمحى قد من عليه رسول الله صلى الله عليه

وسلم يوم بدر ، وكان فقيرا ذا عيال وحاجة ، وكان في الاسارى ، فقال له صفوان بن

أمية : يا أبا عزة ، إنك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك واخرج معنا . فقال : إن محمدا قد

من على فلا أريد أن أظاهر عليه . قال : بلى ، فأعنا بنفسك ، فلك الله إن

رجعت أن أغنيك ، وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من

عسر ويسر .

فخرج أبوعزة يسير في تهامة ويدعو بنى كنانة ويقول :

أيا (2) بنى عبد مناة الرزام (3) * أنتم حماة وأبوكم حام

لا يعدونى نصركم بعد العام * لا تسلمونى لا يحل إسلام

قال : وخرج نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بنى مالك بن

كنانة يحرضهم ويقول :

يا مال (4) مال الحسب المقدم * أنشد ذا القربى وذا التذمم

من كان ذا رحم ومن لم يرحم * الحلف وسط البلد المحرم

عند حطيم الكعبة المعظم

قال : ودعا جبير بن مطعم غلام له حبشيا يقال له وحشى يقذف بحربة له قذف

* (هامش) * (1) سورة الانفال 36 . (2) ابن هشام : إيها . (3) الرزام : جمع رازم ، وهو الذى يثبت

في الحرب لا يبرح . (4) يا مال : يريد يا مالك فحذف آخره للترخيم . ـ * ـ

الحبشة ، قلما يخطى بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 21 سطر 1 الى ص 30 سطر 22

الحبشة ، قلما يخطى بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى

طعيمة بن عدى فأنت عتيق .

* * *

قال : فخرجت قريش بحدها وحديدها وجدها وأحابيشها ، ومن تابعها من بنى

كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظعن (1) التماس الحفيظة والا يفروا .

وخرج أبوسفيان صخر بن حرب ، وهو قائد الناس ، ومعه زوجته هند بنت

عتبة بن ربيعة .

وخرج عكرمة بن أبى جهل بزوجته ابنة عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن

المغيرة . وخرج عمه الحارث بن هشام بزوجته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة .

وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية ، وخرج عمرو

ابن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج ، وهى أم ابنه عبدالله بن عمرو .

وذكر غيرهم ممن خرج بامرأته .

قال : وكان وحشى كلما مر بهند بنت عتبة أو مرت به تقول : ويها أبا دسمة اشف

واشتف . يعنى تحرضه على قتل حمزة بن ع بدالمطلب .

قال : فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى

مقابل المدينة .

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال لهم : " قد رأيت والله خيرا ،

رأيت بقرا تذبح ، ورأيت في ذباب سيفى ثلما ، ورأيت أنى أدخلت يدى في درع

حصينة . فأولتها المدينة " .

وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم جميعا عن أبى كريب ، عن أبى أسامة ، عن

* (هامش) * (1) الظعن : جمع ظعينة وهى المرأة ما دامت في هردج . ـ * ـ

ـ 22 ـ

بريد بن عبدالله بن أبى بردة ، عن أبى بردة ، عن أبى موسى الاشعرى ، عن النبى

صلى الله عليه وسلم قال ك " رأيت في المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب

وهلى (1) إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هى المدينة يثرب . ورأيت في رؤياى هذه أنى

هززت سيفا فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى

فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها

أيضا بقرا ، والله خير (2) ، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد ، وإذا الخير ما جاء الله

به من الخير وثواب الصدق الذى أتانا بعد يوم بدر " .

وقال البيهقى : أخبرنا أ بوعبدالله الحافظ ، أخبرنا الاصم ، أخبرنا محمد بن عبدالله بن

عبد الحكم ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى ابن أبى الزناد ، عن أبيه ، عن عبيدالله بن

عبدالله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : تعقل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه

ذا الفقار يوم بدر . قال ابن عباس : وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأيه أن يقيم

بالمدينة فيقالتهم فيها ، فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرا : نخرج يا رسول الله إليهم

نقاتلهم بأحد . ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر .

فما زالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لبس أداته ، ثم ندموا وقالوا : يا رسول

الله أقم ، فالرأى رأيك .

فقال لهم : ما ينبغى لنبى أن يضع أداته بعد مالبسها حتى يحكم الله بينه

وبين عدوه .

قال : وكان قال لهم يومئذ قبل أن يلبس الاداة : إنى رأيت أنى في درع حصينة ،

* (هامش) * (1) وهلى : أول ظنى .

(2) قال القسطلانى : والله خير : رفع مبتدأ أو خبر ، وفيه حذف تقديره : وصنع الله خير . ـ *ـ

ـ 23 ـ

فأولتها المدينة ، وأنى مردف كبشا وأولته كبش الكتيبة ، ورأيت أن سيفى ذا الفقار

فل ، فأولته فلا فيكم ، ورأيت بقرأ يذبح ، فبقر (1) ، والله خير .

رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبدالرحمن بن أبى الزناد عن أبيه به .

وروى البيهقى من طريق حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أنس مرفوعا قال :

رأيت فيما يرى النائم كأنى مردف كبشا ، وكأن ضبة سيفى انكسرت ، فأولت

أنى أقتل كبش القوم ، وأولت كسر ضبة سيفى قتل رجل من عترتى .

فقتل حمزة ، وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة ، وكان صاحب اللواء .

* * *

وقال موسى بن عقبة : ورجعت قريش فاستجلبوا من أطاعهم من مشركى العرب ،

وسار أبوسفيان بن حرب في جمع قريش ، وذلك في شوال من السنة المقبلة من وقعة

بدر ، حتى نزلوا ببطن الوادى الذى قبلى أحد ، وكان رجال من المسلمين لم يشهدوا

بدرا قد ندموا على ما فاتهم من السابقة ، وتمنوا لقاء العدو ليبلوا ما أبلى إخوانهم

يوم بدر .

فلما نزل أبوسفيان والمشركون بأصل أحد فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدرا

بقدوم العدو عليهم ، وقالوا : قد ساق الله علينا أمنيتنا .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى ليلة الجمعة رؤيا فأصبح ، فجاءه نفر من

أصحابه فقال لهم : " رأيت البارحة في منامى بقرا تذبح ، والله خير ، ورأيت سيفى ذا الفقار

انقصم من عند ضبته ، أو قال : به فلول ، فكرهته ، وهما مصيبتان ، ورأيت أنى في درع

حصينة وأنى مردف كبشا " .

فلما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم برؤياه ، قالوا : يا رسول الله ، ماذا

* (هامش) * (1) يريد بالبقر هنا : مصدر بقره يبقره بقرا ، أى شق بطنه . ـ *ـ

ـ 24 ـ

أولت رؤياك ؟ قال : " أولت البقر الذى رأيت بقرا فينا وفى القوم ، وكرهت

ما رأيت بسيفى " .

ويقول رجال : كان الذى رأى بسيفه : الذى أصاب وجهه ، فإن العدو أصاب وجهه

يومئذ ، وقصموا رباعيته وخرقوا شفته ، يزعمون أن الذين رماه عتبة بن أبى وقاص ،

وكان البقرة من قتل من المسلمين يومئذ .

وقال : أولت الكبش أنه كبش كتيبة العدو يقتله الله ، ويقتله الله ، وأولت الدرع الحصينة

المدينة ، فامكثوا واجعلوا الذرارى في الآطام ، فإن دخل علينا القوم في الازقة قاتلناهم

ورموا من فوق البيوت . وكانوا قد سكوا أزقة المدينة بالبنيان حتى ـ صارت ـ كالحصن .

فقال الذين لم يشهدوا بدرا : كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله ، فقد ساقه الله

إلينا وقرب المسير .

وقال رجل من الانصار : متى نقاتلهم يا رسول اله إذا لم نقاتلهم عند شعبنا ؟ وقال

رجال : ماذا نمنع إذا لم نمنع الحرب بروع ؟

وقال رجال قولا صدقوا به ومضوا عليه ، منهم حمزة بن ع بدالمطلب ، قال : والذى

أنزل عليك الكتاب لنجادلهم .

وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة ، وهو أحد بنى سالم : يا نبى الله لا تحرمنا الجنة ،

فوالذى نفسى بيده لادخلها .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم ؟ قال : بأنى أحب الله ورسوله ولا

أفر يوم الزحف . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدقت . واستشهد يومئذ .

وأبى كثير من الناس إلا الخروج إلى العدو ، ولم يتناهوا إلى قول رسول

الله صلى الله عليه وسلم ورأيه ، ولو رضوا بالذى أمرهم كان ذلك ، ولكن غلب

القضاء والقدر .

وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدرا ، قد علموا الذى سبق

لاصحاب بدر من الفضيلة .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة وعظ الناس وذكرهم ، وأمرهم بالجد

والجهاد ، ثم انصرف من خطبته وصلاته ، فدعا بلامته فلبسها ، ثم أذن

في الناس بالخروج .

فلما رأى ذلك رجال من ذوى الرأى قالوا : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن نمكث بالمدينة وهو أعلم بالله وما يريد ويأتيه الوحى من السماء .

فقالوا : يا رسول الله امكث كما أمرتنا . فقال : ما ينبغى لنبى إذا أخذ لامة الحرب

وأذن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم

إلا الخروج ، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم الدعو وانظروا ماذا أمركم

الله به فافعلوا .

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، فسلكوا على البدائع

وهم ألف رجل ، والمشركون ثلاث آلاف ، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حتى نزل بأحد .

ورجع عنه عبدالله بن أبى بن سلول في ثلاثمائة ، فبقى رسول الله صلى الله عليه

وسلم في سبعمائة .

قال البيهقى : هذا هو المشهور عند أهل المغازى ، أنهم بقوا في سبعمائة مقاتل . قال :

والمشهور عن الزهرى أنهم بقوا في أربعمائة مقاتل . كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن

أصبغ ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهرى ، وقيل عنه بهذا الاسناد

سبعمائة . فالله أعلم .

قال موسى بن عقبة : وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد ، وكان معهم مائة

فرس ، وكان لواؤه مع عثمان بن طلحة . قال : ولم يكن مع المسلمين فرس واحدة . ثم ذكر

الواقعة كما سيأتى تفصيلها إن شاء الله تعالى .

* * *

وقال محمد بن إسحاق : لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤياه على أصحابه قال لهم :

إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم

دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

وكان رأى عبدالله بن أبى بن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في

ألا يخرج إليهم .

فقال رجال من المسلمين ، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد ، وغيرهم ممن كان فاته

بدر : يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا .

فقال عبدالله بن أبى : يا رسول الله لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى

عدو قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه .

فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس لامته ، وذلك يوم

الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من بنى النجار يقال له مالك

ابن عمرو ، فصلى عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى

الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك .

فلما خرج عليهم قالوا : يا رسول الله إن شئت فاقعد . فقال : ما ينبغى لنبى إذا

لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبدالله بن

أبى بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصانى ، ما ندرى علام نقتل أنفسنا ها هنا

أيها الناس .

فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبدالله بن عمرو بن

حرام السلمي والد جابر بن عبدالله ، فقال : يا قوم أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم

ونبيكم عندما حضر من عدوهم . قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى

أن يكون قتال .

فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغنى

الله عنكم نبيه صلى الله عليه وسلم .

* * *

قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى : " وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم

تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا . قالوا : لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، هم للكفر

يومئذ أقرب من للايمان ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما

يكتمون (1) " .

يعنى أنهم كاذبون في قولهم : لو نعلم قتالا لاتبعناكم . وذلك لان وقوع القتال

أمره ظاهر بين واضح لاخفاء ولا شك فيه .

وهم الذين أنزل الله فيهم : " فمالكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما

كسبوا (2) " الآية وذلك أن طائفة قالت : نقاتلهم . وقال آخرون : لا نقاتلهم . كما ثبت

وبين في الصحيح .

وذكر الزهرى أن الانصار استأذنوا حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في

الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة ، فقال : لا حاجة لنا فيهم .

* (هامش) * (1) سورة آل عمران 167 . (29 سورة النساء 88 . ـ * ـ

ـ 28 ـ

وذكر عروة بن موسى بن عقبة أن بنى سلمة وبنى حارثة لما رجع عبدالله بن أبى

وأصحابه همتا أن تفشلا ، فثبتهما الله تعالى ، ولهذا قال : " إذا همت طائفتان منكم أن

تفشلا والله ولهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون " .

قال جابر بن عبدالله : ما أحب أنها لم تنزل والله يقول : " والله وليهما (1) " كما

ثبت في الصحيحين عنه .

* * *

قال ابن اسحاق : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرة بنى

حارثة ، فذب فرس بذنبه فأصاب كلاب (2) سيف فاستله ، فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لصاحب السيف : شم سيفك . أى أغمده ، فإنى أرى السيوف

ستسل اليوم .

ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه : من رجل يخرج بنا على القوم من كثب

- أى من قريب - من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبوخثيمة أخو بنى حارثة بن الحارث :

أنا يا رسول الله . فنفذ به في حرة بنى حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك به في مال لمربع

ابن قيظى ، وكان رجلا منافقا ضرير البصر ، فلما سمع حس رسول الله ومن معه من

المسلمين قام يحثى في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله فإنى لا أحل لك

أن تدخل في حائطى .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر لى أنه أخذ حفنة من التراب في يده ثم قال : والله لو

أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يامحمد لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر . وقد

* (هامش) * (1) أى لما حصل لهم من الشرف بثناء الله تعالى وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية .

(2) الكلاب : ذؤابة السيف . ـ *ـ

بدر إليه سعد بن زيد أخو بنى عبد الاشهل قبل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضربه بالقوس في رأسه فشجه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد ، في عدوة

الوادى وفى الجبل ، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحد حتى

آمره بالقتال .

وقد سرحت قريش الظهر والكراع (1) في زروع كانت بالصمغة من قناة كانت

للمسلمين ، فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال :

أترعى زروع بنى قيلة ولما نضارب ؟ !

وتعبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمائة رجل ، وأمر على الرماة

يومئذ عبدالله بن جبير أخا بنى عمرو بن عوف ، وهو معلم يومئذ بثياب بيض ،

والرماة خمسون رجلا ، فقال : انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت

لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك .

وسيأتى شاهد هذا في الصحيحين إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين . يعنى لبس

درعا فوق درع ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير أخى بنى عبدالدار .

قلت : وقد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من الغلمان يوم أحد ، فلم يمكنهم

من حضور الحرب لصغرهم ، منهم : عبدالله بن عمر ، كما ثبت في الصحيحين قال : عرضت

على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد فلم يجزنى ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن

خمس عشرة فأجازنى .

وكذلك رد يومئذ أسامة بن زيد ، وزيد بن ثابت والبراء بن عازب ، وأسيد بن

* (هامش) * (1) الظهر : الابل . والكراع : الخيل . ـ * ـ 30 ـ

ظهير ، وعرابة بن أوس بن قيظى . ذكره ابن قتيبة وأورده السهيلى ، وهو الذى

يقول فيه الشماخ :

إذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

ومنهم ابن سعيد بن خيثمة . ذكره السهيلى أيضا ، وأجازهم كلهم يوم الخندق .

وكان قد رد يومئذ سمرة بن جندب ورافع بن خديج ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ،

فقيل : يا رسول الله إن رافعا رام فأجازه . فقيل : يا رسول الله فإن سمرة يصرع

رافعا فأجازه .

قال ابن إسحاق : وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ،

فجلعوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل بن هشام .

* * *

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟

فقام إليه رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام إلى أبودجانة سماك بن خرشة أخو بنى

ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟

قال : أن تضرب به في العدو حتى ينحنى .

قال : أنا آخذ يا رسول الله بحقه . فأعطاه إياه .

هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعا .

وقد قال الامام أحمد : حدثنا يزيد وعفان ، قالا حدثنا حماد ، هو ابن سلمة ، أخبرنا

ثابت ، عن النبى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفا يوم أحد فقال : من يأخذ

هذا السيف ؟ فأخذ قوم فجعلوا ينظرون إليه ، فقال : من يأخذه بحقه ؟ فأحجم القوم ، فقال

أبودجانة سماك : أنا آخذه بحقه . فأخذه ففلق به هام المشركين .

ورواه مسلم ، عن أبى بكر عن عفان به .

ـ 31 ـ

قال ابن إسحاق : وكان أبودجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب ، وكان له عصابة

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 31 سطر 1 الى ص 40 سطر 22

قال ابن إسحاق : وكان أبودجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب ، وكان له عصابة

حمراء يعلم بها عند الحرب يعتصب بها ، فيعلم أنه سيقاتل .

قال : فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك

فاعتصب بها ، ثم جعل يتبختر بين الصفين .

قال : فحدثنى جعفر بن عبدالله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من

الانصار من بنى سلمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دجانة

يتبختر : إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن !

* * *

قال ابن إسحاق : وقد قال أبوسفيان لاصحاب اللواء من بنى عبدالدار يحرضهم

على القتال : يا بنى عبدالدار قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى

الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا

وبينه فنكفيكموه .

فهموا به وتواعدوه وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ! ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع .

وذلك الذى أراد أبوسفيان .

قال : فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة

اللاتى معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضن على القتال ، فقالت

هند فيما تقول :

ويها بنى عبدالدار * ويها حماة الادبار

ضربا بكل بتار

وتقول أيضا :

إن تقبلوا نعانق * ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامر عبد عمرو بن صيفى

ابن مالك بن النعمان أحد بنى ضبيعة ، وكان قد خرج إلى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله

عليه وسلم معه خمسون غلاما من الاوس . وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر . وكان

يعد قريشا أن لو قد لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان .

فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبوعامر في الاحابيش وعبد ان أهل مكة ،

فنادى : يامعشر الاوس أنا أبوعامر . قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق . وكان يسمى

في الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق .

فلما سمع ردهم عليه قال : لقد أصاب قومى بعدى شر ! ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم

أرضخهم بالحجارة .

قال ابن اسحاق : فأقبل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبودجانة حتى

أمعن في الناس .

قال ابن هشام : وحدثنى غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال : وجدت

في نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة ،

وقلت : أنا ابن صفية عمته ومن قريش ، وقد قمت إليه وسألته إياه قبله فأعطاه أبا دجانة

وتركنى ، والله لانظرن ما يصنع .

فاتبعته ، فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه ، فقالت الانصار : أخرج أبو

دجانة عصابة الموت : وهكذا كانت تقول له إذا تعصب . فخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهدنى خليلى * ونحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر في الكيول * أضرب بسيف الله والرسول

وقال الاموى : حدثنى أبوعبيد في حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، أن رجلا أتاه

وهو يقاتل به ، فقال : لعلك إن أعطيتك تقاتل في الكيول ؟ قال : لا . فأعطاه سيفا

فجعل يرتجز ويقول :

أنا الذى عاهدنى خليلى * أن لا أقوم الدهر في الكيول

وهذا حديث يروى عن شعبة ، ورواه إسرائيل كلاهما عن أبى إسحاق ، عن هند

بنت خالد أو غيره يرفعه .

الكيول : يعنى مؤخر الصفوف . سمعته من عدة من أهل العلم ، ولم أسمع هذا

الحرف إلا في هذا الحديث .

قال ابن هشام : فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع

جريحا إلا ذفف عليه فجعل كل منها يدنوا من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ،

فالتقيا ، فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه ،

وضربه أبودجانة فقتله . ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم

عدل السيف عنها فقلت : الله ورسوله أعلم .

وقد رواه البيهقى في الدلائل من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير بن

العوام بذلك .

قال ابن إسحاق : قال أبودجانة : رأيت إنسانا يحمس الناس حمسا شديدا ،

فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرضه طلبه منه عمر

فأعرض عنه ، ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه ، فوجدا في أنفسهما من ذلك ، ثم عرضه

الثالثة فطلبه أبودجانة فدفعه إليه فأعطى السيف حقه .

قال : فزعموا أن كعب بن مالك قال : كنت فيمن خرج من المسلمين ، فلما رأيت

مثل المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاورت ، فإذا رجل من المشركين جمع اللامة يجوز

المسلمين وهو يقول : استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم (1) . قال : وإذا رجل من

المسلمين ينتظره وعليه لامته ، فمضيت حتى كنت من ورائه ، ثم قمت أقدر المسلم

والكافر ببصرى ، فإذا الكافر أفضلهما عدة وهيأة . قال : فلم أزل أنتظرهما حتى

التقيا ، فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربة بالسيف فبلغت وركه وتفرق

فرقتين ، ثم كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبودجانة !

مقتل حمزة رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : وقاتل حمزة بن ع بدالمطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن

هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء .

وكذلك قتل عثمان بن أبى طلحة ، وهو حامل اللواء ، وهو يقول :

إن على أهل اللواء حقا * أن يخضبوا الصعدة أو تندقا

فحمل عليه حمزة فقتله (2) .

ثم مر به سباع بن عبدالعزى الغبشانى ، وكان يكنى بأبى نيار ، فقال حمزة :

هلم إلى يا ابن مقطعة البظور . وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب

الثقفى ، وكانت ختانة بمكة ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

فقال وحشى غلام جبير بن مطعم : والله إنى لانظر لحمزة يهد الناس بسيفه

ما يليق (3) شيئا يمر به ، مثل الجمل الاورق ، إذ قد تقدمنى إليه سباع ، فقال حمزة :

هلم يابن مقطعة البظور . فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه ، وهززت حربتى حتى

إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته (4) حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل

* (هامش) * (1) استوسقوا : اجتمعوا والجزر : ما يذبح من الشاء واحدتها جزرة .

(2) ليس في ابن هشام . (3) ما يليق : ما يبقى . (4) الثنة : بين السرة والعانة . ـ *ـ

نحوى فغلب ، فوقع وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتى ، ثم تنحيت إلى العسكر

ولم يكن لى بشئ حاجة غيره .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدالله بن الفضل بن عياش بن ربيعة بن الحارث ،

عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بنعمرو بن أمية الضمرى ، قال : خرجت أنا وعبيد الله

ابن عدى بن الخيار ، أحد بنى نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية ، فأدربنا مع الناس ،

فلما مررنا بحمص وكان وحشى مولى جبير قد سكنها وأقام بها ، فلما قدمناها قال

عبيدالله بن عدى : هل لك في أن نأتى وحشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال

قلت له : إن شئت .

قخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء

داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيا وتجدا عنده

بعض ما تريدان وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض ما به

فانصرفا عنه ودعاه .

قال : فخرجنا نمشى حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له ، وإذا شيخ

كبير مثل البغاث ، وإذا هو صاح لا بأس به ، فلما انتهينا إليه سلمنا عليه .

فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدى فقال ابن لعدى بن الخيار أنت ؟ قال : نعم .

قال : أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية أتى أرضعتك بذى طوى ، فإنى

ناولتكها وهى على بعيرها فأخذتك بعرضيك فلمعت لى قدماك حتى رفعتك إليها ،

فوالله ما هو إلا أن وقفت على فعرفتهما !

قال : فجلسنا إليه فقلنا : جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة ، كيف قتلته ؟

فقال : أما إنى سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

سألنى عن ذلك .

كنت غلاما لجبير بن مطعم ، وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر ، فلما

سارت قريش إلى أحد قال لى جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق .

قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة قل

ما أخطئ بها شيئا ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره ، حتى رأيته في عرض

الناس كأنه الجمل الاورق يهد الناس بسيفه هدا ما يقوم له شئ ، فوالله إنى لاتهيأ له

أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو منى ، إذ تقدمنى إليه سباع بن عبدالعزى ،

فلما رآه حمزة قال : هلم إلى يابن مقطعة البظور . قال : فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه ،

قال : وهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته ، حتى خرجت

من بين رجليه ، وذهب لينوء نحوى فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته

فأخذت حربتى ثم رجعت إلى العسكر وقعدت فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، إنما

قتلته لاعتق .

فلما قدمت مكة عتقت ، ثم أقمت ، حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم

مكة هربت إلى الطائف ، فمكثت با ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليسلموا تعيت على المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد ،

فوالله إنى لفى ذلك من همى إذ قال لى رجل : ويحك ! إنه والله لا يقتل أحدا من

الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحق .

قال : فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم

المدينة فلم يرعه إلا بى قائما على رأسه أشهد شهادة الحق ، فلما رآنى قال لى : أوحشى

أنت ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة ؟

قال : فحدثته كما حدثتكما ، فلما فرغت من حديثى قال : ويحك غيب عنى

وجهك فلا أرينك !

قال : فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يرانى ، حتى

قبضه الله عزوجل .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم وأخذت

حربتى التى قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائما وبيده السيف ،

وما أعرفه ، فتهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار من الناحية الاخرى ، كلانا يريده ،

فهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه ، وشد عليه الانصارى

بالسيف ، فربك أعلم أينا قتله ، فإن كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وقتلت شر الناس !

قلت : الانصارى هو أبودجانة سماك بن خرشة .

وقال الواقدى في الردة : هو عبدالله بن زيد بن عاصم المازنى . وقال سيف بن

عمرو : هو عدى بن سهل . وهو القائل :

ألم تر أنى ووحشيهم * قتلت مسيلمة المفتتن

ويسألنى الناس عن قتله * فقلت : ضربت وهذا طعن

والمشهور أن وحشيا هو الذى بدره بالضربة وذفف عليه أبودجانة ، لما روى

ابن إسحاق ، عن عبدالله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن ابن عمر قال : سمعت

صارخا يوم اليمامة يقول : قتله العبد الاسود .

* * *

وقد روى البخارى قصة مقتل حمزة من طريق عبدالعزيز بن عبدالله بن أبى سلمة

* (هامش) * (1) بالاصل غير منقوطة . وما أثبته عن الروض الانف 2 / 132 . ـ * ـ

ـ 38 ـ

الماجشون ، عن عبدالله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية

الضمرى ، قال : خرجت مع عبدالله بن عدى بن الخيار . فذكر القصة كما تقدم .

وذكر أن عبيدالله بن عدى كان معتجرا عمامة لا يرى منه وحشى إلا عينيه ورجليه ،

فذكر من معرفته له ما تقدم .

وهذه قيافة عظيمة ، كما عرف مجزز المدلجى أقدام زيد وابنه أسامة مع

اختلاف ألوانهما .

وقال في سياقته : فلما أن صف الناس للقتال خرج سباع فقال : هل من مبارز ؟

فخرج إليه حمزة بن ع بدالمطلب فقال له : يا سباع يابن أم أنمار مقطعة البظور ، أتحاد الله

ورسوله ؟ ! ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب !

قال : وكمنت لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا منى رميت بحربتى فأضعها في ثنته ، حتى

خرجت من بين وركيه ، قال : فكان ذلك آخر العهد به .

إلى أن قال : فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج مسيلمة الكذاب قلت :

لاخرج إلى مسيلمة لعلى أقتله فأكافئ به حمزة . قال : فخرجت مع الناس فكان من

أمره ما كان . قال : فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس ، قال :

فرميته بحربتى فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من ـ بين ـ (1) كتفيه ، قال : ووثب

إليه رجل من الانصار فضربه بالسيف على هامته .

قال عبدالله بن الفضل : فأخبرنى سليمان بن يسار أنه سمع عبدالله بن عمر يقول :

فقالت جارية على ظهر البيت : وا أمير المؤمناه (2) ! قتله العبد الاسود .

قال ابن هشام : فبلغنى أن وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان ،

فكان عمر بن الخطاب يقول : قد قلت إن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة !

* (هامش) * (1) من صحيح البخارى . (2) البخارى : وا أمير المؤمنين . ـ *ـ

قلت : وتوفى وحشى بن حرب ، أبودسمة ، ويقال أبوحرب ، بحمص ، وكان

أول من لبس الثياب المدلوكة .

* * *

قال ابن إسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

قتل . وكان الذى قتله ابن قمئة الليثى ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فرجع إلى قريش : قتلت محمدا .

قلت : وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن سعيد بن المسيب أن الذى قتل مصعبا

هو أبى بن خلف . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم

اللواء على بن أبى طالب .

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق : كان اللواء أولا مع على بن أبى طالب ،

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء المشركين مع عبد الدار قال : نحن أحق

بالوفاء منهم ، أخذ اللواء من على بن أبى طالب فدفعه إلى مصعب بن عمير ، فلما قتل

مصعب أعطى اللواء على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وقاتل على بن أبى طالب ورجال من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدثنى مسلمة بن علقمة المازنى ، قال : لما اشتد القتال يوم

أحد حابس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الانصار ، وأرسل إلى على : أن

قدم الراية . فقدم على وهو يقول : أنا أبوالقصم . فناداه أبوسعد بن أبى طلحة ، وهو

صاحب لواء المشركين : هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرزا بين

الصفين ، فختلفا ضربتين ، فضربه على فصرعه ، ثم انصرف ولم يجهز عليه .

فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلنى بعورته فعطفتنى

عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله .

وقد فعل ذلك على رضى الله عنه يوم صفين معبسر بن أبى أرطاة لما حمل عليه

ليقتله أبدى له عورته فرجع عنه .

وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه على في بعض أيام صفين أبدى عن

عورته فرجع على أيضا . ففى ذلك يقول الحارث بن النضر :

أفى (1) كل يوم فارس غير منته * وعورته وسط العجاجة بادية

يكف لها عنه على سنانه * ويضحك منها في الخلاء معاوية !

وذكر يونس عن ابن إسحاق ، أن طلحة بن أبى طلحة العبدرى حامل لواء

المشركين يومئذ دعا إلى البراز فأحجم عنه الناس ، فبرز إليه الزبير بن العوام فوثب

حتى صار معه على جمله ، ثم اقتحم به الارض فألقاه عنه وذبحه بسيفه ، فأثنى عليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن لكل نبى حواريا وحوارى الزبير " وقال :

لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه لما رأيت من إحجام الناس عنه .

وقال ابن إسحاق : قتل أبا سعد بن أبى طلحة سعد بن أبى وقاص .

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح فقتل نافع بن أبى طلحة وأخاه الحلاس ،

كلاهما يشعره سهما فيأتى أمه سلافة فيضع رأسه في حجرها ، فتقول : يا بنى من أصابك ؟

فيقول : سمعت رجلا حين رمانى يقول : خذها وأنا ابن أبى الاقلح . فنذرت إن

أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر .

وكان عاصم قد عاهد الله لا يمس مشركا أبدا ولا يمسه ، ولهذا حماه الله منه يوم

الرجيع كما سيأتى .

قال ابن إسحاق : والتقى حنظلة بن أبى عامر ، واسمه عمرو ، ويقال عبد عمرو بن

صيفى ، وكان يقال لابى عامر في الجاهلية الراهب ، لكثرة عبادته ، فسماه رسول الله

* (هامش) * (1) الاصل : أتى . وهو تحريف . وما أثبته عن الروض الانف 2 / 133 . ـ * ـ

ـ 41 ـ

صلى الله عليه وسلم الفاسق ، لما خالف الحق وأهله وهرب من المدينة هربا من الاسلام

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 41 سطر 1 الى ص 50 سطر 21

صلى الله عليه وسلم الفاسق ، لما خالف الحق وأهله وهرب من المدينة هربا من الاسلام

ومخالفة للرسول عليه السلام . وحنظلة الذى يعرف بحنظلة الغسيل ، لانه غسلته

الملائكة . كما سيأتي . هو وأبوسفيان صخر بن حرب ، فلما علاه حنظلة رآه شداد بن

الاوس ، وهو الذى يقال له ابن شعوب ، فضربه شداد فقتله ، فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : " إن صاحبكم لتغسله الملائكة ، فاسألوا أهله ماشأنه ؟ " .

فسئلت صاحبته . قال الواقدى : هى جميلة بنت أبى بن سلول وكانت عروسا

عليه تلك الليلة .

فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كذلك غسلته الملائكة !

وقد ذكر موسى بن عقبة أن أباه ضرب برجله في صدره ، فقال : ذنبان

أصبتهما ، ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنت وصولا للرحم

برا بالوالد .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شعوب في ذلك :

لاحمين صاحبى ونفسى * بطعنة مثل شعاع الشمس

وقال ابن شعوب :

ولولا دفاعى يابن حرب ومشهدى * لالفيت يوم النعف (1) غير مجيب

ولولا مكرى المهر بالنعف فرفرت (2) * عليه ضباع (3) أو ضراء كليب (4)

وقال أبو سفيان :

ولو شئت نجتنى كميت : طمرة (5) * ولم أحمل النعماء لابن شعوب

* (هامش) * (1) النعف : ماانحدر من حزونة الجبل (2) فرفرت : أسرعت وطاشت . وفى ابن هشام :

قرقرت . بالقاف . (3) ابن هشام : ضباع عليه (4) الضراء : الضارية من الكلاب .

(5) الطمرة : الفرس السريعة الجرى . ـ *ـ

وما زال مهرى مزجر الكلب منهم * لدن غدوة حتى دنت لغروب

أقاتلهم وأدعى يالغالب * وأدفعهم عنى بركن صليب

فبكى ولا ترعى مقالة عاذل * ولا تسأمى من عبرة ونحيب

أباك وإخوانا له قد تتابعوا * وحق لهم من عبرة بنصيب

وسلمى الذى قد كان في النفس أننى قتلت من النجار كل نجيب

ومن هاشم قرما (1) كريما ومصعبا * وكان لدى الهيجاء غير هيوب

فلو أننى لم أشف نفسى منهم * لكانت شجى في القلب ذات ندوب

فآبوا وقد أودى الجلابيب منهم بهم خدب من معبط وكئيب (2)

أصابهم من لم يكن لدمائهم * كفالا ولا في خطة بضريب

فأجابه حسان بن ثابت :

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم * ولست لزور قلته بمصيب

أتعجب أن أقصدت حمزة منهم نجيبا وقد سميته بنجيب

ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه وشيبة والحجاج وابن حبيب

غداة دعا العاصى عليا فراعه * بضربة عضب بله بخضيب

فصل

قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فحشوهم

بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .

وحدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبدالله بن الزبير ، عن

الزبير ، قال : والله لقد رأيتينى أنظر إلى خدم (3) هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ،

* (هامش) * (1) القرم : السيد . (2) الخدب : الهوج . والمعبط . الذى يسيل دمه . (3) الخدم : السوق . ـ * ـ

مادون أخذهن قليل ولا كثير ، إذ مالت الرماة على العسكر حين كشفنا القوم عنه

وخلوا ظهورنا للخيل ، فأتينا من خلفنا ، وصرخ وصارخ : ألا إن محمدا قد قتل .

فانكفأنا وانكفأ القوم علينا ، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء ، حتى ما يدنو

منه أحد منهم .

فحدثنى بعض أهل العلم ، أن اللواء لم يزل صريعا حتى أخذته عمرة بنت علقمة

الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به ، وكان اللواء مع صواب ، غلام لبنى أبى طلحة حبشى ،

وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يداه ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء

بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول : اللهم هل أعزرت . يعنى : اللهم

هل أعذرت .

فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فخرتم باللواء وشر فخر * لواء حين رد إلى صواب

جعلتم فخركم فيه لعبد * وألام من يطاعفر التراب

ظننتم والسيفه له ظنون * وما إن ذاك من أمر الصواب

بأن جلادنا يوم التقينا بمكة بيعكم حمر العياب

أقر العين أن عصبت يداه * وما إن تعصبان على خضاب

وقال حسان أيضا في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم :

إذا عضل سيقت إلينا كأنها * جداية شرك معلمات الحواجب (1)

أقمنا لهم طعنا مبيرا منكلا * وحزنا هم بالضرب من كل جانب

فلولا لواء الحارثية أصبحوا * يباعون في الاسواق بيع الجلائب

* * *

قال ابن إسحاق : فانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو ، وكان يوم بلاء

* (هامش) * (1) الجداية : الغزال . وشرك : موضع . ـ * ـ

ـ 44 ـ

وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة ، حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم فدث بالحجارة حتى وقع لشقه ، فأصيبت رباعيته وشج في وجهه

وكلمت شفته ، وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص .

فحدثنى حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : كسرت رباعية النبى صلى الله

عليه وسلم يوم أحد وشج في وجهه ، فجعل يمسح الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا

وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله . فأنزل الله : " ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم

أو يعذبهم فإنهم ظالمون " .

قال ابن جرير في تاريخه : حدثنا محمد بن الحسين ، حدثنا أحمد بن الفضل ، حدثنا

أسباط ، عن السدى ، قال أتى ابن قمئة الحارثى فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر

فكسر أفنه ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله ، وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة

وانطلق طائفة فوق الجبل إلى الصخرة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس :

إلى عباد الله ، إلى عباد الله . فاجتمع إليه ثلاثون رجلا ، فجعلوا يسيرون بين يديه فلم

يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف ، فحماه طلحة فرمى بسهم في يده فيبست يده ،

واقبل أبى بن خلف الجمحى وقد حلف ليقتلن النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل أنا

أقتله : فقال : يا كذاب أين تفر ، فحمل عليه فطعنه النبى صلى الله عليه وسلم في جيب

الدرع فجرح جرحا خفيفا فوقع يخور خوار الثور فاحتملوه ، وقالوا : ليس بك جراحة

فما يجزعك ؟ قال : أليس قال : لاقتلنك ! لو كانت تجتمع ربيعة ومضر لقتلهم . فلم يلبث

إلا يوما أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

وفشا في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فقال بعض أصحاب

الصخرة : ليت لنا رسولا إلى عبدالله بن أبى فيأخذ لنا أمنة من أبى سفيان ، يا قوم إن

محمدا قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم .

فقال أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا

على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم إنى أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وابرأ

إليك مما جاء به هؤلاء . ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل !

وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ،

فلما رأوه وضع رجل سهما في قوسه يرميه فقال : أنا رسول الله . ففرحوا بذلك حين وجدوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن في أصحابه

من يمتنع به ، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزن ،

فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا .

فقال الله عزوجل في الذين قالوا : إن محمدا قد قتل فارجعوا إلى قومكم : " وما محمد

إلا رسول قد خلت من قبله الرسل " الآية .

فأقبل أبوسفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذى كانوا عليه

وهمهم أبوسفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ليس لهم أن يعلونا ، اللهم

إن تقتل هذه العصابة لا تعبد في الارض " . ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة

حتى أنزلوهم .

فقال أبوسفيان يومئذ : اعل هبل ، حنظلة بحنظلة ، ويوم أحد بيوم بدر .

وذكر تمام القصة . وهذا غريب جدا وفيه نكارة .

* * *

قال ابن هشام : وزعم ربيح بن عبدالرحمن بن أبى سعيد ، عن أبيه ، عن أبى سعيد ،

أن عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسر رباعيته اليمنى السفلى

وجرح شفته السفلى ، وأن عبدالله بن شهاب الزهرى شجه في جبهته ، وأن عبدالله بن

فمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، ووقع رسول الله صلى الله

عليه وسلم في حفرة من الحفر التى عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ على بن أبى طالب

بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ، ومص مالك بن سنان أبوأبى سعيد

الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال : من مس دمه دمى

لم تمسه النار .

قلت : وذكر قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقع لشقه أغمى عليه ، فمر

به سالم موليأبى حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه ، فأفاق وهو يقول : كيف

يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله . فأنزل الله : " ليس لك من الامر

شئ " الآية .

رواه ابن جرير وهو مرسل ، وسيأتى بسط هذا في فصل وحده .

قلت : كان أول النهار للمسلمين على الكفار ، كما قال الله تعالى " ولقد صدقكم

الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم

ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ،

ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين إذ تصعدون ولاتلوون على أحد والرسول

يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم " الآية .

قال الامام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، أخبرنا عبدالرحمن بن أبى الزناد ،

عن أبيه ، عن عبيدالله ، عن ابن عباس ، أنه قال : ما نصر الله في موطن كما نصر

يوم أحد .

قال : فأنكرنا ذلك . فقال : بينى وبين ما أنكر ذلك كتاب الله : إن الله

يقول في يوم أحد : " ولقد صدقكم الله وعده إذا تحسونهم بإذنه " يقول ابن

عباس : والحس القتل " حتى إذا فشلتم " إلى قوله " ولقد عفا عنكم والله ذو فضل

على المؤمنين " وإنما عنى بهذا الرماة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع

ثم قال : احموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا نغنم

فلا تشركونا .

فلما غنم النبى صلى الله عليه وسلم وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعا ،

فدخلوا في العسكر ينهبون ، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فهم هكذا ، وشبك بين أصابع يديه ، والتبسوا .

فلما أخل الرماة تلك الخلة التى كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على

أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فضرب بعضهم بعضا ، فالتبسوا وقتل من المسلمين ناس

كثير ، وقد كان لرسول الله وأصحابه أول النهار ، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين

سبعة أو تسعة ، وجال المسلمون جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار ، إنما

كانت تحت المهراس .

وصاح الشيطان : قتل محمد ، فلم يشك فيه أنه حق ، فمازلنا كذلك ما نشك أنه

حق حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين نعرفه بتكفيه إذا مشى . قال :

ففرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا . قال : فرقى نحونا وهو يقول : اشتد غضب اللهعلى

قوم دموا وجه رسول الله . ويقول مرة أخرى : اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا . حتى

انتهى إلينا .

فمكث ساعة فإذا أبوسفيان يصيح في أسفل الجبل : اعل هبل ، اعل هبل ،

مرتين ، يعنى آلهته ، أين ابن أبى كبشة ؟ أين ابن أبى قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟

فقال عمر بن الخطاب : ألا أجيبه ؟ قال : بلى . قال : فلما قال : اعل هبل قال : الله أعلى

وأجل . قال أبوسفيان : يابن الخطاب قد أنعمت عينها (1) ، فعاد عنها ، أو فعال عنها .

* (هامش) * (1) يريد الحرب . وفعال : أمر ، أى عال عنها وأقصر عن لومها . ـ *ـ

فقال : أين ابن أبى كبشة أين ابن أبى قحافة ، أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبوبكر ، وهأنذا عمر .

قال : فقال أبوسفيان : يوم بيوم بدر ، الايام دول ، وإن الحرب سجال .

قال : فقال عمر : لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار .

قال : إنكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا إذن وخسرنا !

ثم قال أبوسفيان : أما أنكم سوف تجدون في قتلاكم مثلة ، ولم يكن ذلك عن

رأى سراتنا . قال : ثم أدركته حمية الجاهلية فقال : أما إنه إن كان ذلك لم نكرهه .

وقد رواه ابن أبى حاتم والحاكم في مستدركه والبيهقى في الدلائل من حديث سليمان

ابن داود الهاشمى به .

وهذه حديث غريب ، وهو من مرسلات ابن عباس ، وله شواهد من وجوه كثيرة

سنذكر منها ما تيسر إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان . وهو المستعان .

قال البخارى : حدثنا عبيدالله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن

البراء ، قال : لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبى صلى الله عليه وسلم جيشا من الرماة

وأمر عليهم عبدالله بن جبير ، وقال : لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا

تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا .

فلما لقينا هربوا ، حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت

خلاخلهن ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة : فقال عبدالله : عهد إلى النبى صلى الله

عليه وسلم ألا تبرحوا . فأبوا ، فلما أبوا صرفت وجوههم (1) .

فأصيب سبعون قتيلا ، وأشرف أبوسفيان فقال : أفى القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه .

* (هامش) * (1) صرفت وجوههم : تحيروا فلم يدروا أين يذهبون . ـ * ـ

ـ 49 ـ

فقال : أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ فقال (1) : لا تجيبوه . فقال : أفى القوم ابن الخطاب ؟

فقال : إن هؤلاء قتلوا ، فلو كانوا أحياء لاجابوا .

فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدو الله ، أبقى الله عليك ما يحزنك .

فقال أبوسفيان : اعل هبل . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أجيبوه . قالوا :

ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلى وأجل .

فقال أبوسفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

أجيبوه . قالوا : مانقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم .

قال أبوسفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، وتجدون مثلة لم آمر

بها ولم تسؤنى .

وهذا من أفراد البخارى دون مسلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا أبوإسحاق ، أن البراء بن

عازب قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد ، وكانوا خمسين

رجلا ، عبدالله بن جبير ، قال : ووضعهم موضعا وقال : إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا

تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى

أرسل إليكم .

قال : فهزموهم ، قال : فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت

أسواقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن .

فقال أصحاب عبدالله بن جبير : الغنيمة ، أى قوم الغنيمة ، ظهر أصحابكم ، فما

تنظرون ؟ قال عبدالله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قالوا : إنا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة .

* (هامش) * (1) القائل هو رسول الله صلوات الله عليه . ـ * ـ

فلما أتوهم صرف وجوههم فأقبلوا منهزمين ، فذلك الذى يدعوهم الرسول في

أخراهم ، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلا ، فأصابوا

منا سبعين رجلا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم

بدر أربعين ومائة : سبعين أسيرا وسبعين قتيلا .

فقال أبوسفيان : أفى القوم محمد ؟ أفى القوم محمد ؟ أفى القوم محمد ؟ ثلاثا ، فنهاهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه .

ثم قال : أفى القوم ابن أبى قحافة ، أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ أفى القوم ابن الخطاب ،

أفى القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم .

فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدو الله ، إن الذين عددت لاحياء

كلهم ، وقد بقى لك ما يسوءك .

فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، إنكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها

ولم تسئونى . ثم أخذ يرتجز : اعل هبل اعل هبل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله وما نقول ؟

قال : قولوا الله أعلى وأجل .

قال : إن العزى لنا ولا عزى لكم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟

قالوا : يا رسول الله ما نقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم .

ورواه البخارى من حديث زهير ، وهو ابن معاوية مختصرا . وقد تقدم روايته له

مطولة من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق .

* * *

وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت وعلى بن زيد ،

ـ 51 ـ

عن أنس بن مالك ، أن المشركين لما رهقوا النبى صلى الله عليه وسلم وهو في سبعة من

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 51 سطر 1 الى ص 60 سطر 22

عن أنس بن مالك ، أن المشركين لما رهقوا النبى صلى الله عليه وسلم وهو في سبعة من

الانصار ورجل من قريش ، قال : يردهم عنا وهو رفيقى في الجنة ؟ فجاء رجل من

الانصار فقاتل حتى قتل .

فلما رهقوه أيضا قال : من يردهم عنا وهو رفيقى في الجنة ؟ حتى قتل السبعة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنصفنا أصحابنا .

ورواه مسلم عن هدبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به .

وقال البيهقى في الدلائل : بإسناده عن عمارة بن غزية ، عن أبى الزبير ، عن جابر

قال : انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وبقى معه أحد عشر رجلا

من الانصار وطلحة بن عبيدالله وهو يصعد في الجبل ، فلحقهم المشركون فقال : ألا أحد

لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا يا رسول الله . فقال : كما أنت يا طلحة ، فقال رجل من الانصار :

فأنا يا رسول الله . فقاتل عنه ، وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بقى معه ، ثم

قتل الانصارى فلحقوه ، فقال : ألا رجل لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال مثل قوله ، فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله . فقال رجل من الانصار : فأنا يا رسول الله ، فقاتل

وأصحابه يصعدون ، ثم قتل فلحقوه .

فلم يزل يقول مثل قوله الاول ويقول طلحة : أنا يا رسول الله . فيحبسه ، فيستأذنه

رجل من الانصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله .

حتى لم يبق معه إلا طلحة ، فغشوهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهؤلاء ؟

فقال طلحة : أنا . فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله ، وأصيب أنامله فقال : حس ،

فقال : لو قلت : بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو

السماء . ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم مجتمعون .

وروى البخارى عن عبدالله بن أبى شيبة ، عن وكيع ، عن إسماعيل ، عن قيس بن

أبى حازم ، قال : رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

وفى الصحيحين من حديث موسى بن إسماعيل ، عن معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبى

عثمان النهدى قال : لم يبقى مع النبى صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الايام التى يقاتل فيهن

غير طلحة وسعد عن حديثهما .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا مروان بن معاوية ، عن هاشم بن هاشم السعدى ،

سمعت سعيد بن المسيب يقول : سمعت سعد بن ابى وقاص يقول : نثل لى رسول

الله صلى الله عليه وسلم كنانته يوم أحد وقال : ارم فداك أبى وأمى .

وأخرجه البخارى ، عن عبدالله بن محمد ، عن مروانه به .

وفى صحيح البخارى من حديث عبدالله بن شداد ، عن على بن أبى طالب قال :

ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم جمع أبويه لاحد إلا لسعد بن مالك ، فإنى سمعته يقول

يوم أحد : يا سعد ارم فداك أبى وأمى .

قال محمد بن إسحاق : حدثنى صالح بن كيسان ، عن بعض آل سعد ، عن سعد بن أبى

وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يناولنى النبل ويقول : ارم فداك أبى وأمى ! حتى إنه ليناولنى

السهم ليس له نصل فأرمى به .

وثبت في الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعد

ابن أبى وقاص قال : رأيت يوم أحد عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجلين

عليهما ثياب بيض يقاتلان أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعده . يعنى جبريل

وميكائيل عليهما السلام .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، أخبرنا ثابت ، عن أنس ، أن أبا طلحة كان يرمى بين

يدى النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، والنبى صلى الله عليه وسلم خلفه يترس به ، وكان

راميا ، وكان إذا رمى رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع

أبوطلحة صدره ويقول : هكذا ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لا يصيبك سهم ، نحرى دون

نحرك . وكان أبوطلحة يسور نفسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : إنى

جلد يا رسول الله ، فوجهنى في حوائجك ومرنى بما شئت .

وقال البخارى : حدثنا أبومعمر (1) ، حدثنا ع بدالوارث ، حدثنا عبدالعزيز (2) ،

عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبوطلحة

بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مجوب عليه بحجفة (3) له ، وكان أبوطلحة

رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا ، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل

فيقول (4) : انثرها لابى طلحة .

قال : ويشرف النبى صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم ، فيقول ، أبوطلحة : بأبى

أنت وأمى لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم ، نحرى دون نحرك . ولقد رأيت

عائشة بنت أبى بكر وأم سليم وإنهما المشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان (5) القرب

على متونهما تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه

القوم . ولقد وقع السيف من يدى أبى طلحة إما مرتين وإما ثلاثا .

قال البخارى : وقال لى خليفة : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن

أنس ، عن أبى طلحة قال : كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفى من يدى

مرارا ، يسقط وآخذه ويسقط وآخذه .

هكذا ذكره البخارى معلقا بصيغة الجزم ، ويشهد له قوله تعالى " ثم أنزل عليكم من

بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق

* (هامش) * (1) هو عبدالله بن عمروا لعقدى . (2) هو عبدالعزيز بن صهيب . (3) مجوب : مترس

عليه يحميه . والحجفة : ترس من جلد . (4) القائل هو النبى صلوات الله وسلامه عليه (5) خدم سوقهما :

خلا خيلهما . قال القسطلانى : وذلك محمول على نظر الفجأة . وتنقزان : تثبان وتفرغان القرب . ـ *ـ

ـ 54 ـ

ظن الجاهلية يقولون : هل لنا من الامر من شئ ، قل إن الامر كله لله يخفون

في أنفسهم مالا يبدون لك ، يقولون : لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا ، قل لو

كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلى الله ما في صدوركم

وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور . إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان

إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم " .

قال البخارى : حدثنا عبدان (1) أخبرنا أبوحمزة ، عن عثمان بن موهب ، قال :

جاء رجل حج البيت فرأى قوما جلوسا ، فقال : من هؤلاء العقود ؟ قال : هؤلاء قريش

قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر . فأتاه فقال : إنى سائلك عن شئ أتحدثنى ؟ قال : أنشدك

بحرمة هذا البيت : أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد ؟ قال : نعم . قال : فتعلمه تغيب

عن بدر فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟

قال : نعم . قال : فكبر (2) .

قال ابن عمر : تعال لاخبرك ولابين لك عما سألتنى عنه .

أما فراره يوم أحد : فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت

النبى صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لك

أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه .

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان : فإنه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان

لبعثه مكانه ، فبعث عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال

النبى صلى الله عليه وسلم بيده اليمين : هذه يد عثمان . فضرب بها على يده . فقال :

هذه لعثمان .

* (هامش) * (1) عبدان : لقب عبدالله بن عثمان المروزى . (2) مستحسنا لما أجابه ابن عمر ،

لمطابقته لما يعتقده في عثمان رضى الله عنه . ـ *ـ

ـ 55 ـ

اذهب بهذا (1) الآن معك .

وقد رواه البخارى أيضا في موضع آخر ، والترمذى من حدث أبى عوانة ، عن

عثمان بن عبدالله بن موهب به .

وقال الاموى في مغازيه ، عن ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد ، عن أبيه ، عن

جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ

بعضهم إلى المنقى دون الاعوص ، وفر عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الانصار

حتى بلغوا الجلعت ، جبل بناحية المدينة مما يلى الاعوص ، فأقاموا ثلاثة ثم رجعوا ،

فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة .

* * *

والمقصود أن أحدا وقع فيها أشياء مما وقع في بدر ، منها : حصول النعاس حال

التحام الحرب ، وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصرالله وتأييده وتمام توكلها على

خالقها وبارئها .

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى في غزوة بدر : " إذ يغشيكم النعاس أمنة منه "

الآية وقال هاهنا : " ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم " يعنى

المؤمنين الكمل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : النعاس في الحرب من الايمان ،

والنعاس في الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعد هذا : " وطائفة قد أهمتهم أنفسهم " الآية .

ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنصر يوم أحد كما استنصر يوم

بدر يقوله : " إن تشأ لا تعبد في الارض " .

كما قال الامام أحمد : حدثنا عبدالصمد وعفان قالا : حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ،

عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يوم أحد : " اللهم إنك إن تشأ

لا تعبد في الارض " .

* (هامش) * (1) يريد : اذهب بهذه الاجوبة التى أجبتك بها . ـ *ـ

ـ 56 ـ

ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر ، عن عبدالصمد ، عن حماد بن سلمة به .

وقال البخارى : حدثنا عبدالله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن

عبدالله قال ك قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد : " أرأيت إن قتلت فأين أنا ؟

قال : في الجنة ، فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قتل " .

ورواه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به .

وهذا شبيه بقصة عمير بن الحمام التى تقدمت في غزوة بدر رضى الله

عنهما وأرضاهما .

ـ 57 ـ

فصل

فيما لقى النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ من المشركين قبحهم الله

قال البخارى : ما أصاب النبى صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد .

حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا عبدالرزاق ، عن همام بن منبه ، سمع أبا هريرة

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه - يشير

إلى رباعيته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله " .

ورواه مسلم من طريق عبدالرزاق ، حدثنا مخلد بن مالك ، حدثنا يحيى بن سعيد

الاموى ، حدثنا ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال :

" اشتد غضب الله على من قتله النبى في سبيل الله ، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أخبرنا ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال يوم أحد وهو يسلت الدم عن وجهه وهو يقول : " كيف يفلح قوم شجوا

نبيهم وكسروا رباعيته ، وهو يدعو إلى الله " فأنزل الله : " ليس لك من الامر شى ء أو

يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون " .

ورواه مسلم عن القعنبى ، عن حماد بن سلمة به .

ورواه الامام أحمد ، عن هشيم ويزيد بن هارون ، عن حميد ، عن أنس ، أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال :

" كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم " فأنزل الله تعالى : " ليس

لك من الامر شئ " .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب ، عن أبى حازم ، أنه سمع سهل بن

سعد وهو يسأل عن جرح النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أما والله إنى لاعرف من كان

يغسل جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان يكسب الماء وبما دووى ، قال :

كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسله وعلى يسكب الماء بالمجن ، فلما

رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها

فاستمسك الدم ، وكسرت رباعيته يومئذ ، وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه .

* * *

وقال أبوداود الطيالسى في مسنده : حدثنا ابن المبارك ، عن إسحاق ، عن يحيى بن

طلحة بن عبيد الله ، أخبرنى عيسى بن طلحة ، عن أم المؤمنين عائشة قالت : كان أبوبكر

إذ ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ! ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء

يوم أحد ، فرأيت رجلا يقاتل في سبيل الله دونه ، وأراه قال : حمية ، قال : فقلت :

كن طلحة ، حيث فاتنى ما فاتنى ، فقلت : يكون رجلا من قومى أحب إلى ، وبينى

وبين المشركين رجل لا أعرفه ، وأنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وهو

يخطف المشى خطفا لا أخطفه ، فإذا هو أبوعبيدة بن الجراح ، فانتهينا إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته وشج في وجهه ، وقد دخل في وجنته حلقتان من

حلق المغفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عليكما صاحبكما " يريد طلحة . وقد

نزف ، فلم نلتفت إلى قوله .

قال : وذهبت لانزع ذاك من وجهه ، فقال : أقسم عليك بحقى لما تركتنى ، فتركته

فكره تناولها بيده فيؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزم عليها بفيه ، فاستخرج

إحدى الحلقتين ووقعت ثنيته مع الحلقة ، وذهبت لاصنع ما صنع فقال : أقسمت عليك

بحقى لما تركتنى . قال : ففعل مثل ما فعل في المرة الاولى ، فوقعت ثنيته الاخرى مع الحلقة ،

فكان أبوعبيدة رضى الله عنه من أحسن الناس هما !

فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك

الجفار فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت إصبعه ،

فأصلحنا من شأنه .

* * *

وذكر الواقدى عن ابن أبى سبرة ، عن إسحاق بن عبدالله بن أبى فروة ، عن أبى

الحويرث ، عن نافع بن جبير ، قال : سمعت رجلا من المهاجرين يقول : شهدت أحدا

فنظرت إلى النبل تأتى من كل ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها كل ذلك

يصرف عنه ، ولقد رأيت عبدالله بن شهاب الزهرى يومئذ يقول : دلونى على محمد

لا نجوت إن نجا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ما معه أحد ، فجاوزه ، فعاتبه

في ذلك صفوان بن أمية ، فقال : والله ما رأيته ، أحلف بالله إنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة

فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إليه .

قال الواقدى : ثبت عندى أن الذى رمى في وجنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن قمئة ، والذى رمى في شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبى وقاص .

وقد تقدم عن ابن إسحاق نحو هذا ، وأن الرباعية التى كسرت له عليه السلام

هى اليمنى السفلى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عمن حدثه ، عن سعد بن أبى وقاص ،

قال : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبى وقاص ، وإن كان

ما علمت لسيئ الخلق مبغضا في قومه ، ولقد كفانى فيه قول رسول الله صلى الله عليه

وسلم " اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله " .

وقال عبدالرزاق : حدثنا معمر ، عن الزهرى ، عن عثمان الحرورى ، عن مقسم ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبى وقاص حين كسر رباعيته ودمى

وجهه فقال : " اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا " .

فما حال عليه الحول حتى مات كافرا إلى النار .

وقال أبوسليمان الجوزجانى : حدثنا محمد بن الحسن ، حدثنى إبراهيم بن بن محمد ،

حدثنى ابن عبدالله بن محمد بن أبى بكر بن حرب ، عن أبيه ، عن أبى أمامة بن

سهل بن حنيف ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم داوى وجهه يوم أحد بعظم بال .

هذا حديث غريب رأيته في أثناء كتاب المغازى للاموى في وقعة أحد .

* * *

ولما نال عبدالله بن قمئة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نال ، رجع وهو

يقول : قتلت محمدا . وصرخ الشيطان أزب العقبة يومئذ بأبعد صوت : ألا إن

محمد قد قتل .

فحصل بهتة عظيمة في المسلمين ، واعتقد كثير من الناس ذلك ، وصمموا على القتال

عن حوزة الاسلام حتى يموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم

أنس بن النضر وغيره ممن سيأتى ذكره .

وقد أنزل الله تعالى التسلية في ذلك على تقدير وقوعه ، فقال تعالى : " وما محمد

إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن

ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين . وما كان لنفس أن

تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب

الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين . وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير ،

فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين .

وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا

ـ 61 ـ

وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدينا وحسن ثواب الآخرة والله

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 61 سطر 1 الى ص 70 سطر 22

وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدينا وحسن ثواب الآخرة والله

يحب المحسنين . يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا

خاسرين . بل الله مولاكم وهو خير الناصرين . سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب

بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين " (1) .

وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا التفسير ولله الحمد .

وقد خطب الصديق رضى الله عنه في أول مقام قامه بعد وفاة رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله

فإن الله حى لا يموت ، ثم تلا هذه الآية : " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله

الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم " الآية . قال : فكأن الناس لم يسمعوها

قبل ذلك ، فما من الناس أحد إلا يتلوها .

وروى البيهقى في دلائل النبوة من طريق ابن أبى نجيح ، عن أبيه قال : مر رجل

من المهاجرين يوم أحد على رجل من الانصار وهو يتشحط في دمه . فقال له : يا فلان ،

أشعرت أن محمدا قد قتل ، فقال الانصارى : إن كان محمد صلى الله عليه وسلم قد قتل

فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم !

فنزل : " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل " الآية .

ولعل هذا الانصارى هو أنس بن النضر رضى الله عنه ، وهو عم أنس بن مالك .

قال الامام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حميد ، عن أنس ، أن عمه غاب عن قتال

بدر ، فقال غبت عن أول قتال قاتله النبى صلى الله عليه وسلم للمشركين ، لئن الله

أشهدنى قتالا للمشركين ليرين ما أصنع .

فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إنى أعتذر إليك عما صنع

* (هامش) * (1) سورة آل عمران . ـ *ـ

ـ 62 ـ

هؤلاء ، يعنى أصحابه ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، يعنى المشركين ، ثم تقدم

فلقيه سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد : أنا معك . قال سعد : فلم أستطع

أصنع ما صنع .

فوجد فيه بضع وثمانون ، من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم .

قال : فكنا نقول : فيه وفى أصحابه نزلت : " فمنهم من قضى نحبه ومنهم

من ينتظر " .

ورواه الترمذى عن عبد بن حميد ، والنسائى عن إسحاق بن راهويه ، كلاهما

عن يزيد بن هارون به . وقال الترمذى : حسن .

قلت : بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا بهز ، وحدثنا هاشم ، قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت

قال : قال أنس : عمى . قال هاشم : أنس بن النضر . سميت به ، ولم يشهد مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم يوم بدر . قال : فشق عليه وقال : أول مشهد شهده رسول الله صلى

الله عليه وسلم غبت عنه ، ولئن أرانى الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم ليرين الله ما أصنع . قال : فهاب أن يقول غيرها .

فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، قال : فاستقبل سعد بن معاذ ،

فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ واها لريح الجنة أجده دون أحد ، قال : فقاتلهم حتى قتل ،

فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية .

قال : فقالت أخته عمتى الربيع بنت النضر : فما عرفت أخى إلا ببنانه . ونزلت هذه

الآية : " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من

ينتظر ، وما بدلوا تبديلا " .

قال : فكانا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه .

ـ 63 ـ

ورواه مسلم ، عن محمد بن حاتم ، عن بهز بن أسد . ورواه الترمذى والنسائى من

حديث عبدالله بن المبارك . وزاد النسائى ، وأبوداود وحماد بن سلمة ، أربعتهم عن

سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال أبوالاسود ، عن عروة بن الزبير قال : كان أبى بن خلف أخو بنى جمح قد

حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما بلغت رسول الله صلى الله

عليه وسلم حلفته قال : بل أنا أقتله إن شاء الله .

فلما كان يوم أحد أقبل أبى في الحديد مقنعا وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمد .

فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بنى

عبدالدار يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر

رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبى بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة

فطعنه فيها بالحربة فوقع إلى الارض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم .

فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له : ما أجزعك ! إنما

هو خدش .

فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتل أبيا ، ثم قال : والذى نفسى

بيده ، لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون .

فمات إلى النار ، فسحقا لاصحاب السعير !

وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب نحوه .

وقال ابن إسحاق : لما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ، أدركه أبى

ابن خلف وهو يقول : لا نجوت إن نجوت .

فقال القوم : يا رسول الله يعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : دعوه .

فلما دنامنه : تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ،

فقال بعض القوم ، كما ذكر لى ، فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض

انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله صلى

الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا .

وذكر الواقدى عن يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر

ابن قتادة ، عن عبدالله بن كعب بن مالك ، عن أبيه . نحو ذلك .

قال الواقدى : وكان ابن عمر يقول : مات أبى بن خلف ببطن رابغ ، فإنى لاسير ببطن

رابغ بعد هوى من الليل إذا أنا بنار تأججت فهبتها وإذا برجل يخرج منها بسلسلة

يجذبها يهيجه العطش ، فإذا رجل يقول : لا تسقه فإنه قتيل رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، هذا أبى بن خلف .

وقد ثبت في الصحيحين كما تقدم ، من طريق عبدالرزاق ، عم معمر ، عن همام ،

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اشتد غضب الله على رجل

يقتله رسول الله في سبيل الله " .

ورواه البخارى ، من طريق ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن

ابن عباس : " اشتد غضب الله على من قتله رسول لله بيده في سبيل الله " .

* * *

وقال البخارى : وقال أبوالوليد ، عن شعبة ، عن ابن المنكدر ، سمعت جابرا

قال : لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبى صلى

الله عليه وسلم ينهوننى صلى الله عليه وسلم لم ينه ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم :

" لا تبكه أو ما تبكيه ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع " .

ـ 65 ـ

هكذا ذكر هذا الحديث هاهنا معلقا ، وقد أسنده في الجنائز عن بندار عن

غندر ، عن شعبة .

ورواه مسلم والنسائى من طرق عن شعبة به .

وقال البخارى : حدثنا عبدان ، أخبرنا عبدالله بن المبارك ، عن شعبة ، عن سعد

ابن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم ، أن عبدالرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائما فقال :

قتل مصعب بن عمير وهو خير منى ، كفن في بردة إن غطى رأسه بدت رجلاء ،

وإن غطى رجلاه بدا رأسه ، وأراه قال : وقتل حمزة هو خير منى ، ثم بسط لنا من

الدنيا ما بسط ، أو قال : أعطينا من الدنيا ما أعطينا . وقد خشينا أن تكون حسناتنا

عجلت لنا . ثم جعل يبكى حتى برد الطعام .

انفرد به البخارى .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا الاعمش ، عن شقيق ،

عن خباب بن الارت ، قال : هاجرنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نبتغى وجه الله ، فوجب

أجرنا على الله ، فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئا ، كان منهم مصعب بن

عمير ، قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة (1) ، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه ، وإذا

غطى بها رجلاه خرج رأسه ، فقال لنا النبى صلى الله عليه وسلم : غطوا بها رأسه واجعلوا

على رجله الاذخر . ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها (2) .

وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجة من طرق ، عن الاعمش به .

وقال البخارى : حدثنا عبيدالله بن سعيد ، حدثنا أبوأسامة ، عن هشام بن عروة ،

عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما كان يوم أحد هزم المشركون ، فصرخ إبليس لعنة الله

* (هامش) * (1) النمرة : بردة من صوف . (2) يهدبها : يجتنيها . ـ * ـ

عليه : أى عباد الله (1) أخراكم . فرجعت أولادهم فاجتلدت هى وأخراهم ، فبصر حذيفة

فإذا هو بأبيه اليمان فقال : أى عباد الله أبى أبى ! قال : قالت : فوالله ما احتجزوا حتى

قتلوه . فقال حذيفة : يغفر الله لكم .

قال عروة : فوالله ما زال في حذيفة بقية خير (29 حتى لقى الله عزوجل .

قلت : كان سبب ذلك أن اليمان وثابت بن وقش كانا في الآطام مع النساء لكبرهما

وضعفهما ، فقالا : إنه لم يبق من آجالنا إلا ظمء (3) حمار . فنزلا ليحضرا الحرب فجاء

طريقهما ناحية المشركين ، فأما ثابت فقتله المشركون ، وأما اليمان فقتله المسلمون خطأ .

وتصدق حذيفة بدية أبيه على المسلمين ، ولم يعاتب أحدا منهم ، لظهور العذر في ذلك .

* * *

فصل

قال ابن إسحاق : وأصببت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى سقطت على وجنته ،

فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما .

وفى الحديث عن جابر بن عبدالله ، أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى

سالت على خده ، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها ، فكانت أحسن عينيه

وأحدهما ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الاخرى .

وروى الدار قطنى بإسناد غريب ، عن مالك ، عن محمد بن عبدالله بن ابى صعصعة ،

عن أبيه ، عن أبى سعيد ، عن أخيه قتادة بن النعمان قال : أصيبت عيناى يوم أحد

فسقطتا على وجنتى ، فأتيت بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعادهما مكانهما وبصق

فيهما فعادتا تبرقان .

* (هامش) * (1) يريد المسلمين ، أى احترزوا من الذين وراءكم متأخرين عنكم ، ليقتل بعض المسلمين بعضا .

(2) وقيل : بقية حزن . القسطلانى 6 / 300

(3) الظمء : ما بين الشربتين والوردين ، والمراد : ما بقى إلا يسير ، لانه ليس شئ أقصر ظمأ منه . ـ * ـ

والمشهور الاول ، أنه أصيبت عينه الواحدة ، ولهذا لما وفد ولده على عمر بن

عبدالعزيز قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلا :

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لاول أمرها * فيا حسنها عينا ويا حسن ما خد

فقال عمر بن عبدالعزيز عند ذلك :

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا !

ثم وصله فأحسن جائزته رضى الله عنه .

* * *

فصل

قال ابن هشام : وقاتلت أم عمارة نسبة (1) بنت كعب المازنية يوم أحد .

فذكر سعيد بن أبى زيد الانصارى ، أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول :

دخلت على أم عمارة فقلت لها : يا خالة أخبرينى خبرك . فقالت : خرجت أول النهار

أنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو في أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس ، حتى

خلصت الجراح إلى .

قالت : فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور ، فقلت لها : من أصابك بهذا ؟

قالت : ابن قمئة أقمأه الله ، لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول :

دلونى على محمد لا نجوت إن نجا . فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت

* (هامش) * (1) نسيبة ، بفتح النون وكسر السين المهملة ، كما ضبطها في الاكمال والتبصير والاصابة وغيرهم ، وصبطها

بالتصغير وهم ، إنما هذا في نسيبة أم عطية ، فنقله في أم عمارة غلط . انظر شرح المواهب 2 / 41 . ـ * ـ

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربنى هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ،

ولكن عدو الله كانت عليه درعان .

قال ابن إسحاق : وترس أبودجانة دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، يقع

النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم رمى عن قوسه ، حتى اندقت سيتها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثنى القاسم بن عبدالرحمن بن رافع ، أخو بنى عدى بن

النجار ، قال : انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن

عبيدالله ، في رجال من المهاجرين والانصار ، وقد ألقوا بأيديهم فقال : فما يجلسكم ؟ قالوا :

قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فما تصنعون بالحياة بعده ! قوموا فموتوا على ما مات

عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم استقبل فقاتل حتى قتل ، وبه سمى

أنس بن مالك .

فحدثنى حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ

سبعين ضربة ، فما عرفه إلا أخته ، عرفته ببنانه .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن عبدالرحمن بن عوف أصيب فوه

يومئذ فهتم ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فعرج .

* * *

فصل

قال ابن إسحاق : وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة

وقول الناس قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر لى الزهرى ، كعب بن مالك

قال : رأيت عينيه تزهران من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتى يا معشر المسلمين

أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن أنصت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ،

ونهض معهم نحو الشعب معه أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب

وطلحة بن عبيدالله الزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين ، فلما

أسند (1) رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبى بن خلف ، فذكر

قتله عليه السلام أبيا كما تقدم .

قال ابن إسحاق : وكان أبى بن خلف ، كما حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن

ابن عوف يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد إن عندى العوذ ،

فرسا ، أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله .

فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم ، فقال :

قتلنى والله محمد . فقالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك بأس . قال : إنه قد كان

قال لى بمكة : أنا أقتلك . فوالله لو بصق على لقتلنى ! فمات عدو الله بسرف (2) ،

وهم قافلون به إلى مكة .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

لقد ورث الضلالة عن أبيه * أبى يوم بارزه الرسول

أتيت إليه تحمل رم عظم * وتوعده وأنت به جهول

وقد قتلت بنو النجار منكم * أمية إذ يغوث : يا عقيل

* (هامش) * (1) أسند : صعد . أى استند إلى جانب من الجبل . (2) سرف : موضع على ستة أميال من مكة . ـ *

وتب ابنا ربيعة إذا أطاعا * أبا جهل لامهما الهبول

وأفلت حارث لما شغلنا * بأسر القوم ، أسرته فليل

وقال حسان بن ثابت أيضا :

ألا من مبلغ عنى أبيا * فقد (1) ألقيت في سحق السعير

تمنى بالضلالة من بعيد * وتقسم أن قدرت مع النذور

تمنيك الامانى من بعيد * وقول الكفر يرجع في غرور

فقد لاقتك طعنة ذى حفاظ * كريم البيت ليس بذى فجور

له فضل على الاحياء طرا * إذا نابت ملمات الامور

* * *

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب خرج على

ابن أبى طالب حتى ملا درقته ماء من المهراس (2) ، فجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ليشرب منه ، فوجد له ريحا فعافه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم وصب على

رأسه وهو يقول : " اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه " .

وقد تقدم شواهد ذلك من الاحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية .

قال ابن إسحاق : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب معه أولئك النفر

من أصحابه إذ علت عالية من قريش الجبل . قال ابن هشام : فيهم خالد بن الوليد .

قال إبن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه لا ينبغى لهم

أن يعلونا .

فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض

* (هامش) * (1) ابن هشام : لقد .

(2) الدرقة : الجحفة ، وهى ترس من جلد ، والمهراس : ماء بأحد . ـ * ـ

ـ 71 ـ

النبى صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بدن (1) رسول الله صلى

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 71 سطر 1 الى ص 80 سطر 21

النبى صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بدن (1) رسول الله صلى

الله عليه وسلم وظاهر بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن

عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها .

فحدثنى يحيى بن عباد ، بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبدالله بن الزبير ،

عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ : " أوجب طلحة (2) "

حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ما صنع .

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى عفرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى

الظهر يوم أحد قاعدا من الجراح التى أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعودا .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجل أ ؟ ؟

لا يدرى من هو يقال له قزمان ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا

ذكر : " إنه لمن أهل النار " .

قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا ، فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من

المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبنته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بنى ظفر .

قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر .

قال : بماذا أبشر ! فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومى ، ولولا ذلك ما قاتلت !

قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه .

وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر . كما سيأتى إن شاء الله .

قال الامام أحمد : حدثنا عبدالرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهرى ، عن المسيب ،

عن أبى هريرة ، قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل

* (هامش) * (1) بدن : ثقل من السن . (2) يعنى : أحدث شيئا يستوجب به الجنة . ـ *ـ

ممن يدعى الاسلام : " هذا من أهل النار " .

فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا ، فأصابته جراحة ، فقيل : يا رسول الله

الرجل الذى قلت إنه من أهل النار . قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات . فقال النبي

صلى الله عليه وسلم : " إلى النار " .

فكاد بعض القوم يرتاب ، فبينما هم على ذلك إذ قيل : فإنه لم يمت ولكن به

جراح شديدة ، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه .

فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : " الله أكبر ، أشهد أنى عبد

الله ورسوله " .

ثم أمر بلالا فنادى في الناس : " إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وإن الله يؤيد

هذا الدين بالرجل الفاجر ! " .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث عبدالرزاق به .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق ، وكان أحد بنى ثعلبة بن

الفطيون فلما كان يوم أحد قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق .

قالوا : إن اليوم يوم السبت . قال : لا سبت لكم .

فأخذ سيفه وعدته وقال : إن أصبت فمالى لمحمد يصنع فيه ما شاء .

ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قتل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا : " مخيريق خير يهود " .

قال السهيلى : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال مخيريق ، وكانت سبع

حوائط ، أوقافا بالمدينة لله .

ـ 73 ـ

قال محمد بن كعب القرظى : وكانت أول وقف بالمدينة .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى الحصين بن عبدالرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ ، عن

أبى سفيان مولى ابن أبى أحمد ، عن أبى هريرة ، أنه كان يقول : حدثونى عن رجل دخل

الجنة لم يصل قط .

فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو ؟ فيقول : أصيرم بنى عبدالاشهل ، عمرو بن

ثابت بن وقش .

قال الحصين : فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأن الاصيرم ؟ قال : كان يأبى

الاسلام على قومه ، فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ، ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل

في عرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . قال : فبينما رجال من بنى عبد الاشهل

يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للاصيرم ما جاء به ؟ لقد

تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث . فسألوه فقالوا : ـ ما جاء بك ياعمرو ـ (1) أحدب على

قومك أم رغبة في الاسلام ؟

فقال : رغبة في الاسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفى وغدوت

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى .

فلم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " إنه

من أهل الجنة " .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى ، عن أشياخ من بنى سلمة ، قالوا : كان عمرو بن

الجموح رجلا أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الاسد يشهدون مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا : إن الله قد عذرك .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إن بنى يريدون أن يحبسونى عن هذا

* (هامش) * (1) من ابن هشام . ـ * ـ

الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إنى لارجو أن أطأ بعرجتى هذه الجنة !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك "

وقال لبنيه : " ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة " .

فخرج معه فقتل يوم أحد رضى الله عنه .

* * *

قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عتبة - كما حدثنى صالح بن كيسان - والنسوة

اللائى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدعن الآذان

والانوف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدما (1) وقلائد ، وأعطت

خدمها وقلائدها وقرطها وحشيا . وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن

تسيغها فلفظتها .

وذكر موسى بن عقبة أن الذى بقر عن كبد حمزة وحشى ، فحملها إلى هند فلاكتها

فلم تستطع أن تسيغها . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر (2)

ما كان لى عن عتبة من صبر * ولا أخى وعمه وبكر

شفيت نفسى وقضيت نذرى * شفيت وحشى غليل صدرى

فشكر وحشى على عمرى * حتى ترم أعظمى في قبرى

قال : فأجباتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب فقالت :

خزيت في بدر وبعد بدر * يا بنت وقاع عظيم الكفر

صبحك الله غداة الفجر * م الهاشميين الطوال الزهر

* (هامش) * (1) الخدم : الخلاخيل . (2) السعر بضمتين : الشدة والقرم . ـ * ـ

بكل قطاع حسام يفرى * حمزة ليثى وعلى صقرى

إذ رام شيب وأبوك غدرى * فخضبا منه ضواحى النحر

ونذرك السوء فشر نذر

قال ابن إسحاق : وكان الحليس بن زيان أخو بنى الحارث بن عبد مناة - وهو

يومئذ سيد الاحابيش - مر بأبى سفيان وهو يضرب في شدق حمزة بن ع بدالمطلب

بزج الرمح ويقول : ذق عقق !

فقال الحليس : يا بنى كنانة ، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحما !

فقال : ويحك اكتمها عنى فإنها كانت زلة .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم

صرخ بأعلى صوته : أنعمت (1) ـ فعال ـ (2) إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر ، اعل هبل

أى ظهر دينك (3) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : " قم يا عمر فأجبه فقل : الله أعلى وأجل ،

لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار " .

فقال له أبوسفيان : هلم إلى يا عمر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : ائته

فانظر ماشأنه .

فجاءه فقال له أبوسفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمدا ؟ فقال عمر : اللهم لا ،

وإنه ليسمع كلامك الآن . قال : أنت عندى أصدق من ابن قمئة وأبر .

* (هامش) * (1) أنعمت : بفتح التاء : خطاب لنفسه . وبسكونها يريد : الحرب أو الواقعة أو الازلام : " أجابت بنعم "

(2) من ابن هشام . وفعال : اسم للفعل الحسن . وقال السهيلى : فعال : أمر ، أى عال عنها وأقصر

عن لومها ، تقول العرب : اعنى وعال ، بمعنى ارتفع عنى ودعنى .

(3) ابن هشام : أى : أظهر دينك . ـ *ـ

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبوسفيان : إنه قد كان في قتلاكم مثل (1) والله ما رضيت

وما سخطت ، وما نهيت ولا أمرت .

قال : ولما انصرف أبوسفيان نادى : إن موعدكم بدر العام المقبل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل : نعم هو بيننا وبينك موعد .

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال :

اخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل

وامتطوا الابل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة .

والذى نفسى بيده إن أرادوها لاسيرن إليهم فيها ثم لاناجزنهم .

قال على : فخرجت في أثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الابل

ووجهوا إلى مكة .

* (هامش) (1) المثل : كالمثلة ، التنكيل بالقتلى . ـ * ـ

ـ 77 ـ

ذكر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم بعد الوقعة يوم أحد

قال الامام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزارى ، حدثنا عبدالواحد بن أيمن

المكى ، عن ابن رفاعة الزرقى ، عن أبيه ، قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " استووا حتى أثنى على ربى عزوجل ، فصاروا خلفه

صفوفا فقال :

" اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا

هادى لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ،

ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قربت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك

وفضلك ورزقك .

اللهم إنى أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول ، اللهم إنى أسألك النعيم يوم

العيلة والامن يوم الخوف .

اللهم إنى عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا .

اللهم حبب إينا الايمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان

واجعلنا من الراشدين .

اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين .

اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم

رجزك وعذابك . اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب ، إله الحق " .

ورواه النسائى في اليوم والليلة ، عن زياد بن أيوب ، عن مروان بن معاوية ، عن

عبدالواحد بن أيمن ، عن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه به .

ـ 78 ـ

فصل

قال ابن إسحاق : وفرغ الناس لقتلاهم ، فحدثنى محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن

ابن أبى صعصعة المازنى ، أخو بنى النجار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع أفى الاحياء هو أم في الاموات ؟ فقال رجل

من الانصار : أنا .

فنظر فوجده جريحا في القتلى وبه رمق ، قال : فقال له : إن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أمرنى أن أنظر أفى الاحياء أنت أم في الاموات .

فقال : أنا في الاموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم سلامى وقل له : إن سعد

ابن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته . وأبلغ قومك عنى السلام

وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم

وفيكم عين تطرف !

قال : ثم لم أبرح حتى مات وجئت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

قلت : كان الرجل الذى التمس سعدا في القتلى محمد بن سلمة ، فيما ذكره محمد بن

عمر الواقدى . وذكر أنه ناداه مرتين لم يجبه ، فلما قال : إن رسول الله أمرنى أن أنظر

خبرك . أجابه بصوت ضعيف وذكره .

وقال الشيخ أبوعمر في الاستيعاب : كان الرجل الذى التمس سعدا أبى بن

كعب . فالله أعلم .

وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة رضى الله عنه ، وهو الذى آخى رسول

الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبدالرحمن بن عوف .

* * *

ـ 79 ـ

قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يلتمس حمزة بن

ع بدالمطلب ، فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه .

فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى

ما رأى : " لولا أن تحزن صفية وتكون سنة من بعدى ، لتركته حتى يكون في

بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش في موطن من المواطن

لامثلن بثلاثين رجلا منهم " .

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه

ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها

أحد من العرب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمى ، عن محمد بن كعب ،

وحدثنى من لا أتهم عن ابن عباس ، أن الله أنزل في ذلك : " وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل

ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين " الآية .

قال : فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة .

قلت : هذه الآية مكية ، وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين ، فكيف يلتئم

هذا ؟ ! فالله أعلم .

قال : وحدثنى حميد الطويل ، عن الحسن ، عن سمرة ، قال : ما قام رسول الله

صلى الله عليه وسلم في مقام قط ففارقه حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثلة .

وقال ابن هشام : ولما وقف النبى صلى الله عليه وسلم على حمزة قال : " لن أصاب

بمثلك أبدا ، ما وقفت قط موقفا أغيظ إلى من هذا ! " .

ثم قال : " جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة مكتوب في السماوات السبع : " حمزة

ابن ع بدالمطلب أسد الله وأسد رسوله " .

ـ 80 ـ

قال ابن هشام : وكان حمزة وأبوسلمة بن عبدالاسد أخوى رسول الله صلى الله

عليه وسلم من الرضاعة ، أرضعتهم ثلاثتهم ثويبة مولاة أبى لهب .

ذكر الصلاة على حمزة وقتلى أحد

وقال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال :

" أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسجى ببردة ثم صلى عليه ، فكبر سبع

تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه

ثنتين وسبعين صلاة " .

وهذا غريب وسنده ضعيف .

قال السهيلى : ولم يقل به أحد من علماء الامصار .

وقد قال الامام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن

الشعبى ، عن ابن مسعود ، قال : إن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على

جرحى المشركين ، فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر أن ليس أحد منا يريد الدنيا

حتى أنزل الله : " منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم

عنهم ليبتليكم . " .

فلما خالف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ما أمروا به أفرد رسول

الله صلى الله عليه وسلم في تسعة : سبعة من الانصار واثنين من قريش وهو عاشرهم ، فلما

رهقوه قال : رحم الله رجلا ردهم عنا . فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة ، فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه : ما أنصفنا أصحابنا .

فجاء أبوسفيان فقال : اعل هبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا :

الله أعلى وأجل . فقالوا : الله أعلى وأجل .

ـ 81 ـ

فقال أبوسفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 81 سطر 1 الى ص 90 سطر 22

فقال أبوسفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم .

ثم قال أبوسفيان : يوم بيوم بدر ، يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر ،

حنظلة بحنظلة ، وفلان بفلان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا سواء ، أما قتلانا فأحياء يرزقون وقتلاكم

في النار يعذبون .

قال أبوسفيان : قد كانت في القوم مثله وإن كانت لعن غير ملامنا ، ما أمرت

ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ، ولا ساءنى ولا سرنى .

قال : فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن

تأكلها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أأكلت شيئا ؟ قالوا : لا . قال : ما كان

الله ليدخل شيئا من حمزة في النار .

قال : فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة فصلى عليه وجئ برجل من

الانصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه ، فرفع الانصارى وترك حمزة ، وجئ بآخر

فوضعه إلى جنب حمزة فصلى عليه ، ثم رفع وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ

سبعين صلاة " .

تفرد به أحمد ، وهذا إسناد فيه ضعف أيضا من جهة عطاء بن السائب . فالله أعلم .

والذى رواه البخارى أثبت حيث قال : حدثنا قتيبة ، حدثنا الليث ، عن ابن

شهاب ، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك ، أن جابر بن عبدالله أخبره أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول : أيهم

أكثر أخذا للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد ، وقال : أنا شهيد على هؤلاء

يوم القيامة . وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا .

ـ 82 ـ

تفرد به البخارى دون مسلم . ورواه أهل السنن من حديث الليث بن سعد به .

وقال أحمد : حدثنا محمد ، يعنى ابن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت عبد ربه يحدث

عن الزهرى ، عن ابن جابر ، عن جابر ابن عبدالله ، عن النبى صلى الله عليه وسلم

أنه قال في قتلى أحد : فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكا يوم القيامة .

ولم يصل عليهم .

وثبت أنه صلى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته بيسير . كما قال البخارى :

حدثنا محمد بن عبدالرحيم ، حدثنا زكريا بن عدى ، أخبرنا ـ ابن (1) ـ المبارك ،

عن حيوة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الخير ، عن عقبة بن عامر ، قال :

صلى (2) رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمانى سنين كالمودع للاحياء

والاموات ، ثم طلع المنبر فقال : " إنى بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد ، وإن

موعدكم الحوض ، وإنى لانظر إليه من مقامى هذا ، وإنى لست أخشى عليكم أن

تشركوا ، ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها .

قال : فكان آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه البخارى في مواضع أخر ، ومسلم ، وأبوداود ، والنسائى ، من حديث يزيد

ابن أبى حبيب به نحوه .

وقال الاموى : حدثنى أبى ، حدثنا الحسن بن عمارة ، عن حبيب بن أبى ثابت ،

قال : قالت عائشة : خرجنا من السحر مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد

نستطلع الخبر ، حتى إذا طلع الفجر إذا رجل محتجر يشتد ويقول :

لبث قليلا يشهد الهيجا حمل (3)

* (هامش) * (1) ابن المبارك هو عبدالله . وقد سقطت من الاصل . وأثبتها من صحيح البخارى في غزوة أحد .

(2) قال القسطلاني : المراد أنه دعا لهم بدعاء صلاة الميت ، والاجماع يدل له ، لانه لا يصلى عليه - أى القبر -

عند الشافعية ، وعند أبى حنيفة المخالف : لا يصلى على القبر بعد ثلاثة أيام . إرشاد السارى 6 / 291 .

(3) نسبه في تاج العروس 7 / 290 لحمل بن سعدانة الصحابى . وعجزه : " ما أحسن الموت إذا حان

الاجل " وروايته في اللسان 13 / 193 : " ضح قليلا يدرك . " وقال : " يعنى به حمل بن بدر " . ـ *ـ

ـ 83 ـ

قال : فنظرنا فإذا أسيد بن حضير ، ثم مكثنا بعد ذلك ، فإذا بعير قد أقبل ، عليه

امرأء بين وسقين .

قالت : فدنونا منها فإذا هى امرأة عمرو بن الجموح ، فقلنا لها : ما الخبر ؟ قالت : دفع

الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذ من المؤمنين شهداء " ورد الله الذين كفروا

بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا " .

ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، فقلنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخى

وزوجى .

وقال ابن إسحاق : وقد أقبلت صفية بنت ع بدالمطلب لتنظر إليه ، وكان

أخاها لابيها وأمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : ألقها

فارجعها لا ترى ما بأخيها . فقال لها : يا أمة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن

ترجعى . قالت : ولم ، وقد بلغنى أنهمثل بأخى وذلك من الله ، فما أرضانا ما كان من

ذلك ، لاحتسبن ولاصبرن إن شاء الله .

فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قال : خل سبيلها ،

فأتته فنظرت إليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت .

قال إبن إسحاق : ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن ، ودفن معه ابن

أخته عبدالله بن جحش وأمه أميمة بنت ع بدالمطلب ، وكان قد مثل به غير أنه لم ينقر

عن كبده . رضى الله عنهما .

قال السهيلي : وكان يقال له المجدع في الله . قال : وذكر سعد أنه هو وعبدالله بن

جحش دعيا بدعوة فاستجيب لهما ، فدعا سعد أن يلقى فارسا من المشركين فيقتله

ويستلبه ، فكان ذلك . ودعا عبدالله بن جحش أن يلقاه فارس فيقتله ويجدع أنفه في

الله ، فكان ذلك .

ـ 84 ـ

وذكر الزبير بن بكار أن سيفه يومئذ انقطع ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه

وسلم عرجونا فصار في يد عبدالله بن جحش سيفا يقاتل به ، ثم بيع في تركة بعض ولده

بمائتى دينار .

وهذا كماتقدم لعكاشة في يوم بدر .

* * *

وقد تقدم في صحيح البخارى أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين

الرجلين والثلاثة في القبر الواحد ، بل في الكفن الواحد .

وإنما أرخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح التى يشق معها أن يحفروا لكل

واحد واحد . ويقدم في اللحد أكثرهما أخذا للقرآن .

وكان يجمع بين الرجلين ا لمتصاحبين في اللحد الواحد ، كما جمع بين عبدالله بن عمرو

بنحرام والد جابر ، وبين عمرو بن الجموح ، لانهما كانا متصاحبين .

ولم يغسلوا بل تركهم بجراحهم ودمائهم .

كما روى ابن إسحاق عن الزهرى ، عن عبدالله بن ثعلبة بن صعير (1) أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال : " أنا شهيد على هؤلاء ، أنه ما من

جريح يجرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه ، اللون لون دم والريح

ريح مسك " .

قال : وحدثني عمى موسى بن يسار ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبوالقاسم صلى

الله عليه وسلم : " ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى ، اللون

لون الدم والريح ريح المسك " .

* (هامش) * (1) من بنى عذرة حليف بن زهرة ، له رؤية ولم يثبت له سماع ، مات سنة تسع وثمانين

وقد قارب التسعين . ـ *ـ

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه .

وقال الامام أحمد : حدثنا على بن عاصم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ،

عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بالشهداء أن ينزع

عنهم الحديث والجلود وقال : " ادفنوهم بدمائهم وثيابهم " .

رواه أبوداود وابن ماجة من حديث على بن عاصم به .

وقال الامام أبوداود في سننه : حدثنا القعنبى ، أن سليمان بن المغيرة حدثهم ، عن

حميد بن هلال ، عن هشام بن عامر ، أنه قال : جاءت الانصار إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم يوم أحد فقالوا : قد أصابنا قرح وجهد فكيف تأمر ؟ فقال : " احفروا

وأوسعوا ، واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبل الواحد " .

قيل : يا رسول الله فأيهم يقدم ؟ قال : أكثرهم قرآنا .

ثم رواه من حديث الثورى ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن هشام بن عامر .

فذكره . وزاد : وأعمقوا .

قال ابن إسحاق : وقد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ، ثم

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال :

" ادفنوهم حيث صرعوا " .

وقد قال الامام أحمد : حدثنا على بن إسحاق ، حدثنا عبدالله وعتاب ، حدثنا عبد

الله ، حدثنا عمر بن سلمة بن أبى يزيد المدينى ، حدثنى أبى ، سمعت جابر بن عبدالله

يقول : استشهد أبى بأحد ، فأرسلنى أخواتى إليه بناضج لهن ، فقلن : اذهب فاحتمل أباك

على هذا الجمل فادفنه في مقبرة بنى سلمة .

فقال : فجئته وأعوان لى ، فبلغ ذلك نبى الله وهو جالس بأحد ، فدعانى فقال :

" والذى نفسى بيده لا يدفن إلا مع إخوته " .

فدفن مع أصحابه بأحد .

تفرد به أحمد .

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الاسود بن قيس ، عن

نبيح ، عن جابر بن عبدالله ، أن قتلى أحد حملوا من مكانهم ، فنادى منادى النبى صلى الله

عليه وسلم : أن ردوا القتلى إلى مضاجعهم .

وقد رواه أبوداود والنسائى من حديث الثورى ، والترمذى ، من حديث شعبة

والنسائى أيضا ، وابن ماجة من حديث سفيان بن عيينة ، كلهم عن الاسود بن قيس ، عن

نبيح العنرى ، عن جابر بن عبدالله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة

إلى المشركين يقاتلهم وقال لى أبى عبدالله : يا جابر لا عليك أن تكون في نظارى أهل

المدينة حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا ، فإنى والله لولا أنى أترك بنات لى بعدى لاحببت أن

تقتل بين يدى .

قال : فبينا أنا في النظارين إذ جاءت عمتى بأبى وخالى عادلتهما على ناضح ، فدخلت

بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا ، إذ لحق رجل ينادى : ألا إن النبى صلى الله عليه

وسلم يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت . فرجعنا بهما فدفناهما

حيث قتلا .

فبينا أنا في خلافة معاوية بن أبى سفيان إذ جاءنى رجل فقال : يا جابر بن عبدالله ،

والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا ، فخرج طائفة منه .

فأتيته فوجدته على النحو الذى دفنته لم يتغير ، إلا ما لم يدع القتل أو القتيل .

ثم ساق الامام قصة وفائه دين أبيه ، كما هو ثابت في الصحيحين .

وروى البيهقى من طريق حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن

عبدالله قال : لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة استصرخنا إليهم ،

فأتيناهم فأخرجناهم ، فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دما !

وفى رواية ابن إسحاق عن جابر قال : فأخرجناهم كأنما دفنوا بالامس .

وذكر الواقدى أن معاوية لما أراد أن يجرى العين نادى منادية : من كان له قتيل

بأحد فليشهد . قال جابر : فحفرنا عنهم فوجدت أبى في قبره كأنما هو نائم على هيئته

ووجدنا جاره في قبره عمرو بن الجموح ويده على جرحه ، فأزيلت عنه فانبعث جرحه دما !

ويقال : إنه فاحمن قبورهم مثل ريح المسك رضى الله عنهم أجمعين . وذلك بعد

ست وأربعين سنة من يوم دفنوا .

* * *

وقد قال البخارى : حدثنا مسدد ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا حسين المعلم ، عن

عطاء ، عن جابر قال : لما حضر أحد دعانى أبى من الليل فقال لى : ما أرانى إلا مقتولا

في أول من يقتل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وإنى لا أترك بعدى أعز على

منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن على دينا فاقض واستوص

بأخواتك خيرا .

فأصبحنا ، وكان أول قتيل ، فدفنت معه آخر في قبره ، ثم لم تطب نفسى أن أتركه

مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته هيئة غير أذنه .

وثبت في الصحيحين من حديث شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، أنه لما قتل

أبوه جعل يكشف عنه الثوب ويبكى ، فنهاه الناس فقال رسول الله : " تبكيه أو لا تبكيه ،

لم تزل الملائكة تظله حتى رفعتموه " .

وفى رواية أن عمته هى الباكية .

وقال البيهقى : حدثنا أ بوعبدالله الحافظ وأبوبكر أحمد بن الحسن القاضى ، قالا :

حدثنا أ بوالعباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا فيض بن وثيق البصرى ،

حدثنا أبوعبادة الانصارى ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم لجابر : " يا جابر ألا أبشرك ؟ قال : بلى ، بشرك الله بالخير . فقال :

" أشعرت أن الله أحيا أباك فقال : تمن على عبدى ما شئت أعطكه . قال : يا رب

عبدتك حق عبادتك ، أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأقتل فيك مرة

أخرى . قال : إنه سلف منه أنه إليها لا يرجع " .

وقال البيهقى : حدثنا أبو الحسن محمد بن أبى المعروف ا لاسفراييني ، حدثنا أبوسهل

بشر بن أحمد ، حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر ، حدثنا على بن المدينى ، حدثنا موسى

ابن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكة الانصارى ، قال : سمعت طلحة بن خراش بن

عبدالرحمن بن خراش بن الصمة الانصارى ثم السلمى ، قال : سمعت جابر بن عبدالله قال :

نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . " مالى أراك مهتما ؟ قال : قلت : يا رسول

الله قتل أبى وترك دينا وعيالا ، فقال : ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحدا إلا من وراء

حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحا وقال له : يا عبدى سلنى أعطك . فقال : أسألك أن

تردنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال : إنه سبق منى القول : أنهم إليها لا يرجعون .

قال : يا رب فأبلغ من ورائى . فأنزل الله " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا

بل أحياء عند ربهم يرزقون (1) " الآية .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا عن عبدالله بن محمد بن عقيل ، سمعت

جابرا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ألا أبشرك يا جابر ؟ قلت : بلى ، قال :

إن أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله ثم قال له : ما تحب يا عبدالله ، ما تحب أن أفعل بك ؟

قال : أى رب أحب أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى " .

وقد رواه أحمد عن على بن المدينى ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن على بن

* (هامش) * (1) سورة آل عمران آية 169 . ـ * ـ

ـ 89 ـ

ربيعة السلمى ، عن ابن عقيل ، عن جابر ، وزاد : فقال الله : إنى قضيت أنهم إليها

لا يرجعون .

وقال أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن ابن إسحاق ، حدثنى عاصم بن عمر بن

قتادة ، عن عبدالرحمن بن جابر ، عن عبدالله عن جابر بن عبدالله ، قال : سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، إذا ذكر أصحاب أحد : " أما والله لوددت أنى

غودرت مع أصحابه بحضن الجبل " يعنى سفح الجبل .

تفرد به أحمد .

وقد روى البيهقى من حديث عبدالاعلى بن عبدالله بن أبى فروة ، عن قطن بن

وهب ، عن عبيد بن عمير ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه ، فوقف عليه فدعا له

ثم قرأ : " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه " الآية قال : " أشهد أن هؤلاء

شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم ، والذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد إن

يوم القيامة إلا ردوا عليه " .

وهذا حديث غريب .

وروى عن عبيد بن عمير مرسلا .

* * *

وروى البيهقى من حديث موسى بن يعقوب ، عن عباد بن أبى صالح ، عن أبيه ،

عن أبى هريرة قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى قبور الشهداء ، فإذا أتى فرضة

الشعب قال : " السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار " ثم كان أبوبكر بعد النبى

صلى الله عليه وسلم يفعله ، وكان عمر بعد أبى بكر يفعله ، وكان عثمان بعد

عمر يفعله .

ـ 90 ـ

قال الواقدى : كان النبى صلى الله عليه وسلم يزورهم كل حول ، فإذا بلغ نقرة الشعب

يقول : " السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار " ثم كان أبوبكر يفعل ذلك كل حول ،

ثم عمر ثم عثمان ، وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأتيهم فتبكى عندهم

وتدعو لهم ، وكان سعد يسلم ثم يقبل على أصحابه فيقول : ألا تسلمون على قوم

يردون عليكم .

ثم حكى زيارتهم عن أبى سعيد ، وأبى هريرة ، وعبدالله بن عمر ، وأم سلمة رضى الله

الله عنهم .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنى إبراهيم ، حدثنى الحكم بن نافع ، حدثنا العطاف بن

خالد ، حدثنى خالتى قالت : ركبت يوما إلى قبور الشهداء - وكانت لا تزال تأتيهم -

فنزلت عند حمزة فصليت ما شاء الله أن أصلى ، وما في الوادى داع ولا مجيب ، إلا غلاما

قائما آخذا برأس دابتى ، فلما فرغت من صلاتى قلت هكذا بيدى : " السلام عليكم "

قالت : فسمعت رد السلام على يخرج من تحت الارض ، أعرفه كما أعرف أن الله عزوجل

خلقنى ، وكما أعرف الليل والنهار ، فاقشعرت كل شعرة منى !

وقال محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أبى الزبير ، عن سعيد بن جبير ،

عن ابن عباس قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم " لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل

الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل

من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وقيلهم قالوا :

من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا على الحرب ولا يزهدوا

في الجهاد ؟

فقال الله عزوجل : أنا أبغلهم عنكم . فأنزل الله في الكتاب قوله تعالى : و " لا

تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " .

ـ 91 ـ

وروى مسلم والبيهقى من حديث أبى معاوية ، عن الاعمش ، عن عبدالله بن مرة ،

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 91 سطر 1 الى ص 100 سطر 22

وروى مسلم والبيهقى من حديث أبى معاوية ، عن الاعمش ، عن عبدالله بن مرة ،

عن مسروق قال : سألنا عبدالله بن مسعود عن هذه الآية : " ولا تحسبن الذين قتلوا في

سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " .

فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرواحهم في

جوف طير خضر تسرح في أيها شاءت ، ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش ، قال : فبينما

هم كذلك إذ طلع عليهم ربك إطلاعة ، فقال : اسألونى ما شئتم . فقالوا : يا ربنا وما نسألك

ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أن لن يتركوا

من أن يسألوا قالوا : نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا نقتل في سبيلك مرة

أخرى . قال : فلما رأى أنهم لا يسالون إلا هذا تركوا .

فصل

في عدد الشهداء

قال موسى بن عقبة : جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والانصار تسعة

وأربعون رجلا .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن البخارى عن البراء ، أنهم قتلوا من المسلمين سبعين

رجلا . فالله أعلم .

وقال قتادة : عن أنس ، قتل من الانصار يوم أحد سبعون ، ويوم بئر معونة سبعون

ويوم اليمامة سبعون .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، أنه كان يقول : قارب السبعين يوم

أحد ، ويوم بئر معونة ، ويوم مؤتة ، ويوم اليمامة .

وقال مالك : عن يحيى بن سعيد الانصارى ن عن سعيد بن المسيب ، قتل من الانصار

يوم أحد ويوم اليمامة سبعون ، ويوم جسر أبى عبيدة سبعون .

وهكذا قال عكرمة وعروة والزهرى ومحمد بن إسحاق في قتلى أحد ، ويشهد له قوله

تعالى " أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنى هذا (1) " يعنى أنهم قتلوا يوم

بدر سبعين وأسروا سبعين .

وعن ابن إسحاق : قتل من الانصار - لعله من المسلمين - يوم أحد خمسة وستون ،

أربعة من المهاجرين : حمزة وعبدالله بن جحش ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان

والباقون من الانصار .

وسرد أسماءهم على قبائلهم . وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة

آخرين ، فصاروا سبعين على قول ابن هشام .

وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين ، وهم اثنان وعشرون رجلا .

وعن عروة : كان الشهداء يوم أحد أربعة ، أو قال سبعة ، وأربعين .

وقال موسى بن عقبة : تسعة وأربعون . وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلا

وقال عروة : تسعة عشر . وقال ابن إسحاق : إثنان وعشرون .

وقال الربيع عن الشافعى : ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عزة الجمحى ، وقد كان

في الاسارى يوم بدر ، فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا فدية واشترط عليه الا

يقاتله ، فلما أسر يوم أحد قال : يا محمد امنن على لبناتى ، وأعاهد ألا أقاتلك . فقال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول : خدعت محمدا مرتين .

ثم أمر به فضربت عنقه .

وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يلدغ المؤمن من

حجر مرتين ! "

* (هامش) * (1) سورة آل عمران 165 . ـ *ـ

ـ 93 ـ

فصل

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلقيته حمنة

بنت جحش كما ذكر لى ، فلما لقيت الناس نعى إليها أخوها عبدالله بن جحش ، فاسترجعت

واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة بن ع بدالمطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى

لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولوت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن

زوج المرأة منها لبمكان ! " لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها .

وقد قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا إسحاق بن محمد الفروى ، حدثنا

عبدالله بن عمر ، عن ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن جحش ، عن أبيه ، عن حمنة بنت

جحش ، أنه قيل لها : قتل أخوك . فقالت : رحمه الله وإنا لله وإنا إليه راجعون . فقالوا :

قتل زوجك قالت : واحزناه !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن للزوج من المرأة لشعبة ما هى لشئ " !

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدالواحد بن أبى عون ، عن إسماعيل ، عن محمد ،

عن سعد بن أبي وقاص ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار

وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعوا

لها قالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان هو بحمد الله

كما تحبين . قالت : أروينه حتى أنظر إليه . قال : فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كل

مصيبة بعدك جلل .

قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل والكثير ، وهو ههنا القليل . قال

امرؤ القيس :

لقتل بنى أسد ربهم * ألا كل شئ خلاه جلل

أى صغير وقليل .

ـ 94 ـ

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه

ابنته فاطمة فقال : " اغسلى عن هذا دمه يا بنية ، فو الله لقد صدقنى في هذا اليوم " .

وناولها على بن أبى طالب سيفه فقال : وهذا فاغسلى عنه دمه ، فوالله لقد

صدقنى اليوم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك

سهل بن حنيف وأبودجانة " .

وقال موسى بن عقبة في موضع آخر : ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف

على مخضبا بالدماء قال : " لئن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن

أبى الاقلح والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف " .

وروى البيهقى عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن

عباس ، قال : جاء على بن أبى طالب بسيفه يوم أحد قد انحنى فقال لفاطمة : هاك السيف

حميدا فإنها قد شفتنى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لئن أجدت الضرب بسيفك لقد

أجاده سهل بن حنيف وأبودجانة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة " .

قال ابن هشام : وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا هو ذو الفقار .

قال : وحدثنى بعض أهل العلم عن ابن أبى نجيح قال : نادى مناد يوم أحد : لا سيف إلا ذو الفقار (1) .

قال : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى :

" لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا " .

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار بنى عبدالاشهل ، فسمع

* (هامش) * (1) ابن هشام : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا على . ولا ندرى لماذا أسقطها ابن كثير ! ـ * ـ

البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :

" لكن حمزة لا بواكى له " .

فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير إلى دار بنى عبدالاشهل أمرا نساءهن

أن يتحزمن من ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن بعض رجال بنى عبدالاشهل قال :

لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن في باب المسجد

يبكين فقال : " ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن " .

قال : ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن النوح ، فيما قال ابن هشام .

وهذا الذى ذكره منقطع ومنه مرسل .

وقد أسنده الامام أحمد فقال : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنى أسامة بن زيد ،

حدثنى نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من أحد فجعل نساء

الانصار يبكين على من قتل من أزواجهن قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ولكن حمزة لا بواكى له " .

قال : ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال : " فهن اليوم إذا يبكين يندبن حمزة " .

وهذا على شرط مسلم .

وقد رواه ابن ماجه ، عن هارون بن سعيد ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد الليثى ،

عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بنساء بنى عبدالاشهل

يبكين هلكاهن يوم أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لكن حمزة

لا بواكى له " .

فجاء نساء الانصار يبكين حمزة ، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

" ويحهن ما انقلبن بعد مرورهن ، فلينقلبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم " .

ـ 96 ـ

وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أزقة المدينة إذا النوح

والبكاء في الدور قال : " ما هذا ؟ " قالوا : هذه نساء الانصار يبكين قتلاهم فقال :

" لكن حمزة لا بواكى له " واستغفر له .

فسمع ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وعبدالله بن رواحة ،

فمشوا إلى دورهم فجمعوا كل نائحة باكية بالمدينة ، فقالوا : والله لا تبكين قتلى

الانصار حتى تبكين عم النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنه قد ذكر أنه لا بواكى له بالمدينة .

وزعموا أن الذى جاء بالنوائح عبدالله بن رواحة ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : " ما هذا ؟ " فأخبر بما فعلت الانصار بنسائهم ، فاستغفر لهم وقال لهم خيرا

وقال " ما هذا أردت ، وما أحب البكاء " ونهى عنه .

وهكذا ذكر ابن لهيعة ، عن أبى الاسود ، عن عروة بن الزبير سواء .

قال موسى بن عقبة : وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحزين المسلمين ، وظهر غش اليهود ، وفارت المدينة

بالنفاق فور المرجل .

وقالت اليهود : لو كان نبيا ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ، ولكنه

طالب ملك تكون له الدولة وعليه .

وقال المنافقون مثل قولهم ، وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم

الذين أصابوا منكم .

فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع ونفاق من نافق وتعزية المسلمين ، يعنى فيمن

قتل منهم فقال : " وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم "

الآيات كلها - كما تكلمنا على ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة .

ـ 97 ـ

ذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم بأصحابه

على ما بهم من القرح والجراح ، في أثر أبى سفيان ، إرهابا له ولاصحابه

حتى بلغ حمراء الاسد ، وهى على ثمانية أميال من المدينة

قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أحد ، وذكره رجوعه عليه السلام

إلى المدينة :

وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن أبى سفيان

وأصحابه فقال : نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئا ،

أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبتروهم ، فقد بقى من رءوس

يجمعون لكم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وبهم أشد القرح - بطلب العدو ليسمعوا

بذلك ، وقال : لا ينطلقن معى إلا من شهد القتال . فقال عبدالله بن أبى : أنا راكب

معك . فقال : لا .

فاستجابوا لله ولرسوله على الذى بهم من البلاء . فانطلقوا .

فقال الله في كتابه : " الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ،

للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم " (1) .

قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر ، حين ذكر أن أباه أمره بالمقام

في المدينة على أخواته .

* (هامش) * (1) سورة آل عمران ـ * ـ

ـ 98 ـ

قال : وطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم العدو حتى بلغ حمراء الاسد .

وهكذا روى ابن لهيعة ، عن أبى الاسود ، عن عروة بن الزبير ، سواء .

* * *

وقال محمد بن إسحاق في مغازيه : وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال ،

فلما كان الغد من يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذن رسول الله

صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه : ألا يخرجن أحد إلا من حضر

يومنا ؟ بالامس . فكلمه جابر بن عبدالله فأذن له .

قال ابن إسحاق : وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو ليبلغهم

أنه خرج في طلبهم ، ليظنوا به قوة ، وأن الذى أصابهم لو يوهنهم عن عدوهم .

قال ابن إسحاق رحمه الله : فحدثنى عبدالله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبى

السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلا من بنى عبدالاشهل قال : شهدت أحدا أنا

وأخل لى ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في

طلب العدو قلت لاخى وقال لى : أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه ولم ؟ !

والله مالنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل . فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وكنت أيسر جرحا منه ، فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة (1) ، حتى

انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء

الاسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم

رجع إلى المدينة .

قال ابن هشام : وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

* (هامش) * (1) العقبة : النوبة . ـ * ـ

ـ 99 ـ

قال ابن إسحاق : حدثنى عبدالله بن أبى بكر ـ أن ـ معبد بن أبى معبد الخزاعى ، وكانت

خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة (1) رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة ، صفقتهم (2) معه

لا يخفون عنه شيئا كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك ، مر برسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو مقيم بحمراء الاسد ، فقال : يامحمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ،

ولوددنا أن الله عافاك فيهم .

ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الاسد حتى لقى أبا سفيان

ابن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدا أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ !

لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم .

فلما رأى أبوسفيان معبدا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه

يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه

في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط .

قال : ويلك ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل .

قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل شأفتهم . قال : فإنى أنهاك عن

ذلك ، ووالله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيه أبيات من شعر . قال : وما قلت ؟

قال : قلت :

كادت تهد من الاصوات راحلتى * إذ سالت الارض بالجرد الابابيل (3)

تردى (4) بأسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل

فظلت عدوا أظن الارض مائلة * لما سموا برئيس غير مخذول

* (هامش) * (1) ابن هشام : عيبة نصح لرسول الله . والعيبة موضع السر . (2) صفقتهم : حلفهم .

(3) الجرد : عتاق الخيل . والابابيل : الجماعات . (4) تردى : تسرع . ـ * ـ

ـ 100 ـ

فقلت ويل ابن حرب من لقائكم * إذا تغطمطت البطحاء بالجيل (1)

إنى نذير لاهل البسل (2) ضاحية * لكل ذى إربة منهم ومعقول

من جيش أحمد لا وخش (3) قنابله * وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه .

ومر به ركب من عبدالقيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : المدينة . قال : ولم ؟ قالوا

نريد الميرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمدا رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم

إبلكم هذه غدا زبيبا بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا وافيتموه فأخبروه

أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم .

فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد ، فأخبروه بالذى قال

أبوسفيان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وكذا قال الحسن البصرى .

وقد قال البخارى : حدثنا أحمد بن يونس ، أراه قال : حدثنا أبوبكر ، عن أبى

حصين ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل . قالها إبراهيم عليه

السلام حين ألقى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : إن الناس قد جمعوا

لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل .

تفرد بروايته البخارى .

وقد قال البخارى : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبومعاوية ، عن هشام ، عن

أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها : " الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم

القرح الذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم " قالت لعروة : يابن أختى كان أبواك

* (هامش) * (1) تغطمطت : اهتزت . الجيل : الصف من الناس . (2) أهل البسل : قريش .

(3) الوخش : الردئ . وفى ابن هشام : تنابلة . والقنابل : جمع قنبلة الطائفة من الناس والخيل . ـ *ـ

ـ101ـ

منهم ، الزبير وأبوبكر رضى الله عنهما ، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 101 سطر 1 الى ص 110 سطر 23

منهم ، الزبير وأبوبكر رضى الله عنهما ، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب

يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا ، فقال : من يذهب في إثرهم ؟ فانتدب

منهم سبعون رجلا فيهم أبوبكر والزبير .

هكذا رواه البخارى . وقد رواه مسلم مختصرا من وجه عن هشام ، وهكذا رواه

سعيد بن منصور وأبوبكر الحميدى جميعا عن سفيان بن عيينة . وأخرجه ابن ماجه من

طريقه ، عن هشام بن عروة به . ورواه الحاكم في مستدركه من طريق أبى سعيد عن

هشام بن عروة به ، ورواه من حديث السدى عن عروة ، وقال في كل منهما :

صحيح ولم يخرجاه .

كذا قال . وهذا السياق غريب جدا ، فإن المشهور عند أصحاب المغازى أن الذين

خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الاسد كل من شهد أحدا ، وكانوا

سبعمائة ، كما تقدم . قتل منهم سبعون وبقى الباقون .

وقد روى ابن جرير من طريق العوفى ، عن ابن عباس قال : إن الله قذف في

قلب أبى سفيان الرعب يوم أحد بعد الذى كان منه ، فرجع إلى مكة ، وكانت وقعة

أحد في شوال ، وكان التجار يقدمون في ذى القعدة المدينة فينزلون ببدر الصغرى في

كل سنة مرة ، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المسلمين القرح واشتكوا ذلك

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد عليهم الذى أصابهم ، وإن رسول الله صلى

الله عليه وسلم ندب الناس لينطلقوا بهم ويتبعوا ما كانوا متبعين وقال لنا : ترتحلون الآن

فتأتون الحج ولا يقدرون على مثلها حتى عام قابل .

فجاء الشيطان يخوف أولياءه فقال : إن الناس قد جمعوا لكم . فأبى عليه الناس أن

يتبعوه فقال : إنى ذاهب وإن لم يتبعنى أحد .

فانتدب معه أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد و عبدالرحمن بن

عوف وأبوعبيدة وابن مسعود وحذيفة في سبعين رجلا ، فساروا في طلب أبى سفيان

حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله : " الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح

للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم " .

وهذا غريب أيضا .

وقال ابن هشام : حدثنا أبوعبيدة ، أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد

أراد الرجوع إلى المدينة ، فقال لهم صفوان بن أمية : لا تفعلوا ، فإن القوم قد حربوا ،

وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان ، فارجعوا . فرجعوا .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة :

" والذى نفسى بيده لقد سومت لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب ! " .

قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ذلك قبل رجوعه المدينة ، معاوية

ابن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، جد عبدالملك بن مروان لامه عائشة

بنت معاوية ، وأبا عزة الجمحى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسره ببدر ثم

من عليه فقال : يا رسول الله أقلنى ، فقال : لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت

محمدا مرتين . اضرب عنقه يا زبير . فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وبلغنى عن ان المسيب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : " إن المؤمن لا يلدغ من حجر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت "

فضرب عنقه .

وذكر ابن هشام : أن معاوية بن المغيرة بن أبى العاص استأمن له عثمان على ألا

يقيم بعد ثلاث ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها زيد بن حارثة وعمار بن

ياسر وقال : ستجدانه في مكان كذا وكذا فاقتلاه . ففعلا رضى الله عنهما .

* * *

ـ 103 ـ

قال ابن إسحاق . ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان عبدالله بن أبى

كما حدثنى الزهرى له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر له شرفا في نفسه وفى قومه ، وكان

فيهم شريفا ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام

فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به ، فانصروه

وعزروه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس .

حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ

المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس أى عدو الله ، والله لست لذلك بأهل وقد

صنعت ما صنعت .

فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بجرا (1) أن قمت

أشدد أمره !

فلقيه رجال من الانصار بباب المسجد فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قمت أشدد

أمره فوثب إلى رجال من أصحابه يجبذوننى ويعنفوننى ، لكأنما قلت بجرا أن قمت

أشدد أمره .

قالوا : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : والله ما أبغى

أن يستغفر لى .

* * *

ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل من القرآن في قصة أحد من سورة آل عمران عند قوله

" وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم " .

قال : إلى تمام ستين آية . وتكلم عليها .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية .

* (هامش) * (1) البجر : الشر والامر العظيم . ـ * ـ

ثم شرع ابن إسحاق في ذكر شهداء أحد وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على

قبائلهم كما جرت عادته .

فذكر من المهاجرين أربعة : حمزة ومصعب بن عمير وعبدالله بن جحش وشماس

ابن عثمان رضى الله عنهم ، ومن الانصار إلى تمام خمسة وستين رجلا . واستدرك عليه

ابن هشام خمسة أخرى فصاروا سبعين على قول ابن هشام .

ثم سمى ابن إسحاق من قتل من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا على

قبائلهم أيضا .

قلت : ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عزة الجمحى ، كما ذكره الشافعى وغيره ،

وقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرا بين يديه ، أمر الزبير ، ويقال : عاصم بن ثابت

ابن أبى الافلح ، فضرب عنقه .

ـ 105ـ

فصل

فيما تقاول به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الاشعار

وإنما نورد شعر الكفار لنذكر جوابها من شعر الاسلام ، ليكون أبلغ في وقعها

من الاسماع والافهام ، وأقطع لشبهة الكفرة الطغام .

قال الامام محمد بن إسحاق رحمه الله : وكان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هبيرة

ابن أبى وهب المخزومى ، وهو على دين قومه من قريش ، فقال :

ما بال هم عميد بات يطرقنى * بالود من هند إذ تعدو عواديها

باتت تعاتبنى هند وتعذلنى * والحرب قد شغلت عنى مواليها

مهلا فلا تعذلينى إن من خلقى * ما قد علمت وما إن لست أخفيها

مساعف لنبى كعب بما كلفوا * حمال عبء وأثقال أعانيها

وقد حملت سلاحى فوق مشترف ساط سبوح إذا تجرى يباريها (1)

كأنه إذ جرى عير بفدفدة * مكدم لاحق بالعون يحميها (2)

من آل أعوج يرتاح الندى له * كجذع شعراء مستعل مراقيها

أعددته ورقاق الحد منتخلا * ومارنا لخطوب قد ألاقيها (4)

هذا وبيضاء مثل النهى محكمة * لظت على فما تبدو مساويها (4)

سقنا كنانة من أطراف ذى يمن * عرض البلاد على ما كان يزجيها

قالت كنانة أنى تذهبون بنا * قلنا النخيل فأموها ومن فيها (5)

* (هامش) * (1) مشترف : مشرف . والساطى : الفرس البعيد الخطو . والسبوح : الذى يسبح في جريه .

(2) العير : حمار الوحش . والفدفدة : الفلاة . والمكدم المعضض . والعون : جمع عانة وهو القطيع

من حمر الوحش . (3) رقاق الحد : السيوف . ومنتخلا : متخيرا والمارن : الرمح الصلب اللدن .

(4) البيضاء : يريد بها الدرع . والمنهى : الغزير ؟ ؟ لظت : لصقت . (5) النخيل : عين قرب المدينة .

نحن الفوارس يوم الجر (1) من أحد * هابت معد فقلنا نحن نأتيها

هابوا ضرابا وطعنا صادقا خذما * مما يرون وقد ضمت قواصيها (2)

ثمت رحنا كأنا عارض برد * وقام هام بنى النجار يبكيها (3)

كأن هامهم عند الوغى فلق * من قيض ربد نفته عن أداحيها (4)

أو حنظل ذعذعته الريح في غصن * بال تعاوره منها سوافيها (5)

قد نبذل المال سحا لا حساب له * ونطعن الخيل شزرا في مآقيها (6)

وليلة يصطلى بالفرث جازرها * يختص بالنقرى المثرين داعيها (7)

وليلة من جمادى ذات أندبة * جربا جمادية قد بت أسريها (8)

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * من القريس ولا تسرى أفاعيها (9)

أوقدت فيها لذى الضراء جاحمة * كالبرق ذاكية الاركان أحميها (10)

أورثنى ذالكم عمرو ووالده * من قبله كان بالمشتى يغاليها (11)

كانوا يبارون أنواء النجوم فما * دنت عن السورة العليا مساعيها

* * *

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

قال ابن هشام : وتروى لكعب بن مالك وغيره . قلت : وقول ابن إسحاق

أشهر وأكثر والله أعلم :

* (هامش) * (1) الجر : أصل الجبل . (2) الخذم : القاطع . (3) العارض : السحاب . وبرد : به برد ،

وهو حب الغمام . (4) القيض : القشرة العليا اليابسة من البيض . والربد : النعام . والاداحى : جمع

أدحى وهو مبيض النعام . (5) ذعذعته : حركته . وتعاوره : تتداوله . والسوافى : الرياح الشديدة .

(6) سحا : صبا . والشزر في الطعن : أن يكون من ناحية غير مستقيمة .

(7) يصطلى : يستدفئ . والنقرى : الدعوى الخاصة ، أى يختص الاغنياء طلبا لمكافأتهم ، يصف

شدة الزمان . (8) أندية : جمع ندى على غير قياس ، وقيل : إنه جمع الجمع ، والجرباء : المقطحة .

(9) القريس : البرد الشديد . (10) الجاحمة : الملتهبة .

(11) ابن هشام : بالمثنى . وما هنا أوضح . ـ * ـ

ـ 107 ـ

سقم كنانة جهلا من سفاهتكم * إلى الرسول فجند الله مخزيها

أوردتموها حياض الموت ضاحية * فالنار موعدها والقتل لاقيها

جمعتموهم أحابيشا بلا حسب * أئمة الكفر غرتكم طواغيها

ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت * أهل القليب ومن ألقينه فيها

كم من أسير فككناه بلا ثمن * وجز ناصية كنا مواليها

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبى وهب المخزومى أيضا :

ألا هل أتى غسان عنا ودونهم * من الارض خرق سيره متنعنع (1)

صحارى وأعلام كأن قتامها * من البعد نقع هامد متقطع (2)

تظل به البزل العراميس رزحا * ويحلو به غيث السنين فيمرع (3)

به جيف الحسرى يلوح صليبها * كما لاح كتان التجار الموضع (4)

به العين والآرام يمشين خلفة * وبيض نعام قيضه يتقلع (5)

مجالدنا عن ديننا كل فخمة * مذربة فيها القوانس تلمع (6)

وكل صموت في الصوان كأنها * إذا لبست نهى من الماء مترع (7)

ولكن ببدر سائلوا من لقيتم * من الناس والانباء بالغيب تنفع

وإنا بأرض الخوف لو كان أهلها * سوانا لقد أجلوا بليل فأقشعوا

إذا جاء منا راكب كان قوله * أعدوا لما يزجى ابن حرب ويجمع

* (هامش) * (1) المتنعنع : المضطرب . (2) الاعلام : الجبال . والقتام الغبار . والنقع : الغبار أيضا .

(3) البزل : جمع بازل . وهى الناقة التى تبلغ التاسعة . و العراميس : الصلبة . والرزح : المعيبة .

(4) الصليب : ودك العظام . والموضع المبسوط .

(5) العين : بقر الوحش والآرام . وخلفة : قطعة وراء قطعة . والقيض : قشور البيض . ويتقلع : يتشقق

(6) مذربة : محددة . والقوانس : جمع قونس وهى بيضة السلاح .

(7) كل صموت : أراد به الدرع . جعلها صموتا لشدة نسجها وإحكام صنعتها . والنهى : الغدير .

والمترع : الملئ . ـ *ـ

ـ108ـ

فمهما يهم الناس مما يكيدنا * فنحن له من سائر الناس أوسع

فلو غيرنا جميعا تكيده البرية قد أعطوا يدا وتوزعوا

نجالد لا تبقى علينا قبيلة * من الناس إلا أن يهابوا ويفظعوا

ولما ابتنوا بالعرض قالت سراتنا * علام إذا لم نمنع العرض نزرع (1)

وفينا رسول الله نتبع أمره * إذا قال فينا القول لا نتظلع (2)

تدلى عليه الروح من عند ربه ينزل من جو السماء ويرفع

نشاوره فيما نريد وقصرنا (3) إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع

وقال رسول الله لما بدوا لنا * ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا

وكونوا كمن يشرى الحياة تقربا * إلى ملك يحيا لديه ويرجع

ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا * على الله إن الامر لله أجمع

فسرنا إليهم جهرة في رحالهم * ضحيا علينا البيض لا نتخشع

بملمومة فيها السنور والقنا * إذا ضربوا أقدامها لا تورع (4)

فجئنا إلى موج من البحر وسطه * أحابيش منهم حاسر ومقنع

ثلاثة آلاف ونحن نصية * ثلاث مئين إن كثرنا فأربع (5)

نغاورهم تجرى المنية بيننا * نشارعهم حوض المنايا ونشرع

تهادى قسى النبع فينا وفيهم * وما هو إلى اليثربى المقطع (6)

ومنجوفة حرمية صاعدية * يذر عليها السم ساعة تصنع (7)

* (هامش) * (1) العرض : سفح الجبل . وهو جبل أحد . (2) لا نتظلع : لا نميل عنه

(3) قصرنا : غايتنا . (4) الملومة : الكتيبة . والسنور : السلاح . لا تورع : لا تكف .

(5) النصية : الخيار من القوم .

(6) النبع : شجر للقسى والسهام ينبت في قلة الجبل . واليثربى : الوتر المنسوب إلى يثرب .

(7) المنجوفة : السهام . والحرمية : المنسوبة إلى الحرم . والصاعدية : منسوبة إلى صاعد ، كان يصنعها ـ * ـ

تصوب بأبدان الرجال وتارة * تمر بأعراض البصار تقعقع (1)

وخيل تراها بالفضاء كأنها * جراد صبا في قرة يتريع (2)

فلما تلاقينا ودارت بنا الرحال وليس لامر حمه الله مدفع

ضربناهم حتى تركنا سراتهم * كأنهم بالقاع خشب مصرع

لدن غدوة حتى استفقنا عشية * كأن ذكانا حر نار تلفع (3)

وراحوا سراعا موجعين (4) كأنهم * جهام هراقت ماءه الريح مقلع (5)

ورحنا وأخرانا بطاء كأننا * أسود على لحم ببيشة ضلع (6)

فنلنا ونال القوم منا وربما * فعلنا ولكن مالدى الله أوسع

ودارت رحانا واستدارت رحاهم * وقد جعلوا كل من الشر يشبع

ونحن أناس لا نرى القتل سبة * على كل من يحمى الذمار ويمنع

جلاد على ريب الحوادث لا نرى * على هالك عينا لنا الدهر تدمع

بنو الحرب لا نعيا بشئ نقوله * ولا نحن مما جرت الحرب نجزع

بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش * ولا نحن من أظفارنا نتوجع

وكنا شهابا يتقى الناس حره * ويفرج عنه من يليه ويسفع (7)

فخرت على ابن الزبعرى وقد سرى * لكم طلب من آخر الليل متبع

فسل عنك في عليا معد وغيرها * من الناس من أخزى مقاما وأشنع

* (هامش) * (1) قال السهيلى : " يقول : تشق أبدان الرجال حتى تبلغ البصار فتقعقع فيها ، وهى جمع بصرة ،

وهى حجارة لينة . ويجوز أن يكون أراد جمع بصيرة ، مثل كريمة وكرام . والبصيرة : الدرع ، وقيل :

الترس " . (2) الصبا : ريح شرقية . والقرة : الليلة الباردة . يتريع : يذهب ويجئ .

(3) ذكانا : حرارتنا في الحرب . (4) ابن هشام : موجفين .

(5) الجهام : السحاب الرقيق .

(6) بيشة : موضع كثير الاسود . وفى ابن هشام : ظلع .

(7) يفرح عنه : ينكشف . ويسفع : يلفح . ـ * ـ

ـ 110 ـ

ومن هو لم يترك له الحرب مفخرا * ومن خده يوم الكريهة أضرع

شددنا بحول الله والنصر شدة * عليكم وأطراف الاسنة شرع

تكر القنا فيكم كأن فروعها * عزالى مزاد ماؤها يتهزع (1)

عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطر * بذكر اللواء فهو في الحمد أسرع

فحانوا وقد أعطوا يدا وتخاذلوا * أبى الله إلا أمره وهو أصنع

* * *

قال ابن إسحاق : وقال عبدالله بن الزبعرى في يوم أحد وهو يومئذ مشرك بعد :

يا غراب البين أسمعت فقل * إنما تنطق شيئا قد فعل

إن للخير وللشر مدى * وكلا ذلك وجه وقبل (2)

والعطيات خساس بينهم * وسواء قبر مثر ومقل

كل عيش ونعيم زائل وبنات الدهر يلعبن بكل

أبلغنا حسان عنى آية فقريض الشعر يشفى ذا الغلل

كم ترى بالجر من جمجمة * وأكف قد أترث ورجل (3)

وسرابيل حسان سريت * عن كماة أهلكوا في المنزل

كم قتلنا من كريم سيد * ماجد الجدين مقدام بطل

صادق النجدة قرم بارع * غير ملتاث لدى وقع الاسل

فسل المهراس ما ساكنه * بين أقحاف وهام كالحجل (4)

ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

* (هامش) * (1) العزالى : جمع عزلى ، وهى مصب الماء من الراوية . والمزاد : جمع مزادة وهى الراوية .

ويتهزع : يتقطع . (2) القبل : العيان والمواجهة . (3) الجر : أصل الجبل . وأترت : قطعت .

(4) المهراس : ماء بأحد . وفى ابن هشام : من ساكنه . والاقحاف : جمع قحف . والهام :

الرؤس . والحجل : الذكر من القبيح . ـ * ـ

ـ 111 ـ

حين مكت بقباء بركها (1) * واستحر القتل في عبد الاشل

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 111 سطر 1 الى ص 120 سطر 20

حين مكت بقباء بركها (1) * واستحر القتل في عبد الاشل

ثم خفوا عند ذاكم رقصا * رقص الحفان يعلو في الجبل (2)

فقتلنا الضعف من أشرافهم * وعدلنا ميل بدر فاعتدل

لا ألوم النفس إلا أننا لو كررنا لفعلنا المفتعل

بسيوف الهند تعلو هامهم * عللا تعلوهم بعد نهل

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه :

ذهبت بابن الزبعرى وقعة * كان منا الفضل فيها لو عدل

ولقد نلتم ونلنا منكم * وكذك الحرب أحيانا دول

نضع الاسياف في أكتافكم * حيث نهوى عللا بعد نهل

نخرج الاصبح من أستاهكم * كسلاح النيب يأكلن العصل (3)

إذ تولون على أعقابكم * هربا في الشعب أشباه الرسل (4)

إذ شددنا شدة صادقة * فأجاناكم إلى سفح الجبل

بخناطيل كأشداق الملا * من يلاقوه من الناس يهل (5)

ضاق عنا الشعب إذ نجزعه * وملانا الفرط منه والرجل (6)

برجال لستم أمثالهم * أيدوا جبريل نصرا فنزل (7)

* (هامش) * (1) البرك : الصدر . وعبد الاشل : هم بنو عبدالاشهل .

(2) الرقص : الخبب في السير ، وهو الاسراع . والحفان : فراخ النعام .

(3) الاصبح : وصف للبن الممذوق المخرج من بطونهم ، كما قال السهيلى 2 / 158 وتروى :

الاضياح . وهو اللبن الممزوج بالماء . والنيب : النوق المسنة . والعصل : نبات يصلح الابل إذا أكلته .

(4) الرسل : الغنم إذا أرسلها الراعى ، والرسل : القطيع من كل شئ .

(5) الخناطيل : الجماعات . والاشداق : جمع شدق ، وهو من الوادى عرضاه وناحيتاه . والملا :

الفلاة ذات حر وسراب . ويهل : يفرع .

(6) نجزعه : نقطعه عرضا . والفرط : المرتفع من الارض . والرجل : المطمئن منها .

(7) أيدوا جبريل : أراد : أيدوا بجبريل . ـ *ـ

وعلونا يوم بدر بالتقى * طاعة الله وتصديق الرسل

وقتلنا كل رأس منهم وقتلنا كل جحجاح رفل (1)

وتركنا في قريش عورة * يوم بدر وأحاديث المثل

ورسول الله حقا شاهدا * يوم بدر والتنابيل الهبل (2)

في قريش من جموع جمعوا * مثل ما يجمع في الخصب الهمل (3)

نحن لا أمثالكم ولد استها نحضر البأس إذا البأس نزل

* * *

قال ابن إسحاق : وقال كعب يبكى حمزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد ،

رضى الله عنهم :

نجشت وهل لك من منشج * وكنت متى تدكر تلجج

تذكر قوم أتانى لهم أحاديث في الزمن الاعوج

فقلبك من ذكرهم خافق * من الشوق والحزن المنضج

وقتلاهم في جنان النعيم * كرام المداخل والمخرج

بما صبروا تحت ظل اللواء لواء الرسول بذى الاضوج (4)

غداة أجابت بأسيافها * جميعا بنو الاوس والخزرج

وأشياع أحمد إذا شايعوا * على الحق ذى النور والمنهج

فما برحوا يضربون الكماة * ويمضون في القسطل المرهج (5)

* (هامش) * (1) الجحجاح : السيد . والرفل : الذى يجر ثوبه خيلاء .

(2) التنابيل : القصار . والهبل : الذين ثقلوا لكثرة اللحم عليهم .

(3) الهمل : الابل المهملة التى تركت دون راع .

(4) الاضوج : جمع ضوج ، وهو منعطف الوادى .

(5) القسطل : الغبار . ـ * ـ

كذلك حتى دعاهم مليك * إلى جنة دوحة المولج (1)

وكلهم مات جر البلاء * على ملة الله لم يحرج

كحمزة لما وفى صادق * بذى هبة صارم سلجج (2)

فلاقاه عبد بنى نوفل * يبربر كالجمل الادعج (3)

فأوجره حربة كالشهاب * تلهب في اللهب الموهج

ونعمان أوفى بميثاقه * وحنظلة الخير لم يحنج (4)

عن الحق حتى غدت روحه * إلى منزل فاخر الزبرج (5)

أولئك لا من ثوى منكم * من النار في الدرك المرتج

* * *

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكى حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم

أحد ، وهى على روى قصيدة أمية بن أبى الصلت في قتلى المشركين يوم بدر .

قال ابن هشام : ومن أهل العلم بالشعر من ينكر هذه لحسان . والله أعلم :

يامى قومى فاندبى * بسحيرة شجو النوائح

كالحاملات الوقر بالثقل الملحات الدوالح (6)

المعولات الخامشا * ت وجوه حرات صحائح

وكأن سيل دموعها الانصاب تخضب بالذبائح

ينقضن أشعارا لهن * هناك بادية المسائح (7)

وكأنها أذناب خي * ل بالضحى شمس روامح

* (هامش) * (1) الدوحة : الكثيرة الاغصان . والمولج : المدخل (2) السلجج : المرهف .

(3) عبد بنى نوفل : وحشى قاتل حمزة . ويبربر : يصيح . والادعج : الاسود .

(4) لم يحنج : لم يمل . (5) الزبرج : الوشى .

(6) الدوالح : الحاملات الثقل . (7) المسائح : ذوائب الشعر . ـ * ـ

ـ 114 ـ

من بين مشرور ومج * زور يذعذع بالبوارح (1)

يبكين شجوا مسلبات * كدحتهن الكوادح

ولقد أصاب قلوبها * مجل له جلب قوارح (2)

إذ أقصد الحدثان من * كنا نرجى إذا نشايح (3)

أصحاب أحد غالهم * دهر ألم له جوارح

من كان فارسنا وحا * مينا إذا بعث المسالح (4)

يا حمز لا والله لا * أنساك ماصر اللقائح

لمناخ أيتام وأض * ياف وأرملة تلامح (5)

ولما ينوب الدهر في * حرب لحرب وهى لاقح

يا فارسا يا مدرها * يا حمز قد كنت المصامح (6)

عنا شديدات الخطوب * إذا ينوب لهن فادح

ذكرتنى أسد الرسو * ل وذاك مدرهنا المنافح

عنا وكان يعد إذ * عد الشريفون الجحاجح

يعلو القماقم جهرة * سبط اليدين أغر واضح

لا طائش رعش ولا ذو علة بالحمل آنح (7)

بحر فليس يغب جا * را منه سيب أو منادح

أودى شباب أولى الحفا * ئظ والثقيلون المراجح

المطعمون إذا المشا * تى ما يصفقهن ناضح

* (هامش) * (1) المشرور : الذى وضع لحمه على خصفه ليجف . ويذعذع : يغرق . والبوارح : الرياح الشديدة .

(2) المجل : أن يكون بين الجلد واللحم ماء . والجلب : جمع جلبة وهو قشرة تعلو الجرح عند البرء .

(3) نشايح : تحذر . (4) اللقائح : جمع لقحة وهى الناقة ذات اللبن .

(5) تلامح : تنظر لمحة ثم تغض بصرها . (6) المصامح : المدافع القوى .

(7) آنح : ضعيف واهن . يقال أنح البعير : إذا حمل الثقل أخرج من صدره صوت المعتصر . ـ *ـ

ـ115ـ

لحم الجلاد وفوقه * من شحمه شطب شرائح

ليدافعوا عن جارهم * مارام ذو الضغن المكاشح

لهفى لشبان رزئ * ناهم كأنهم المصابح

شم بطارقة غطا * رفة خضارمة مسامح (1)

المشترون الحمد بألاموال إن الحمد رابح

والجامزون بلجمهم يوما * إذا ماصاح صائح (2)

من كان يرمى بالنوا * قر (3) من زمان غير صالح

ما إن تزال ركابه * يرسمن في غبر صحاصح (4)

راحت تبارى وهو في ركب صدورهم رواشح

حتى تئوب له المعا * لى ليس من فوز السفائح (5)

يا حمزة قد أوحدتنى * كالعود شذ به الكوافح (6)

أشكو إليك وفوقك الترب المكور والصفائح

من جندل يلقيه فوقك * إذا أجاد الضرح ضارح (7)

في واسع يحشونه * بالترب سوته المماسح

فعزاؤنا أنا نقو * ل وقولنا برح بوارح (8)

من كان أمسى وهو عما أوقع الحدثان جانح

فليأتنا فلتبك عيناه لهلكانا النوافح (9)

* (هامش) * (1) البطارقة : الرؤساء ، والغطارفة : السادة . والخضارفة : المكثرون من العطاء . والمسامح : الكرام .

(2) الجامزون : الواثبون . واللجم : جمع لجام . (3) النواقر : الدواهى والمصائب .

(4) يرسمن : يسرن الرسم ، وهو نوع من سيل الابل . والغبر : جمع غبراء وهى الارض : والصحاصح : الارض المستوية :

(5) السفائح : جمع سفيح وهو من قداح الميسر . (6) الكوافح : الذين يتناولونه بالقطع .

(7) الضرح : الحفر للميت . (8) برح : صعب . (9) النوافح : من ينفحون بالعطاء والخير . ـ *ـ

القائلين الفاعلين * ذوى السماعة والممادح

من لا يزال ندى يديه له طوال الدهر مائح (1)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

* * *

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حمزة وأصحابه :

طرقت همومك فالرقاد مسهد * وجزعت أن سلخ الشباب الاغيد

ودعت فؤادك للهوى ضمرية * فهواك غورى وصحوك منجد

فدع التمادى في الغواية سادرا * قد كنت في طلب الغواية تفند (2)

ولقد أنى لك أن تناهى طائعا أو تستفيق إذا نهاك المرشد

ولفد هددت لفقد حمزة هدة * ظلت بنات الجوف منها ترعد

ولو انه فجعت حراء بمثله * لرأيت راسى صخرها يتبدد

قرم تمكن في ذؤابة هاشم * حيث النبوة والندى والسؤدد

والعاقر الكوم الجلاد إذا غدت * ريح يكاد الماء منها يجمد

والتارك القرن الكمى مجدلا * يوم الكريهة والقنا يتقصد

وتراه يرفل في الحديد كأنه * ذو لبدة شثن البراثن أربد (3)

عم النبى محمد وصفيه ورد الحمام فطاب ذاك المورد

وأتى المنية معلما في أسرة * نصروا النبى ومنهم المستشهد

ولقد إخال بذاك هندا بشرت * لتميت داخل غصة لا تبرد

مما صبحنا بالعقنقل قومها * يوما تغيب فيه عنها الاسعد

* (هامش) * (1) مائح : طالب مبتغ . (2) تنفد تعذل وتلام . (3) ذو لبدة : يريد أسدا . والشثن : الغليظ . والبراثن للاسد كالاصابع للانسان . والاربد : المغبر . * -

وببئر بدر إذ يرد وجوههم * جبريل تحت لوائنا ومحمد

حتى رأيت لدى النبى سراتهم * قسمين نقتل من نشاء ونطرد

فأقام بالعطن المعطن منهم سبعون عتبة منهم والاسود

وابن المغيرة قد ضربنا ضربة * فوق الوريد لها رشاش مزبد

وأمية الجمحى قوم ميله * عضب بأيدى المؤمنين مهند

فأتاك فل المشركين كأنهم * والخيل تثفنهم (1) نعام شرد

شتان من هو في جهنم ثاويا * أبدا ومن هو في الجنان مخلد

قال ابن إسحاق : وقال عبدالله بن رواحة يبكى حمزة وأصحابه يوم أحد . قال ابن

هشام : وأنشدينها أبوزيد لكعب بن مالك . فالله أعلم :

بكت عينى وحق لها بكاها * وما يغنى البكاء ولا العويل

على أسد الاله غداة قالوا * أحمزة ذاكم الرجل القتيل

أصيب المسلمون به جميعا * هناك وقد وقد أصيب به الرسول

أبا يعلى لك الاركان هدت وأنت الماجد البر الوصول

عليك سلام ربك في جنان * مخالطها نعيم لا يزول

ألا يا هاشم الاخيار صبرا * فكل فعالكم حسن جميل

رسول الله مصطبر كريم * بأمر الله ينطق إذ يقول

ألا من مبلغ عنى لؤيا * فبعد اليوم دائلة تدول

وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا * وقائعنا بها يشفى الغليل

نسيتم ضربنا بقليب بدر * غداة أتاكم الموت العجيل

* (هامش) * (1) تثفنهم : تطردهم . ـ * ـ

ـ118ـ

غداة ثوى أبوجهل صريعا عليه الطير حائمة تجول

وعتبة وابنه خرا جميعا * وشيبة عضه السيف الصقيل

ومتركنا أمية مجلعبا * وفى حيزومه لدن نبيل (1)

وهام بنى ربيعة سائلوها * ففى أسيافنا منها فلول

ألا يا هند فابكى لا تملى * فأنت الواله العبرى الهبول

ألا يا هند لا تبدى شماتا * بحمزة إن عزكم ذليل

* * *

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت ع بدالمطلب تبكى أخاها حمزة بن ع بدالمطلب ،

وهى أم الزبير عمة النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم أجمعين :

أسائلة أصحاب أحد مخافة * بنات أبى من أعجم وخبير

فقال الخبير إن حمزة قد ثوى * وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة إلى جنة يحيا بها وسرور

فذلك ما كنا نرجى ونرتجى * لحمزة يوم الحشر خير مصير

فوالله لا أنساك ما هبت الصبا * بكاء وحزنا محضرى ومسيرى

على أسد الله الذى كان مدرها (2) * يذود عن الاسلام كل كفور

فياليت شلوى (3) عند ذاك وأعظمى * لدى أضبع تعتادنى ونسور

أقول وقد أعلى النعى عشيرتى * جزى الله خيرا من أخ ونصير

قال ابن إسحاق : وقالت نعم ، امرأة شماس بن عثمان ، تبكى زوجها والله أعلم

ولله الحمد والمنة :

* (هامش) * (1) مجعلبا : ممتدا على الارض . والحيزوم : ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . واللدن : اللين من الرماح .

(2) المدره : المدافع المحامى . (3) الشلوى : العضو . ـ *

يا عين جودى بفيض غير إبساس * على كريم من الفتيان لباس

صعب البديهة ميمون نقيبته * حمال ألوية ركاب أفراس

أقول لما أتى الناعى له جزعا * أودى الجواد وأودى المطعم الكاسى

وقلت لما خلت منه مجالسه * لا يبعد الله منا قرب شماس

قال : فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال :

اقنى حياءك في ستر وفى كرم * فإن كان شماس من الناس

لا تقتلى النفس إذ حانت منيته * في طاعة الله يوم الروع والباس

قد كان حمزة ليث الله فاصطبرى * فذاق يومئذ من كأس شماس

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان حين رجعوا من أحد :

رجعت وفى نفسى بلابل جمة * وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى

من اصحاب بدر من قريش وغيرهم * بنى هاشم منهم ومن أهل يثرب

ولكننى قد نلت شيئا ولم يكن * كما كنت أرجو في مسيرى ومركبى

* * *

وقد أورد ابن إسحاق في هذا أشعارا كثيرة تركنا كثيرا منها خشية الاطالة وخوف

الملالة ، وفيما ذكرنا كفاية . ولله الحمد .

وقد أورد الاموى في مغازيه من الاشعار أكثر مما ذكره ابن إسحاق كما جرت

عادته ، ولا سيما هاهنا .

فمن ذلك ما ذكره لحسان بن ثابت أنه قال في غزوة أحد . فالله أعلم :

طاوعوا الشيطان إذ أخزاهم * فاستبان الخزى فيهم والفشل

حين صاحوا صيحة واحدة * مع أبى سفيان قالوا اعل هبل

فأجبناهم جميعا كلنا * ربنا الرحمن أعلى وأجل

اثبتوا تستعملوها مرة * من حياض الموت والموت نهل

واعلموا أنا إذا ما نضحت * عن خيال الموت قدر تشتعل

وكأن هذه الابيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبعرى . والله أعلم .

" آخر الكلام على وقعة أحد "

فصل

قد تقدم ما وقع في هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا ، ومن أشهرها

وقعة أحد كانت في النصف من شوال منها ، وقد تقدم بسطها ولله الحمد .

وفيها في أحد توفى شهيدا أبويعلى ، ويقال أبوعمارة أيضا ، حمزة بن ع بدالمطلب

عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الملقب بأسد الله وأسد رسوله ، وكان رضيع النبى صلى

الله عليه وسلم هو وأبوسلمة بن عبدالاسد ، أرضعتهم ثويبة مولاة أبى لهب ، كما ثبت

ذلك في الحديث المتفق عليه .

فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل رضى الله عنهم ، فإنه كان

من الشجعان الابطال ومن الصديقين الكبار ، وقتل معه يومئذ تمام السبعين . رضى

الله عنهم أجمعين .

وفيها عقد عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد

وفاة أختها رقية ، وكان عقده عليها في ربيع الاول منها ، وبنى بها في جمادى الآخرة

منها . كما تقدم فيها . ذكره الواقدى .

وفيها قال ابن جرير : ولد لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن على

ابن أبى طالب . قال : وفيها علقت بالحسين رضى الله عنهم .

ـ 121ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 121 سطر 1 الى ص 130 سطر 28

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

سنة أربع من الهجرة النبوية

في المحرم منها كانت سرية أبى سلمة بن عبدالاسد إلى طليحة الاسدى ، فانتهى

إلى ما يقال له قطن .

قال الواقدى : حدثنا عمر بن عثمان بن عبدالرحمن بن سعيد اليربوعى ، عن سلمة

ابن عبدالله بن عمر بن أبى سلمة وغيره ، قالوا : شهد أبوسلمة أحدا فجرح جرحا على

عضده ، فأقام شهرا يداوى ، فلما كان المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة ،

دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اخرج في هذه السرية فقد استعملتك عليها .

وعقد له لواء وقال : سر حتى تأتى أرض بنى أسد فأغر عليهم ، وأوصاه بتقوى الله

وبمن معه من المسلمين خيرا .

وخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة .

فانتهى إلى أدنى قطن ، وهو ماء لبنى أسد ، وكان هناك طليحة الاسدى وأخوه

سلمة ابنا خويلد ، وقد جمعا حلفاء من بنى أسد ليقصدوا حرب النبى صلى الله عليه وسلم ،

فجاء رجل منهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما تمالاوا عليه فبعث معه أبا سلمة

في سريته هذه .

فلما انتهوا إلى أرضهم تفرقوا وتركوا نعما كثيرا لهم من الابل والغنم ، فأخذ ذلك

كله أبوسلمة وأسر منهم معه ثلاثة مماليك ، وأقبل راجعا إلى المدينة ، فأعطى ذلك الرجل

الاسدى الذى لهم نصيبا وافرا من المغنم ، وأخرج صفى النبى صلى الله عليه وسلم ، عبدا

وخمس الغنيمة ، وقسمها بين أصحابه . ثم قدم المدينة .

قال عمر بن عثمان : فحدثنى عبدالملك بن عبيد ، عن عبدالرحمن بن سعيد بن

يربوع ، عن عمر بن أبى سلمة قال : كان الذى جرح أبى أبوأسامة الجشمى ، فمكث

شهرا يداويه فبرأ ، فلما برأ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحرم ، يعنى من سنة

أربع ، إلى قطن ، فغاب بضع عشر ليلة ، فلما دخل المدينة انتقض بهجرحه فمات لثلاث

بقين من جمادى الاولى .

قال عمر : واعتدت أمى حتى خلت أربعة أشهر وعشر ، ثم تزوجها رسول الله

صلى الله عليه وسلم ودخل بها في ليال بقين من شوال ، فكانت أمى تقول :

ما بأس بالنكاح في شوال والدخول فيه ، قد تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في

شوال وبنى فيه .

قال : وماتت أم سلمة في ذى القعدة سنة تسع وخمسين .

رواه البيهقى .

قلت : سنذكر في أواخر هذه السنة في شوالها تزيج النبى صلى الله عليه وسلم

بأم سلمة ، وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمه في النكاح ، ومذاهب العلماء في ذلك .

إن شاء الله تعالى . وبه الثقة .

ـ123ـ

غزوة الرجيع

قال الواقدى : وكانت في صفر يعنى سنة أربع . بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى أهل مكة ليجيزوه .

قال : والرجيع على ثمانية أميال من عسفان .

قال البخارى : حدثنى إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام بن يوسف ، عن معمر ،

عن الزهرى ، عن عمرو بن أبى سفيان الثقفى ، عن أبى هريرة ، قال : بعث النبى صلى الله

عليه وسلم سرية عينا ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت ، وهو جد عاصم (1) بن

عمر بن الخطاب .

فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ، ذكروا لحى من هذيل يقال لهم

بنو لحيان ، فتبعوهم بقريب من مائة رام ، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه

فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا : هذا تمر يثرب . فتبعوا آثارهم

حتى لحقوهم .

فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد (2) ، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم

العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلا . فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل في ذمة

كافر ، اللهم أخبر عنا رسولك .

فقاتلوهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل .

وبقى خبيب وزيد ورجل آخر ، فأعطوهم العهد والميثاق ، فلما أعطوهم العهد والميثاق

* (هامش) * (1) قال الحافظ عبدالعظيم : غلط عبدالرزاق وابن عبدالبر فقالا في عاصم هذا : هو جد عاصم بن عمر

ابن الخطاب ، وذلك وهم ، وإنما هو خال عاصم ، لان أم عاصم بن عمر جميلة بنت ثابت ، وعاصم هو

أخو جميلة ، ذكر ذلك الزبير القاضى وعمه مصعب . إرشاد السارى 6 / 312 .

(2) فدفد : رابية مشرفة . ـ *ـ

ـ124ـ

نزلوا إليهم ، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث

الذى معهما : هذا أول الغدر ! فأبى أن يصبحهم . فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم

يفعل ، فقتلوه .

وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة ، فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن

نوفل ، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر ، فمكث عندهم أسيرا حتى إذا أجمعوا

قتله استعار موسى من بعض بنات (1) الحارث يستحد بها فأعارته .

قالت : فغفلت عن صبى لى فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه ، فلما رأيته

فزعت فزعة عرف ذلك منى ، وفى يده الموسى فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لافعل

ذلك إن شاء الله .

وكانت تقول : ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب ، لقد رأيته يأكل

من قطف عنب وما بمكة يومئذ من ثمرة ، وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا

رزقا رزقه الله .

فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال : دعونى أصلى ركعتين ، ثم انصرف إليهم فقال :

لولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لزدت . فكان أول من سن الركعتين عند

القتل هو . ثم قال : اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا . ثم قال :

ولست أبالى حين أقتل مسلما * على أى شق كان في الله مصرعى

وذلك في ذات الاله وإن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع (2)

قال : ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله ، وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشئ

من جسده يعرفونه ، وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم (3) يوم بدر ، فبعث الله

* (هامش) * (1) اسمها زينب بنت الحارث : أخت عقبة بن الحارث الذى قتل خبيبا .

(2) أوصال : جمع وصل وهو العضو . والشلو : الجسد والعضو . (3) قيل : هو عقبة بن أبى معيط . ـ * ـ

عليه مثل الظلة من الدبر (1) فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شئ .

وقال البخارى : حدثنا عبدالله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن

عبدالله يقول : الذى قتل خبيبا هو أبوسروعة .

قلت : واسمه عقبة بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك ، وله حديث في الرضاع وقد قيل

إن أبا سروعة وعقبة أخوان . فالله أعلم .

* * *

هكذا ساق البخارى في كتاب المغازى من صحيحة قصة الرجيع . ورواه أيضا في

التوحيد وفى الجهاد من طرق ، عن الزهرى ، عن عمرو بن أبى سفيان وأسد

ابن حارثة الثقفى جليف بنى زهرة ، ومنهم من يقول عمر بن أبى سفيان

والمشهور عمرو .

وفى لفظ للبخارى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا ،

وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح . وساق بنحوه .

وقد خالفه محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير في بعض ذلك .

ولنذكر كلام ابن إسحاق ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف ، على أن ابن

إسحاق إمام في هذا الشأن غير مدافع ، كما قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو

عيال على محمد بن إسحاق !

قال محمد بن إسحاق : حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدم على رسول الله

صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله إن فينا

إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا

شرائع الاسلام .

* (هامش) * (1) الظلة : السحابة . والدبر : ذكور النحل . * -

-126-

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرا ستة من أصحابه ، وهم مرثد بن أبى

مرثد الغنوى ، حليف حمزة بن ع بدالمطلب .

قال ابن إسحاق : وهو أمير القوم .

وخالد بن البكير الليثى حليف بنى عدى ، وعاصم بن ثابت بن أبى الافلح أخو

بنى عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدى أخو بنى جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف ،

وزيد بن الدثنة أخو بنى بياضة بن عامر ، وعبدالله بن طارق حليف بنى ظفر

رضى الله عنهم .

هكذا قال ابن إسحاق أنهم كانوا ستة ، وكذا ذكر موسى بن عقبة وسماهم كما

قال ابن إسحاق .

وعند البخارى : أنهم كانوا عشرة ، وعنده أن كبيرهم عاصم بن ثابت بن أبى

الاقلح . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : فخرجوا (1) مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل

بناحية الحجاز من صدور الهدأة (2) غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلا ، فلم يرع

القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا

القوم فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل

مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .

فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدا

ولا عقدا أبدا ، وقال عاصم بن ثابت . ولله أعلم ولله الحمد والمنة :

ما علتى وأنا جلد نابل * والقوس فيها وتر عنابل (3)

* (هامش) * (1) ابن هشام : فخرج . (2) الهدأة : موضع بين عسفان ومكة ، على سبعة أميال من عسفان .

(3) النابل : صاحب النبل . والعنابل : الغليظ . ـ * ـ

تزل عن صفحتها المعابل (1) * الموت حق والحياة باطل

وكل ما حم الاله نازل * بالمرء والمرء إليه آيل

إن لم أقاتلكم فأمى هابل

وقال عاصم أيضا :

أبوسليمان وريش المقعد * وضالة مثل الجحيم الموقد (2)

إذا النواحى افترشت لم أرعد * ومجنأ من جلد ثور أجرد (3)

ومؤمن بما على محمد

وقال أيضا :

أبوسليمان ومثلى رامى * وكان قومى معشرا كراما

قال : ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحباه .

فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن سهيل ،

وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن

في قحفه الخمر .

فمنعته الدبر ، فلما حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يمسى فيذهب عنه فنأخذه ،

فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فذهب به .

وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدا ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركا

أبدا . تنجسا .

فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن !

* (هامش) * (1) المعابل : جمع معبلة وهو نصل عريض طويل .

(2) المقعد : رجل كان يريش السهام . والضالة : السلاح ، أو السهام .

(3) المجنأ : الترس لا حديد فيه ، والاجرد : الاملس . ـ * ـ

كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته

كما امتنع منه في حياته !

* * *

قال ابن إسحاق : وأما خبيب وزيد الدثنة وعبدالله بن طارق ، فلانوا

ورقوا ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة

ليبيعوهم بها .

حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبدالله بن طارق يده من القران ثم أخذ سيفه

واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره بالظهران .

وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة ، فقدموا بهما مكة ، فباعوهما من قريش

بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيبا حجير بن أبى إهاب التميم حليف بنى نوفل

لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبوإهاب أخا الحارث بن عامر لامه

ليقتله بأبيه .

قال : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، فبعثه مع مولى له

يقال له نسطاس إلى التنعيم ، وأخرجه من الحرم ليقتله ، واجتمع رهط من قريش فيهم

أبوسفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك بالله يا زيد ، أتحب

أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟

قال : والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنى

جالس في أهلى .

قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب

محمد محمدا !

ـ 129ـ

قال : ثم قتله نسطاس .

قال : وأما خبيب بن عدى : فحدثنى عبدالله بن أبى نجيح أنه حدث عن ماوية

مولاة حجير بن أبى إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان عندى خبيب حبس في

بيتى ، فلقد اطلعت عليه يوما وإن في يده لقطفا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ،

وما أعلم في أرض الله عنبا يؤكل !

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبى نجيح أنهما قالا : قالت :

قال لى حين حضره القتل : ابعثى إلى بحديدة أتطهر بها للقتل . قالت : فأعطيت غلاما

من الحى الموسى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل البيت . فقالت : فوالله إن هو

إلا أن ولى الغلام بها إليه فقلت : ماذا صنعت ؟ ! أصاب والله الرجل تأره ، يقتل هذا

الغلام فيكون رجلا برجل .

فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعمرك ما خافت أمك غدرى حين بعثتك

بهذه الحديدة إلى ! ثم خلى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به إلى التنعيم

ليصلبوه .

وقال لهم : إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع .

فركع ركعتين أتمهما وأحسهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا

أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة .

قال : فكان خبيب أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين (1) .

* (هامش) * (1) في هامش الاصل : " حاشية بخط المصنف . قال السهيلى : وإنما صارت سنة لانها فعلت في زمن

النبى صلى الله عليه وسلم واستحسنت من صنيعه ، قال : وقد صلاها زيد بن حارثة في حياة النبى صلى

الله عليه وسلم . = = ـ * ـ

ـ 130 ـ

قال : ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه

الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولاتغادر منهم أحداز

ثم قتلوه .

وكان معاوية بن أبى سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان ،

فلقد رأيته يلقينى إلى الارض فرقا من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا

دعى عليه فضطجع لجنبه زلت عنه .

وفى مغازى موسى بن عقبة : أن خبيبا وزيد بن الدثنة قتلا في يوم واحد ، وأن

رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع يوم قتلا وهو يقول : وعليكما أو عليك السلام .

خبيب قتلته قريش !

وذكر أنهم لما صلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه ، فما زاده إلا

إيمانا وتسليما .

* (هامش) * = = ثم ساق بإسناده من طريق أبى بكر بن أبى خيثمة ، عن يحيى بن معين ، عن يحيى بن عبدالله بن

بكير ، عن الليث بن سعد قال : بلغنى أن زيد بن حارثة استأجر من رجل بغلا من الطائف واشترط عليه

الكرى أن ينزله حيث شاء ، فمال به إلى خربة فإذا بها قتلى كثيرة ، فلما هم بقتله قال له زيد : دعنى حتى

أصلى ركعتين . فقال : صل ركعتين ، فطالما صلى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا !

قال : فصليت ثم جاء ليقتلنى فقلت : يا أرحم الراحمين ، فإذا صارخ يقول : لا تقتله . فهاب وذهب ينظر

فلم ير شيئا ، ثم جاء ليقتلنى فقلت : يا أرحم الراحمين . فسمع أيضا الصوت يقول لا تقتله . فذهب لينظر ثم

جاء ، فقلت يا أرحم الراحمين ، فإذا أنا بفارس على فرس في يده حربة في رأسها شعلة من نار فطعنه بها

حتى أنفذه فوقع ميتا ، ثم قال : لما دعوت الله في المرة الاولى كنت في السماء السابعة ، ولما دعوته في المرة

الثانية كنت في السماء الدنيا ، ولما دعوته في الثالثة أتيتك .

قال السهيلى : وقد صلاها حجر بن عدى بن الادبر حين حمل إلى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد

ابن أبى وفيه : أنه خرج عليه وأراد خلعه ، وفى الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن

سيرين ، فلما دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . قال : أو أنا أمير المؤمنين ؟ وأمر بقتله .

فصلى ركعتين قبل قتله ثم قتل رحمه الله .

قال : وقد عاتبت عائشة معاوية في قتله فقال : إنما قتله من شهد عليه ، ثم قال : دعينى وحجرا فإن

سألقاه على الجادة يوم القيامة ! . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبى سفيان ؟ قال : حين غاب مثلك من

قومى " اه . ـ *ـ

ـ131ـ

وذكر عروة وموسى بن عقبة أنهم لما رفعوا خبيبا على الخشبة نادوه يناشدونه :

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 131 سطر 1 الى ص 140 سطر 23

وذكر عروة وموسى بن عقبة أنهم لما رفعوا خبيبا على الخشبة نادوه يناشدونه :

أتحب أن محمدا مكانك ؟

قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفدينى بشوكة يشاكها في قدمه ! فضحكوامنه .

وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن الدثنة . فالله أعلم .

قال موسى بن عقبة : زعموا أن عمرو بن أمية دفن خبيبا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عباد ،

عن عقبة بن الحارث ، قال : سمعته يقول : والله ما أنا قتلت خبيبا ، لانا كنت أصغر من

ذلك ، ولكن أبا ميسرة أخا بنى عبدالدار أخذ الحربة فجعلها في يدى ، ثم أخذ بيدى

وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد

ابن عامر بن حذيم الجمحى على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهرى

القوم ، فذكر ذلك لعمر وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر في قدمه قدمها عليه فقال :

يا سعيد ما هذا الذى يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بى ما بأس ، ولكن كنت

فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبى

وأنا في مجلس قط إلا غشى على ! فزادته عند عمر خيرا .

وقد قال الاموى : حدثنى أبى قال : قال ابن إسحاق : وبلغنا أن عمر قال : من

سره أن ينظر إلى رجل نسيج وحده فلينظر إلى سعيد بن عامر .

قال ابن هشام : أقام خبيب في أيديهم حتى انسخلت الاشهر الحرم ثم قتلوه .

وقد روى البيهقى من طريق إبراهيم بن إسماعيل ، حدثنى جعفر بن عمرو بن أمية ،

عن أبيه ، عن جده عمرو بن أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعثه عينا وحده

قال : جئت إلى خشبة خبيب فرقيت ؟ ؟ فيها وأنا أتخوف العيون ، فأطلقته فوقع إلى الارض

ثم اقتحمت فانتبذت قليلا ، ثم التفت فلم أر شيئا ، فكأنما بلعته الارض ، فلم تذكر

لخبيب رمة حتى الساعة .

ثم روى ابن إسحاق عن محمد بن أبى محمد ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس ،

قال : لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين : يلويح هؤلاء المفتونين الذين

هلكوا هكذا ، لاهم أقاموا في أهلهم ولاهم أدوا رسالة صاحبهم .

فأنزل الله فيهم : " ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على

ما في قلبه وهو ألد الخصام (1) " وما بعدها .

وأنزل الله في أصحاب السرية " ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله

رؤوف بالعباد (2) " .

* * *

قال ابن إسحاق وكان مما قيل من الشعر في هذه الغزوة قول خبيب حين أجمعوا

على قتله . قال ابن هشام : ومن الناس من ينكرها له :

لقد جمع الاحزاب حولى وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وكلهم مبدى العداوة جاهد * على لانى في وثاق بمضبع (3)

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم * وقربت من جذع طويل ممنع

إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى * وما أرصد الاعداء (4) لى عند مصرعى

فذا العرش صبرنى على ما يراد بى * فقد بضعوا لحمى وقد ياس مطمعى

وذلك في ذات الاله وإن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

وقد خيرونى الكفر والموت دونه * وقد هملت عيناى من غير مجزع

وما بى حذار الموت إنى لميت * ولكن حذارى جحم نار ملفع

* (هامش) * (1) سورة البقرة 204 . (2) سورة البقرة 207 (3) ابن هشام : بمصيع . (4) ابن هشام : الاحزاب .

ـ 133 ـ

فوالله ما أرجوا إذا مت مسلما * على أى جنب كان في الله مضجعى

فلست بمبد للعدو تخشعا * ولا جزعا إنى إلى الله مرجعى

وقد تقدم في صحيح البخارى بيتان من هذه القصيدة وهما قوله :

فلست أبالى حين أقتل مسلما * على أى شق كان في الله مصرعى

وذلك في ذات الاله وإن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

* * *

وقال حسان بن ثابت يرثى خبيبا فيما ذكره ابن إسحاق :

ما بال عينك لا ترقا مدامعها * سحا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق (1)

على خبيب فتى الفتيان قد علموا * لا فشل حين تلقاه ولا نزق

فاذهب خبيب جزاك الله طيبة * وجنة الخلد عند الحور في الرفق

ماذا تقولون إن قال النبى لكم * حين الملائكة الابرار في الافق

فيم قتلتم شهيد الله في رجل * طاغ قد اوعث في البلدان والرفق (2)

قال ابن هشام : تركنا بعضها لانه أقذع فيها .

وقال حسان يهجوا الذين غدروا بأصحاب الرجيع من بنى لحيان ، فيما ذكره ابن إسحاق

والله أعلم ولله الحمد والمنة والتوفيق والعصمة :

إن سرك الغدر صرفا لا مزاح له * فأت الرجيع فسل عن دار لحيان

قوم تواصوا بأكل الجار بينهم فالكلب والقرد والانسان مثلان

لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم وكان ذا شرف فيهم وذا شان

وقال حسان بن ثابت أيضا ، يهجو هذيلا وبنى لحيان على غدرهم بأصحاب الرجيع

رضى الله تعالى عنهم أجمعين :

لعمرى لقد شانت هذيل بن مدرك * أحاديث كانت في خبيب وعاصم

* (هامش) * (1) القلق : المتحرك المتساقط . والاصل : الفلق . وما أثبته عن ابن هشام .

(2) الرفق : جمع رفقة . ـ * ـ

أحاديث لحيان صلوا بقبيحها * ولحيان جرامون شر الجرائم

أناس هم من قومهم في صميمهم * بمنزلة الزمعان دبر القوادم (1)

هم غدروا يوم الرجيع وأسلمت * أمانتهم ذا عفة ومكارم

رسول رسول الله غدرا ولم تكن * هذيل توقى منكرات المحارم

فسوف يرون النصر يوما عليهم * بقتل الذى تحميه دون الحرائم

أبابيل دبر شمس دون لحمه * حمت لحم شهاد عظيم الملاحم (2)

لعل هذيلا أن يروا بمصابه * مصارع قتلى أو مقاما لمأتم

ونوقع فيها وقعة ذات صولة * يوافى بها الركبان أهل المواسم

بأمر رسول الله إن رسوله * رأى رأى ذى حزم بلحيان عالم

قبيلة ليس الوفاء يهمهم * وإن ظلموا لم يدفعوا كف ظالم

إذا الناس حلوا بالفضاء رأيتهم * بمجرى مسيل الماء بين المخارم (3)

محلهم دار البوار ورأيهم * إذا نابهم أمر كرأى البهائم

* * *

وقال حسان رضى الله عنه أيضا يمدح أصحاب الرجيع ويسميهم بشعره ، كما ذكره

ابن إسحاق رحمه الله تعالى :

صلى الاله على الذين تتابعوا * يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا

رأس السرية مرثد وأميرهم * وابن البكير إمامهم وخبيب

وابن لطارق وابن دثنة منهم * وافاه ثم حمامه المكتوب

والعاصم المقتول عند رجيعهم * كسب المعالى إنه لكسوب

منع المقادة أن ينالوا ظهره * حتى يجالد إنه لنجيب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

* (هامش) * (1) الزمعة : هنة زائدة وراء الظلف أو شبه أضفار الغنم في الرسغ وأراد بالقوادم : الايدى .

(2) الابابيل : الجماعات . والدبر : ذكور النخل . والشمس : الحامية . والملاحم : الحروب . وفى ابن

هاشم : عظام الملاحم . (3) المخازم : مسايل الماء . ـ * ـ

سرية عمرو بن أمية الضمرى

على أثر مقتل خبيب

قال الواقدى : حدثنى إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، وعبدالله بن أبى عبيدة ، عن

جعفر بن ـ الفضل بن الحسن بن (1) ـ عمرو بن أمية الضمرى ، وعبدالله بن جعفر ، عن

عبدالواحد بن أبى عوف ، وزاد بعضهم على بعض قالوا : كان أبوسفيان بن حرب قد

قال لنفر من قريش بمكة : ما أحد يغتال محمدا فإنه يمشى في الاسواق فندرك ثأرنا ؟

فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له : إن أنت وفيتنى خرجت إليه حتى

أغتاله ، فإنى هاد بالطريق خريت ، معى خنجر مثل خافية النسر . قال : أنت صاحبنا .

وأعطاه بعيرا ونفقة وقال : اطو امرك فإنى لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمد .

قال : قال العربى : لا يعلمه أحد .

فخرج ليلا على راحلته فسار خمسا وصبح ظهر الحى يوم سادسة ، ثم أقبل يسأل

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المصلى فقال له قائل : قد توجه إلى بنى

عبد الاشهل .

فخرج الاعرابى يقود راحلته حتى انتهى إلى بنى عبد الاشهل فعقل راحلته ثم أقبل

يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده . فلما

دخل ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه : إن هذا الرجل يريد غدرا والله

حائل بينه وبين ما يريده . فوقف وقال : أيكم ابن ع بدالمطلب ؟ فقال له رسول الله

صلى الله عليه وسلم : أنا ابن ع بدالمطلب . فذهب ينحنى على رسول الله صلى الله عليه

* (هامش) * (1) هذه الزيادة ومابعدها من أمثالها منقولة عن الطبرى 3 : 32 . ـ * ـ

ـ136ـ

وسلم كأنه يساره فجبذه أسيد بن حضير وقال : تنح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجذب بداخل إزاره ، فإذا الخنجر ، فقال : يا رسول الله هذا غادر .

فأسقط في يد الاعرابى وقال : دمى دمى يا محمد . وأخذه أسيد بن حضير يلببه

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : اصدقنى ما أنت وما أقدمك ، فإن صدقتنى نفعك

الصدق ، وإن كذبتنى فقد اطلعت على ما هممت به . قال العربى : فأنا آمن ؟ قال :

وأنت آمن .

فأخبره بخبر أبى سفيان وما جعل له . فأمر به فحبس عند أسيد بن حضير ، ثم دعا به

من الغد فال : قد أمنتك فاذهب حيث شئت ، أو خير لك من ذلك ؟ قال : وما هو ؟

فقال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله .

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله ، والله يا محمد ما كنت أفرق

من الرجال ، فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلى وضعفت ثم اطلعت على ما هممت به ،

فما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد ، فعرفت أنك ممنوع ، وأنك على حق ،

وأن حزب أبى سفيان حزب الشيطان .

فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يتبسم . وأقام أياما ثم استأذن النبى صلى الله عليه

وسلم فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن أمية الضمرى ولسلمة بن أسلم بن

حريس (2) : اخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب ، فإن أصبتما منه غرة فاقتلاه .

قال عمرو : فخرجت أنا وصاحبى حتى أتينا بطن يأجج ، فقيدنا بعيرنا وقال لى

صاحبى : يا عمرو هل لك في أن نأتى مكة فنطوف بالبيت سبعا ونصلى ركعتين فقلت :

ـ أنا أعلم بأهل مكة منك إنهم إذا أظلموا رشوا أفنيتهم ثم جلسوا بها و (1) ـ إنى أعرف

* (هامش) * (1) من تاريخ الطبرى : 3 / 32 . (2) الاصل : حريش : وهو تحريف وما أثبته عن شرح

المواهب 2 / 178 . ـ * ـ

ـ 137 ـ

بمكة من الفرس الابلق . فأبى على فانطلقنا فأتينا مكة فطفنا أسبوعا (1) وصلينا ركعتين ،

فلما خرجت لقينى معاوية بن أبى سفيان فعرفنى وقال : عمرو بن أمية ، واحزناه . فنذر

بنا أهل مكة ، فقالوا : ما جاء عمرو في خير . وكان عمرو فاتكا في الجاهلية . فحشد أهل

مكة وتجمعوا ، وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما واشتدوا في الجبل . قال عمرو :

فدخلت في غار فتغيبت عنهم حتى أصبحت ، وباتوا يطلبوننا في الجبل وعمى الله عليهم

طريق المدينة أن يهتدوا له ، فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيدالله

التيمى يختلى لفرسه حشيشا فقلت لسلمة بن أسلم : إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد

انفضوا عنا . فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا ، فقال : فخرجت إليه فطعنته

طعنة تحت الثدى بخنجرى ، فسقط وصاح فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم ـ ورجعت

إلى مكانى فدخلت فيه ـ وقلت لصاحبى : لا تتحرك . فأقبلوا حتى أتوه وقالوا : من قتلك ؟

قال : عمرو بن أمية الضمرى . فقال أبوسفيان : قد علمنا أنه لم يأت لخير . ولم يستطع

أن يخبرهم بمكاننا ، فإنه كان بآخر رمق فمات ، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه ، فمكثنا

ليلتين في مكاننا حتى ـ سكن عنا الطلب ثم ـ خرجنا ـ إلى التنعيم ـ فقال صاحبى :

يا عمرو بن أمية ، هل لك في خبيب بن عدى تنزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال : هو ذاك

مصلوب حوله الحرس . فقلت : أمهلنى وتنح عنى فإن خشيت شيئا فانح إلى بعيرك فاقعد

عليه فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ودعنى فإنى عالم بالمدينة . ثم

استدرت عليه حتى وجدته فحملته على ظهرى فما مشيت به إلا عشرين ذراعا حتى

استيقظوا فخرجوا في أثرى فطرحت الخشبة فما أنسى وجيبها ، يعنى صوتها ، ثم أهلت

عليه التراب برجلى ، فأخذت طريق الصفراء فأعيوا ورجعوا ، وكنت لا أدرى مع

بقاء نفسى ، فانطلق صاحبى إلى البعير فركبه ، وأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ،

* (هامش) * (1) أسبوعا : سبعا . ـ * ـ

ـ138ـ

وأقبلت حتى أشرفت على الغليل غليل ضجنان ، فدخلت في غار معى قوسى وأسهمى

وخنجرى ، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بنى الديل بن بكر أعور طويل يسوق غنما

ومعزى ، فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت : رجل من بنى بكر . فقال : وأنا من

بنى بكر . ثم اتكأ ورفع عقيرته يتغنى ويقول :

فلست بمسلم مادمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا

فقلت في نفسى : والله إنى لارجو أن أقتلك . فلما نام قمت إليه فقتلته شر قتلة

قتلها أحد قط .

ثم خرجت حتى هبطت ، فلما أسهلت في الطريق إذا رجلا بعثهما قريش يتجسسان

الاخبار ، فقلت : استأسر فأبى أحدهما فرميته فقتلته ، فلما رأى ذلك الآخر استأسر

فشددته وثاقا ، ثم أقبلت به إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

فلما قدمت المدينة أتى صبيان الانصار وهم يلعبون ، وسمعوا أشياخهم يقولون :

هذا عمرو . فاشتد الصبيان إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، وأتيته بالرجل قد

ربطت إبهامه بوتر قوسى ، فلقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يضحك !

ثم دعا لى بخير .

وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام .

رواه البيهقى .

وقد تقدم أن عمرا لما أهبط خبيبا لم ير له رمة ولا جسدا ، فلعله دفن مكان

سقوطه ، والله أعلم .

وهذه السرية إنما استدركها ابن هشام على ابن إسحاق ، وساقها بنحو من سياق

الواقدى لها ، لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية في هذه السرية جبار بن صخر ،

فالله أعلم ولله الحمد .

ـ 139ـ

سرية بئر معونة

وقد كانت في صفر منها . وأغرب مكحول رحمه الله حيث قال : إنها كانت

بعد الخندق .

قال البخارى : حدثنا أبومعمر ، حدثنا ع بدالوارث ، حدثنا عبدالعزيز ، عن

أنس بن مالك ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا لحاجة يقال لهم

القراء . فعرض لهم حيان من بنى سليم : رعل وذكوان ، عند بئر يقال لها بئر معونة ،

فقال القوم : والله ما إياكم أردنا وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبى صلى الله عليه

وسلم . فقتلوهم .

فدعا النبى صلى الله عليه وسلم عليهم شهرا في صلاة الغداة ، وذاك بدء القنوت

وما كنا نقنت .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بنحوه .

ثم قال البخارى : حدثنا عبدالاعلى بن حماد ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ،

عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رعلا وذكوان وعصية وبنى لحيان استمدوا رسول

الله صلى الله عليه وسلم على عدو فأمدهم بسبعين من الانصار ، كنا نسميهم القراء في

زمانهم ، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل ، حتى إذا كانوا ببئر معونة قتلوهم

وغدروا بهم ، فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقنت شهرا يدعو في الصبح على أحياء من

العرب : على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان ، قال أنس : فقرأنا فيهم قرآنا ، ثم

إن ذلك رفع " بلغوا عنا قومنا أنا لقد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا " .

ثم قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا همام ، عن إسحاق بن عبدالله

ابن أبى طلحة ، حدثنى أنس بن مالك ، أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث حراما ،

ـ 140 ـ

أخا لام سليم ، في سبعين راكبا ، وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خير رسول الله

صلى الله عليه وسلم بين ثلاث خصال فقال : يكون لك أهل السهل ولى أهل المدر ،

أو أكون خليفتك ، أو أغزوك بأهل غطفان بألف والف .

فطعن عامر في بيت أم فلان (1) فقال : غدة كغدة البكر في بيت امرأة من آل

فلان ، ائتونى بفرسى ، فمات على ظهر فرسه .

فانطلق حرام أخو أم سليم ، وهو رجل أعرج ، ورجل من بنى فلان فقال : كونا

قريبا حتى آتيهم ، فإن آمنونى كنتم قريبا وإن قتلونى أتيتم أصحابكم . فقال : أتؤمنونى

حتى أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجعل يحدثهم وأومأوا إلى رجل

فأتاه من خلفه فطعنه . قال همام : أحسبه حتى أنفذه بالرمح . فقال : الله أكبر ! فزت

ورب الكعبة !

فلحق الرجل فقتلوا كلهم غير الاعرج ، وكان في رأس جبل ، فأنزل الله علينا ثم

كان من المنسوخ : " إنا لقد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا " .

فدعا النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثين صباحا على رعل وذكوان وبنى لحيان وعصية

الذين عصوا الله ورسوله .

وقال البخارى : حدثنا حبان ، حدثنا عبدالله ، أخبرنى معمر ، حدثنى ثمامة

ابن عبدالله بن أنس ، أنه سمع أنس بن مالك يقول : لما طعن حرام بن ملحان - وكان

خاله - يوم بئر معونة قال بالدم هكذا ، فنضحه على وجهه ورأسه ، وقال : فزت

ورب الكعبة .

وروى البخارى عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبى أسامة ، عن هشام بن عروة ،

أخبرنى أبى ، قال : لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمرى قال له عامر بن

الطفيل : من هذا ؟ وأشار إلى قتيل ، فقال له عمرو بن أمية هذا عامر بن فهيرة قال :

* (هامش) * (1) طعن : أصابه الضاعون . وأم فلان : هى سلول بنت شيبان ، امرأة أخيه . ـ *ـ

ـ141ـ

لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى أن لانظر إلى السماء بينه وبين الارض ثم وضع .

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 141 سطر 1 الى ص 150 سطر 23

لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى أن لانظر إلى السماء بينه وبين الارض ثم وضع .

فأتى النبى صلى الله عليه وسلم خبرهم فنعاهم فقال : إن أصحابكم قد أصيبوا ، وإنهم قد

سألوا ربهم فقالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا . فأخبرهم عنهم

وأصيب يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به ، ومنذر بن عمرو

وسمى به منذر .

هكذا وقع في رواية البخارى مرسلا عن عروة .

وقد رواه البيهقى من حديث يحيى بن سعيد بن أبى أسامة عن هشام ، عن أبيه عن

عائشة ، فساق من حديث الهجرة ، وأدرج في آخره ما ذكره البخارى هاهنا ، فالله أعلم .

وروى الواقدى عن مصعب بن ثابت ، عن أبى الاسود وعن عروة ، فذكر القصة

وشأن عامر بن فهيرة وإخبار عامر بن الطفيل أنه رفع إلى السماء ، وذكر أن الذى قتله

جبار بن سلمى الكلابى .

قال : ولما طعنه بالرمح قال : فزت ورب الكعبة .

ثم سأل جبار بعد ذلك : ما معنى قوله : فزت ؟ قالوا : يعنى بالجنة . فقال : صدق

والله . ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك !

وفى مغازى موسى بن عقبة ، عن عروة ، أنه قال : لم يوجد جسد عامر بن فهيرة ،

يرون أن الملائكة وارته .

* * *

وقال يونس : عن ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى بعد أحد ،

بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ، ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفر على رأس

أربعة أشهر من أحد .

فحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ،

و عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدم

أبوبراء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالمدينة ، فعرض عليه الاسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد وقال : يا محمد لو بعثت رجالا من

أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك .

فقال صلى الله عليه وسلم : إنى أخشى عليهم أهل نجد .

فقال أبوبراء : أنا لهم جار .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة ، المعنق ليموت ،

في أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين ، فيهم الحارث بن الصمة وحرام

بن ملحان أخو بنى عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمى ، ونافع

بن بديل بن ورقاء الخزاعى ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، في رجال من

خيار المسلمين .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم ، فلما نزلوا

بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل ، فلما

أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا

أن يجيبوا إلى ما دعاهم ، وقالوا : لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا .

فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم ، عصية ورعلا وذكوان والقارة ، فأجابوه

إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا أسيافهم

ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن آخرهم ، إلا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار ، فإنهم

تركوه به رمق ، فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق .

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الانصار من بنى عمرو بن

عوف فلم ينبثهما بمصاب القوم إلا الطير تحوم حول العسكر فقالا : والله إن لهذه الطير

لشأنا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة ، فقال

الانصارى لعمرو بن أمية : ماذا ترى ؟ فقال : أرى أن نحلق برسول الله صلى الله عليه

وسلم فنخبره الخبر . فقال الانصارى : لكنى لم أكن لارغب بنفسى عن موطن قتل فيه

المنذر بن عمرو ، وما كنت لاخبر عنه الرجال . فقاتل القوم حتى قتل ، وأخذ عمرو

أسيرا ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة

كانت على أمه فيما زعم !

قال : وخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من

بنى عامر حتى نزلا في ظل هو فيه ، وكان مع العامريين عهد من رسول الله صلى الله عليه

وسلم وجوار لم يعلمه عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممن أنتما ؟ قالا : من بنى عامر .

فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما وقتلهما وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأرا من بنى عامر

فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : " لقد قتلت قتيلين لادينهما " ثم قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : " هذا عمل أبى براء ، قد كنت لهذا كارها متخوفا " .

فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفار عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم بسببه وجواره .

فقال حسان بن ثابت في إخفار عمار أبا براء ويحرض بنى أبى براء على عامر :

بنى أم البنين ألم يرعكم * وأنتم من ذوائب أهل نجد

تهكم عامر بأبى براء * ليخفره وما خطأ كعمد

ألا أبلغ ربيعة ذا المساعى فم * ا أحدثت في الحدثان بعدى

أبوك أ بوالحروب أبوبراء * وخالك ماجد حكم بن سعد

ـ 144ـ

قال ابن هشام : أم البنين أم أبى براء ، وهى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر

بن صعصعة .

قال : فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه في فخذه فأشواه (1)

ووقع عن فرسه ، وقال : هذا عمل أبى براء ، إن أمت فدمى لعمى فلا يتبعن به ، وإن

أعش فسأرى رأيى .

وذكرموسى بن عقبة عن الزهرى نحو سياق محمد بن إسحاق ، قال موسى : وكان

أمير القوم المنذر بن عمرو وقيل : مرثد بن أبى مرثد .

وقال حسان بن ثابت يبكى قتلى بئر معونة ، فيما ذكره ابن إسحاق رحمه الله ،

والله أعلم .

على قتلى معونة فاستهلى * بدمع العين سحا غير نزر

على خيل الرسول غداة لاقو * ولاقتهم مناياهم بقدر

أصابهم الفناء بعقد قوم * تخون عقد حبلهم بغدر

فيالهفى لمنذر إذ تولى * وأعنق في منيته بصبر

وكائن قد أصيب غداة ذاكم * من ابيض ماجد من سر عمرو

* (هامش) * (1) أشواه : لم يصب مقاتله . ـ * ـ

ـ 145 ـ

غزوة بنى النضير

وهى التى أنزل الله تعالى فيها سورة الحشر

في صحيح البخارى عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بنى النضير .

وحكى البخارى عن الزهرى ، عن عروة أنه قال : كانت بنو النضير بعد بدر بستة

أشهر قبل أحد .

وقد أسنده ابن أبى حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن عبدالله بن صالح ، عن الليث ،

عن عقيل ، عن الزهرى به .

وهكذا روى حنبل بن إسحاق ، عن هلال بن العلاء ، عن عبدالله بن جعفر الرقى ،

عن مطرف بن مازن اليمانى ، عن معمر ، عن الزهرى ، فذكر غزوة بدر في سابع عشر

رمضان سنة ثنتين .

قال : ثم غزا بنى النضير ، ثم غزا أحدا في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق في

شوال سنة أربع .

وقال البيهقى : وقد كان الزهرى يقول : هى قبل أحد .

قال : وذهب آخرون إلى أنها بعدها ، وبعد بئر معونة أيضا .

قلت : هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدم ، فإنه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو

ابن أمية وقتله ذينك الرجلين من بنى عامر ، ولم يشعر بعهدهما الذى معهما من رسول الله

صلى الله عليه وسلم ولهذا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد قتلت

رجلين لادينهما " .

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعينهم في

دية ذينك القتيلين من بنى عامر الذين قتلهما عمرو بن أمية ، للعهد الذى كان صلى الله

عليه وسلم أعطاهما ، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عهد وحلف ، فلما أتاهم صلى الله

عليه وسلم قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت .

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه . ورسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد . فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى

عليه صخرة ويريحنا منه .

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، فقال : أنا لذلك . فصعد ليلقى عليه صخرة

كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبوبكر وعمر وعلى ،

فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعا إلى المدينة .

فلما استلبث النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا من

المدينة ، فسألوه عنه فقال : رأيته داخلا المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به .

قال الواقدى : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج

من جواره وبلده ، فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم

النصر ، فقويت عند ذلك نفوسهم ، وحمى حيى بن أخطب ، وبعثوا إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم : أنهم لا يخرجون ، ونابذوه بنقض العهود .

فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم .

قال الواقدى : فحاصروهم خمس عشرة ليلة

وقال ابن إسحاق : وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وذلك في شهر

ربيع الاول .

قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال ، ونزل تحريم الخمر

ـ 147ـ

حينئذ ، وتحصنوا في الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل

والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب من صنعه ، فما

بال قطع النخيل وتحريقها .

قال : وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم عبدالله بن أبى ووديعة

ومالك وسويد وداعس قد بعثوا إلى بنى النضير : أن اثبتوا وتمنعوا ، فإنا لن نسلمكم ،

إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ،

وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم

ما حملت الابل من أموالهم إلا الحلقة .

وقال العوفى : عن ابن عباس ، أعطى كل ثلاثة بعيرا يعتقبونه ـ و ـ وسقا (1) .

رواه البيهقى .

وروى من طريق يعقوب بن محمد ، عن الزهرى ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن

محمد بن مسلمة ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن مسلمة ، أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم بعثه إلى بنى النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال .

وروى البيهقى وغيره أنه كانت لهم ديون مؤجلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : ضعوا وتعجلوا .

وفى صحته نظر . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الابل ، فكان الرجل منهم

يهدم بيته عن نجاف (2) بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم

من سار إلى الشام ، فكان من أشراف من ذهب منهم إلى خيبر : سلام بن أبى الحقيق

وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وحيى بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها .

* (هامش) * (1) الوسق : حمل البعير . (2) النجاف : أسكفة الباب . ـ * ـ

فحدثنى عبدالله بن أبى بكر أنه حدث أنهم استقبلوا بالنساء والابناء والاموال ،

معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر ، ما رؤى مثله لحى من الناس

في زمانهم .

قال : وخلوا الاموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى النخيل والمزارع ، فكانت

له خاصة يضعها حيث شاء ، فقسمها على المهاجرين الاولين دون الانصار ، إلا أن سهل

ابن حنيف وأبا دجانة ذكرا فقرا فأعطاهما ، وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمة .

حكاه السهيلى .

قال ابن إسحاق : ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان وهما يامين بن عمير بن كعب

ابن عم عمرو بن جحاش وأبوسعد بن وهب ، فأحرزا أموالهما .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ليامين : ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأنى ؟ فجعل يامين لرجل جعلا

على أن يقتل عمرو بن جحاش ، فقتله لعنه الله .

* * *

قال ابن إسحاق : فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكمالها ، يذكر فيها ما أصابهم به من

نقمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم .

ثم شرع ابن إسحاق يفسرها . وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطة في كتابنا التفسير

ولله الحمد .

قال الله تعالى : " سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم ، هو

الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ، ما ظننتم أن

يخرجوا وظنوا لهم ما نعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف

في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، فأعتبروا يا أولى الابصار ،

ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار . ذلك

ـ 149 ـ

بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب . ما قطعتم من لينة أو

تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين " .

سبح سبحانه وتعالى نفسه الكريمة ، وأخبر أنه يسبح له جميع مخلوقاته العلوية

والسفلية وأنه العزيز ، وهو منيع الجناب فلا ترام عظمته وكبرياؤه ، وأنه الحكيم في

جميع ما خلق وجميع ما قدر وشرع ، فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره لرسول الله صلى الله

عليه وسلم وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم اليهود الذين شافوا الله ورسوله وجانبوا

رسوله وشرعه ، وما كان من السبب المفضى لقتالهم كما تقدم ، حتى حاصرهم المؤيد

بالرعب والرهب مسيرة شهر ، ومع هذا فأسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة

ست ليال ، فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى صانعوا وصالحوا على حقن دمائهم

وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركابهم ، على أنهم لا يصحبون شيئا من السلاح

إهانة لهم واحتقارا ، فجعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، فاعتبروا

يا أولى الابصار .

ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصبهم الجلاء وهو التسيير والنفى من جوار الرسول من

المدينة لاصابهم ما هو أشد منه من العذاب الدنيوى وهو القتل ، مع ما ادخر لهم في

الآخرة من العذاب الاليم المقدر لهم .

ثم ذكر تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلهم وترك ما بقى لهم ، وأن ذلك كله سائغ فقال :

" ما قطعتم من لينة " وهو جيد التمر " أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله " إن

الجميع قد أذن فيه شرعا وقدرا ، فلا حرج عليكم فيه ولنعم ما رأيتم من ذلك ، وليس

هو بفساد كما قاله شرار العباد ، إنما هو إظهار للقوة وإخزاء للكفرة الفجرة .

وقد روى البخارى ومسلم جميعا عن قتيبة ، عن الليث ، عن نافع ، عن ابن عمر ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع ، وهى البويرة ، فأنزل

الله : " ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين " .

وعند البخارى من طريق جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع ، وهى البويرة ، ولها يقول

حسان بن ثابت :

وهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبوسفيان بن الحارث يقول :

أدام الله ذلك من صنيع * وحرق في نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بستر * وتعلم أى أرضينا نضير

* * *

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن

الاشرف فالله أعلم :

لقد خزيت بغدرتها الحبور (1) * كذاك الدهر ذو صرف يدور

وذلك أنهم كفروا برب * عظيم أمره أمر كبير

وقد أوتوا معا فهما وعلما وجاءهم من الله النذير

نذير صادق أدى كتابا * وآيات مبينة تنير

فقالوا ما أتيت بأمر صدق وأنت بمنكر منا جدير

فقال بلى لقد أديت حقا * يصدقنى به الفهم الخبير

فمن يتبعه يهد لكل رشد * ومن يكفر به يخز الكفور

فلما أشربوا غدرا وكفرا * وجد بهم عن الحق النفور

أرى الله النبى برأى صدق * وكان الله يحكم لا يجور

فأيده وسلطه عليهم * وكان نصيره نعم النصير

* (هامش) * (1) الحبور : جمع حبر ، وهم علماء اليهود . ـ * ـ

ـ 151ـ

فغودر منهم كعب صريعا * فذلت بعد مصرعه النضير

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 151 سطر 1 الى ص 160 سطر 21

فغودر منهم كعب صريعا * فذلت بعد مصرعه النضير

على الكفين ثم وقد علته * بأيدينا مشهرة ذكور

بأمر محمد إذ دس ليلا * إلى كعب أخا كعب يسير

فما كره فأنزله بمكر * ومحمود أخو ثقة جسور

فتلك بنو النضير بدار سوء * أبارهم بما اجترموا (المبير (1)

غداة أتاهم في الزحف رهوا (2) * رسول الله وهو بهم بصير

وغسان الحماة مؤازروه * على الاعداء وهو لهم وزير

فقال السلم ويحكم فصدوا * وخالف أمرهم كذب وزور

فذاقوا غب أمرهم وبالا * لكل ثلاثة منهم بعير

وأجلوا عامدين لقينقاع * وغودر منهم نخل ودور

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها لسمال اليهودى ، فتركناها قصدا .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل في بنى النضير قول ابن لقيم العبسى ، ويقال : قالها

قيس بن بحر بن طريف الاشجعي :

أهلى فداء لامرى ء غير هالك * أحل اليهود بالحسى المزنم (3)

يقيلون في جمر العضاه وبدلوا * أهيضب عودا بالودى المكمم (4)

فإن يك ظنى صادقا بمحمد * تروا خيله بين الصلا ويرمرم (5)

يؤم بها عمرو بن بهثة إنهم * عدو وما حى صديق كمجرم

عليهن أبطال مساعير في الوغى * يهزون أطراف الوشيج المقوم (6)

* (هامش) * (1) أبارهم : أهلكهم . (2) رهوا : سيرا سهلا . (3) الحسى : ما يحسى من الطعام المزنم

الرجل يكون في القوم ليس منهم . يريد : أحلهم بأرض غربة في غير عشائرهم . وانظر الروض الانف ؟ ؟

2 / 177 . (4) جمر : الاصل خمر . وما أثبته من ابن هشام . والعضاه : شجر . وأهيضب

مكان مرتفع . والودى : صغار النخل . والمكمم : الذى خرج كمامه . (5) الصلا : موضع . ويرمرم

جبل . (6) الوشيج : شجر الرماح .

وكل رقيق الشفرتين مهند * تووثن من أزمان عاد وجرهم

فمن مبلغ عنى قريشا رسالة * فهل بعدهم في المجد من متكرم

بأن أخاهم فاعلمن محمدا تليد الندى بين الحجون وزمزم

فدينوا له بالحق تجسم أموركم * وتسمو من الدنيا إلى كل معظم

نبى تلافته من الله رحمة * ولا تسألوه أمر غيب مرجم

فقد كان في بدر لعمرى عبرة * لكم يا قريش والقليب الملمم

غداة أتى في الخزرجية عامدا * إليكم مطيعا للعظيم المكرم

معانا بروح القدس ينكى عدوه * رسولا من الرحمن حقا بمعلم

رسولا من الرحمن يتلو كتابه * فلما أنار الحق لم يتعلثم

أرى أمره يزداد في كل موطن * علوا لامر حمه الله محكم

* * *

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب ، وقال ابن هشام : قالها رجل من ؟

المسلمين ، ولم أر أحدا يعرفها لعلى :

عرفت ومن يعتدل يعرف * وأيقنت حقا ولم أصدف

عن الكلم المحكم اللاء من * لدى الله ذى الرأفة الارأف

رسائل تدرس في المؤمنين * بهن اصطفى أحمد المصطفى

فأصبح أحمد فينا عزيزا * عزيز المقامة والموقف

فيا أيها الموعدوه سفاها * ولم يأت جورا ولم يعنف

ألستم تخافون أدنى العذاب * وما آمن الله كالاخوف

وأن تصرعوا تحت أسيافه * كمصرع كعب أبى الاشرف

غداة رأى الله طغيانه * وأعرض كالجمل الاجنف

فأنزل جبريل في قتله * بوحى إلى عبده ملطف

فدس الرسول رسولا له * بأبيض ذهب هبة مرهف

فباتت عيون له معولات * متى ينع كعب لها تذرف

وقلن لاحمد ذرنا قليلا * فإنا من النوح لم نشتف

فخلاهم ثم قال اظعنوا * دحورا على رغم الآنف

وأجلى النضير إلى غربة * وكانوا بدار ذوى زخرف

إلى أذرعات ردافا وهم * على كل ذى دبر أعجف

وتركنا جوابها أيضا من سمال اليهودى قصدا .

* * *

ثم ذكر تعالى حكم الفئ ، وأنه حكم بأموال بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وملكها له ، فوضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراه الله تعالى .

كما ثبت في الصحيحين ، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال : كانت أموال

بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت

لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقى

في الكراح والسلاح عدة في سبيل الله عزوجل .

ثم بين تعالى حكم الفئ وأنه للمهاجرى والانصار والتابعين لهم بإحسان على منوالهم

وطريقتهم : " ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كى لا يكون دولة بين

الاغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله

شديد العقاب " .

قال الامام أحمد : حدثنا عارم وعفان ، قالا : حدثنا معتمر ، سمعت أبى يقول : حدثنا

أنس بن مالك ، عن نبى الله صلى الله عليه وسلم أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات

أو كما شاء الله ، حتى فتحت عليه قريظة والنضير ، قال : فجعل يرد بعد ذلك .

ـ 154ـ

قال : وإن أهلى أمرونى أن آتى نبى الله صلى الله عليه وسلم فأسأله الذى كان أهله

أعطوه أو بعضه ، وكان نبى الله صلى الله عليه وسلم أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله .

قال : فسألت النبى صلى الله عليه وسلم فأعطانيهن ، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب

في عنقى وجعلت تقول : كلا والله الذى لا إله إلا هو لا أعطيكهن وقد أعطانيهن أو كما

قالت . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لك كذا وكذا . وتقول : كلا والله .

قال : ويقول لك كذا وكذا . وتقول : كلا والله . قال : ويقول لك كذا وكذا حتى

أعطاها حسبت أنه قال عشرة أمثال أو قال قريبا من عشرة أمثاله أو كما قال .

أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به .

ثم قال تعالى : ذاما للمنافقين الذين مالوا إلى بنى النضير في الباطن كما تقدم ، ووعدوهم

النصر فلم يكن من ذلك شئ ، بل خذلوهم أحوج ما كانوا إليهم ، وغروهم من أنفسهم

فقال : " ألم تر إلى الذين نافقو يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن

أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ، وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد

إنهم لكاذبون ، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن

نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون " .

ثم ذمهم تعالى على جبنهم وقلة علمهم وخفة عقلهم النافع ، ثم ضرب لهم مثلا قبيحا

شنيعا بالشيطان حين " قال للانسان : اكفر فلما كفر قال : إنى برئ منك إنى أخاف

الله رب العالمين ، فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين " .

ـ 155ـ

قصة عمرو بن سعدى القرظى

حين مر على ديار بنى النضير وقد صارت يبابا ليس بها داع ولا مجيب ، وقد كانت

بنو النضير أشرف من بنى قريظة ، حتى حداه ذلك على الاسلام وأظهر صفة رسول الله

صلى الله عليه وسلم من التوراة .

قال الواقدى حدثنا ابراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : لما خرجت بنو النضير من

المدينة أقبل عمرو بن سعدى فأطاف بمنازلهم ، فرأى خرابها وفكر ، ثم رجع إلى بنى

قريظة فوجدهم في الكنيسة ، فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا : يا أبا سعيد

أين كنت منذ اليوم لم تزل . وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله في اليهودية . قال :

رأيت اليوم عبرا قد عبرنا بها ، رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العزى والجلد

والشرف الفاضل والعقل البارع ، قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل ،

ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة ، وقد أوقع قبل ذلك بابن الاشرف

ذى عزهم ثم بيته في بيته آمنا ، وأوقع بابن سنينة سيدهم ، وأوقع ببنى قينقاع فأجلاهم وهم أهل

جد يهود ، وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة ، فحصرهم فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى

سباهم وكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب ، يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى

وتعالوا نتبع محمدا ، والله إنكم لتعلمون أنه نبى قد بشرنا به وبأمره ابن الهيبان أبوعمير

وابن حراش ، وهما أعلم يهود جاءانا يتوكفان قدومه وأمرانا باتباعه ، جاءانا من بيت

المقدسس وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ، ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحرتنا هذه .

فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم .

ثم أعاد هذا الكلام ونحوه ، وخوفهم بالحرب والسباء والجلاء . فقال الزبير بن

باطا : قد والتوراة قرأت صفته في كتاب باطا ، التوراة التى نزلت على موسى ، ليس في

المثانى الذى أحدثنا .

ـ156ـ

قال : فقال له كعب بن أسد : ما يمنعك يا أبا عبدالرحمن من اتباعه ؟ قال أنت

يا كعب . قال كعب : فلم ؟ والتوراة ما حلت بينك وبينه قط .

قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فإن اتبعته اتبعناه وإن أبيت أبينا .

فأقبل عمرو بن سعدى على كعب ، فذكر ما تقاولا في ذلك ، إلى أن قال عمرو : ما عندى

في أمره إلا ما قلت : ما تطيب نفسى أن أصير تابعا !

رواه البيهقى .

غزوة بنى لحيان

التى صلى فيها صلاة الخوف بعسفان

ذكرها البيهقى في الدلائل ، وإنما ذكرها ابن إسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن

زياد عنه في جمادى الاولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبنى قريظة وهو أشبه

مما ذكره البيهقى والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أ بوعبدالله الحافظ ، حدثنا أ بوالعباس الاصم ،

حدثنا أحمد بن عبدالجبار وغيره ، قالوا : لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله صلى

الله عليه وسلم طالبا بدمائهم ليصيب من بنى لحيان غرة ، فسلك طريق الشام ليرى أنه

لا يريد بنى لحيان حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رءوس الجبال ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو أنا هبطنا عسفان لرأت قريش أنا قد جئنا مكة " .

فخرج في مائتى راكب حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين حتى جاءا كراع

الغميم (1) ثم انصرفا .

فذكر أبوعياش الزرقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بعسفان

صلاة الخوف .

* (هامش) * (1) الغميم : ود أمام عسفان بثمالية أميال . بضاف إلى كراع ، حبل أسود بطرف الحرة ممتد إليه . ـ * ـ

ـ 157 ـ

وقد قال الامام أحمد : حدثنا عبدالرزاق ، حدثنا الثورى ، عن منصور ، عن

مجاهد ، عن ابن عياش ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا

المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم صلاة الظهر فقالوا : قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم . ثم قالوا : تأتى الآن عليهم

صلاة هى أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم .

قال : فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر : " وإذا كنت فيهم فأقمت

لهم الصلاة " .

قال : فحضرت ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح ، فصففنا خلفه

صفين ، ثم ركع فركعنا جميعا ، ثم رفع فرفعنا جميعا ، ثم سجد بالصف الذى يليه

والآخرون قيام يحرسوهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ،

ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء . قال : ثم ركع

فركعوا جميعا ثم رفع فرفعوا جميعا ، ثم سجد الصف الذى يليه والآخرون قيام

يحرسونهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ، ثم سلم عليهم . ثم انصرف .

قال : فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة بأرض عسفان ، ومرة

بأرض بنى سليم .

ثم رواه أحمد عن غندر ، عن شعبة ، عن منصور به ، نحوه .

وقد رواه أبوداود عن سعيد بن منصور ، عن جرير بن عبدالحميد ، والنسائى عن

الفلاس ، عن عبدالعزيز بن عبدالصمد ، عن محمد بن المثنى ، وبندار ، عن غندر ، عن

شعبة ثلاثتهم عن منصور به .

وهذا إسناد على شرط الصحيحين ، ولم يخرجه واحد منهما .

لكن روى مسلم من طريق أبى خيثمة زهير بن معاوية ، عن أبى الزبير ، عن جابر

ـ158ـ

قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما من جهينة ، فقاتلوا قتالا شديدا ، فلما

أن صلى الظهر قال المشركون : لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم .

فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وذكر لنا رسول الله صلى الله

عليه وسلم : قال : " وقالوا : إنه ستأتيهم صلاة هى أحب إليهم من الاولاد " فذكر

الحديث كنحو ما تقدم .

وقال أبوداود الطيالسى : حدثنا هشام ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبدالله

قال : " صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه الظهر بنخل ، فهم به المشركون

ثم قالوا : دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه الصلاة هى أحب إليهم من أبنائهم .

قال : فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فصلى بأصحابه

صلاة العصر ، فصفهم صفين بين أيديهم رسول الله والعدو بين يدى رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، فكبر وكبروا جميعا وركعوا جميعا ، ثم سجد الذين يلونهم والآخرون

قيام ، فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون ، ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء ، فكبروا

جميعا وركعوا جميعا ، ثم سجد الذين يلونه والآخرون قيام ، فلما رفعوا رءوسهم

سجد الآخرون .

وقد استشهد البخارى في صحيحه برواية هشام هذه عن أبى الزبير ، عن جابر .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبدالصمد ، حدثنا سعيد بن عبيد الهنائى (1) ، حدثنا

عبدالله بن شقيق ، حدثنا أبوهريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بين ضجنان

وعسفان ، فقال المشركون : إن لهؤلاء صلاة هى أحب إليهم من أبنائهم وأبكارهم وهى

العصر ، فأجمعوا أمركم فميلوا عليهم ميلة واحدة .

وإن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يقيم أصحابه شطرين فيصلى

* (هامش) * (1) الهنائى : نسبة إلى هناءة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، بطن من الازد . اللباب 3 / 294 .
ـ * ـ

ببعضهم ويقدم الطائفة الاخرى وراءهم ، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ثم تأنى الاخرى

فيصلون معه ، ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ، ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ولرسول الله ركعتان .

ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبدالصمد به ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

قلت : إن كان أبوهريرة شهد هذا فهو بعد خيبر ، وإلا فهو من مرسلات الصحابى ،

ولا يضر ذلك عند الجمهور . والله أعلم .

ولم يذكر في سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبى داود الطيالسى أمر عسفان

ولا خالد بن الوليد ، لكن الظاهر أنها واحدة .

* * *

بقى الشأن في أن غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها ؟ فإن من العلماء ، منهم

الشافعى ، من يزعم أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد يوم الخندق ، فإنهم أخروا الصلاة

يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ، ولو كانت صلاة الخوف مشروعة إذ ذاك لفعلوها ولم

يؤخروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازى : إن غزوة بنى لحيان التى صلى فيها صلاة

الخوف بعسفان كانت بعد بنى قريظة .

وقد ذكر الواقدى بإسناده عن خالد بن الوليد قال : لما خرج رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى الحديبية لقيته بعسفان فوقفت بإزائه وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر

أمامنا ، فهممنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا ، فأطلعه الله على ما في أنفسنا من الهم به ، فصلى

بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف .

قلت : وعمرة الحديبية كانت في ذى القعدة سنة ست بعد الخندق وبنى قريظة

كما سيأتى .

وفى سياق حديث أبى عياش الزرقى ما يقتضى أن آية صلاة الخوف نزلت في هذه

الغزوة يوم عسفان ، فاقتضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاها . والله أعلم .

وسنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب

" الاحكام الكبير " إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

غزوة ذات الرقاع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النضير

شهرى ربيع وبعض جمادى ، ثم غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان

واستعمل على المدينة أبا ذر .

قال ابن هشام : ويقال : عثمان بن عفان .

قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل نخلا وهى غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : لانهم رقعوا فيها راياتهم ، ويقال لشجرة هناك اسمها

ذات الرقاع .

وقال الواقدى : بجبل فيه بقع حمر وسود وبيض .

وفى حديث أبى موسى : إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من

الخرق من شدة الحر .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعا من غطفان ، فتقارب الناس ولم يكن بينهم

حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضا ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس

صلاة الخوف .

وقد أسند ابن هشام حديث صلاة الخوف هاهنا عن ع بدالوارث بن سعيد التنورى ،

عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبدالله ، وعن ع بدالوارث ، عن

أيوب ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، وعن ع بدالوارث ، عن أيوب ، عن نافع ،

ـ161ـ

عن ابن عمر ، ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ، ولم يتعرض

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 161 سطر 1 الى ص 170 سطر 25

عن ابن عمر ، ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ، ولم يتعرض

لزمان ولا مكان .

وفى كون غزوة ذات الرقاع التى كانت بنجد لقتال بنى محارب وبنى ثعلبة بن غطفان

قبل الخندق نظر .

وقد ذهب البخارى إلى أن ذلك كان بعد خيبر ، واستدل على ذلك بأن أبا موسى

الاشعرى شهدها ، كما سيأتى ، وقدومه إنما كان ليالى خيبر صحبة جعفر وأصحابه ،

وكذلك أبوهريرة ، وقد قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة

نجد صلاة الخوف .

ومما يدل على أنها بعد الخندق أن ابن عمر إنما أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم

في القتال أول ما أجازه يوم الخندق . وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : غزوت مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فذكر صلاة الخوف .

وقول الواقدى : إنه عليه السلام خرج إلى ذات الرقاع في أربعمائة ويقال سبعمائة من

أصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس . فيه نظر .

ثم لا يحصل به نجاة من أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد الخندق ، لان الخندق

كان في شوال سنة خمس على المشهور ، وقيل في شوال سنة أربع ، فتحصل على هذا

القول مخلص من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبى موسى وأبى هريرة فلا .

قصة غورث بن الحارث

قال ابن إسحاق في هذه الغزوة : حدثنى عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، عن جابر

ابن عبدالله ، أن رجلا من بنى محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب :

ـ 162ـ

ألا أقتل لكم محمد ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به .

قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، وسيف رسول الله

صلى الله عليه وسلم في حجره . فقال : يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم . فأخذه

ثم جعل يهزه ويهم ، فكبته الله . ثم قال : يا محمد ، أما تخافنى ؟ قال : لا ، ما أخاف

منك ؟ قال : أما تخافنى وفى يدى السيف ؟ قال : لا ، يمنعنى الله منك . ثم عمد إلى سيف

النبى صلى الله عليه وسلم فرده عليه .

فأنزل الله عزوجل : " يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم

أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل

المؤمنون (1) " .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان ، أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش

أخى بنى النضير وما هم به .

* * *

هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القدرى رأس الفرقة

الضالة ، وهو إن كان لايتهم بتعمد الكذب في الحديث إلا أنه ممن لا ينبغى أن يروى

عنه لبدعته ودعائه إليها .

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه ولله الحمد .

فقد أورد الحافظ البيهقى ها هنا طرقا لهذا الحديث من عدة أماكن ، وهى ثابتة

في الصحيحين من حديث الزهرى عن سنان ، أبى سنان وأبى سلمة عن جابر ، أنه غزا

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم

أدركته القائلة في واد كثير العضاه (2) ، فتفرق الناس يستظلون بالشجر ، وكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه .

* (هامش) * (1) سورة المائدة . (2) العضاه : شجر عظيم له شوك . ـ * ـ

قال جابر : فنمنا نومه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فأجبناه ، وإذا عنده

أعرابى جالس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا اخترط سيفى وأنا نائم

فاستيقظت وهو في يده صلتا (1) فقال : من يمنعك منى ؟ قلت : الله . فشام السيف

وجلس . ولم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فعل ذلك .

وقد رواه مسلم أيضا ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن عفان ، عن أبان ، عن يحيى بن

أبى كثير ، عن أبى سلمة ، عن جابر قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

إذا كنا بذات الرقاع ، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه

وسلم ، فجاءه رجل من المشركين ، وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم بشجرة ،

فأخذ سيف رسول الله فاخترطه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : تخافنى ؟ قال : لا .

قال : فمن يمنعك منى ؟ قال : الله يمنعنى منك . قال : فهدده أصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فأغمده السيف وعلقه .

قال : ونودى بالصلاة ، فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا ، وصلى بالطائفة الاخرى

ركعتين . قال : فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان .

وقد علقه البخارى بصيغة الجزم عن أبان به .

قال البخارى : وقال : مسدد عن أبى عوانة عن أبى بشر ، إن اسم الرجل غورث بين الحارث .

وأسند البيهقى من طريق أبى عوانة ، عن أبى بشر ، عن سليمان بن قيس ، عن

جابر قال : قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب وغطفان بنخل ، فرأوا من

المسلمين غرة ، فجاء رجل منهم يقال له : غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله

صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال : من يمنعك منى ؟ قال : الله . فسقط السيف من يده .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال : من يمنعك منى ؟ فقال : كن خير

* (هامش) * (1) صلتا : مجردا من غمده ، بمعنى مصلت . ـ * ـ

ـ 164 ـ

آخذ . قال : تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : لا ، ولكن أعاهدك على ألا أقاتلك ولا أكون

مع قوم يقاتلونك .

فخلى سبيله ، فأتى أصحابه وقال : جئتكم من عند خير الناس .

ثم ذكر صلاة الخوف ، وأنه صلى أربع ركعات ، بك طائفة ركعتين .

وقد أورد البيهقى هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع ، عن صالح بن خوات بن جبير ،

عن سهل بن أبى حثمة ، وحديث الزهرى ، عن سالم عن أبيه ، في صلاة الخوف بنجد .

وموضع ذلك كتاب الاحكام . والله أعلم .

قصة الذى أصيبت امرأته في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق : حدثنى عمى صدقة بن يسار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن

عبدالله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل

فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم

قافلا ، أتى زوجها وكان غائبا ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهى حتى يهريق في أصحاب

محمد دما .

فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا

فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الانصار . فقالا :

نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بفم الشعب من الوادى . وهما عمار بن ياسر وعباد بن

بشر ، فلما خرجا إلى فم الشعب قال الانصارى للمهاجرى : أى الليل تحب أن

أكفيكه أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفنى أوله . فاضطجع المهاجرى فنام وقام

الانصارى يصلى .

قال : وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم ، فرمى بسهم

فوضعه فيه ، فانتزعه ووضعه وثبت قائما . قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه

فوضعه وثبت قائما . قال : ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ،

ثم أهب صاحبه فقال : اجلس فقد اثبت .

قال : فوثب الرجل فلما رآهما عرف أنه قد نذرا به ، فهرب .

قال : ولما رأى المهاجرى ما بالانصارى من الدماء قال : سبحان الله أفلا أهببتنى

أول ما رماك ؟ !

قال : كنت في سورة أقرؤها ، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها ، فلما تابع على الرمى

ركعت فآذنتك ، وأيم الله لولا أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه

لقطع نفسى قبل أن أقطعها أؤ أنفذها !

هكذا ذكره ابن إسحاق في المغازى . وقد رواه أبوداود عن أبى توبة ، عن عبدالله

ابن المبارك ، عن ابن إسحاق به .

وقد ذكر الواقدى عن عبدالله العمرى ، عن أخيه عبيدالله ، عن القاسم بن محمد ،

عن صالح بن خوات ، عن أبيه ، حديث صلاة الخوف بطوله . قال : وكان رسول الله صلى

الله عليه وسلم قد أصاب في محالهم نسوة ، وكان في السبى جارية وضيئة ، وكان زوجها

يحبها ، فحلف ليطلبن محمدا ولا يرجع حتى يصيب دما أو يخلص صاحبته ، ثم ذكر من

السياق نحو ما أورده محمد بن إسحاق .

قال الواقدى : وكان جابر بن عبدالله يقول : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم

إذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، فأقبل

إليه أبواه أو أحدهما حتى طرح نفسه في يدى الذى أخذ فرخه ، فرأيت أن الناس عجبوا من

ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح

نفسه رحمة لفرخه ؟ فوالله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه !

ـ166ـ

قصة جمل جابر في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق : حدثنى وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبدالله ، قال :

خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لى

ضعيف ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت الرفاق تمضى وجعلت أتخلف ،

حتى أدركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا جابر ؟ قلت : يا رسول الله

أبطأ بى جملى هذا . قال : أنخه : فأنخته وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم

قال أعطنى هذا العصا من يدك أو اقطع عصا من شجرة . ففعلت فأخذها رسول الله صلى

الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات ثم قال : اركب . فركبت ، فخرج والذى بعثه بالحق

يواهق ناقته مواهقة (1) .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتبيعنى جملك هذا يا جابر ؟

قال : قلت : بل أهبه لك . قال : لا ولكن بعنيه ، قال : قلت : فسمنيه ، قال : قد أخذته

بدرهم ، قال : قلت : لا إذا تغبننى يا رسول الله ! قال : فبدرهمين ، قال : قلت : لا . قال :

فلم يزل يرفع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الاوقية ، قال : فقلت : أفقد

رضيت ؟ قال : نعم ، قلت : فهو لك ، قال : قد أخذته .

ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعد ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيبا أم

بكرا ؟ قال : قلت : بل ثيبا . قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك !

قال : قلت يا رسول الله إن أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعا ، فنكحت

امرأة جامعة تجمع رءوسهن فتقوم عليهن . قال : أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو جئنا

صرارا (2) أمرنا بجزور فنحرت فأقمنا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فنفضت نمارقها . قال :

فقلت : والله يا رسول الله مالنا نمارق . قال : إنها ستكون فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيسا .

* (هامش) * (1) المواهقة . المباراة . (2) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة . ـ *ـ

قال : فلما جئنا صرارا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت وأقمنا عليها

ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا . قال :

فحدثت المرأة الحديث وما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فدونك

فسمع وطاعة .

فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله صلى الله

عليه وسلم ثم جلست في المسجد قريبا منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

فرأى الجمل فقال : ما هذا ؟ قالوا : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ،

فدعيت له ، قال : فقال : يا ابن أخى خذ برأس جملك فهو لك . قال : ودعا

بلالا فقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية . قال : فذهبت معه فأعطانى أوقية وزادنى

شيئا يسيرا .

قال : فوالله ما زال ينمى عندى ويرى مكانه من بيننا حتى أصيب أمس فيما أصيب

لنا . يعنى يوم الحرة .

وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث عبيدالله بن عمر العمرى ، عن وهب بن

كيسان ، عن جابر بنحوه .

قال السهيلى : في هذا الحديث إشارة إلى ما كان أخبر به رسول الله صلى الله عليه

وسلم جابر بن عبدالله أن الله أحيا والده وكلمه فقال له : تمن على . وذلك أنه شهيد وقد

قال الله تعالى : " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم " وزادهم على ذلك

في قوله : " للذين أحسنوا الحسنى زيادة " ثم جمع لهم بين العوض والمعوض فرد عليهم

أرواحهم التى اشتراها منهم فقال : " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء

عند ربهم يرزقون " والروح للانسان بمنزلة المطية كما قال ذلك عمر بن عبدالعزيز قال :

فلذلك اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جابر جمله ، وهو مطيته ، فأعطاه ثمنه ثم

رده عليه وزاده مع ذلك .

قال : ففيه تحقيق لما كان أخبره به عن أبيه .

وهذا الذى سلكه السهيلى هاهنا إشارة غريبة وتخيل بديع . والله سبحانه

وتعالى أعلم .

وقد ترجم الحافظ البيهقى في كتابه " دلائل النبوة " على هذا الحديث في هذه الغزوة

فقال : باب ما كان ظهر في غزاته هذه من بركاته وآياته في جمل جابر بن عبدالله

رضى الله عنه .

وهذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة ، وفيه اختلاف كثير في كمية ثمن

الجمل وكيفية ما اشترط في البيع . وتحرير ذلك واستقصاؤه لائق بكتاب البيع من الاحكام

والله أعلم . وقد جاء تقييده بهذه الغزوة ، وجاء تقييده بغيرها ، كما سيأتى ، ومستبعد تعداد

ذلك والله أعلم .

غزوة بدر الآخرة

وهى بدر الموعد التى تواعدوا إليها من أحد كما تقدم .

قال ابن إسحاق : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من غزوة

ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجبا ، ثم خرج في شعبان إلى بدر

لميعاد أبى سفيان .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبدالله بن عبدالله بن أبى بن سلول .

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وأقام عليه ثمانيا ينتظر

أبا سفيان .

وخرج أبوسفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران . وبعض الناس

يقول : قد بلغ عسفان ثم بداله في الرجوع فقال : يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام

خصيب ترعون فيه اللبن ، فإن عامكم هذا عام جدب

وإنى راجع فارجعوا .

فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق .

قال : وأتى مخشى بن عمرو الضمرى وقد كان وادع النبى صلى الله عليه وسلم في غزوة

ودان على بنى ضمرة فقال : يا محمد أجئت للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بنى

ضمرة ، وإن شئت رددنا إليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك .

قال : لا والله يا محمد مالنا بذلك من حاجة .

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيدا .

قال ابن إسحاق : وقد قال عبدالله بن رواحة يعنى في انتظارهم أبا سفيان ورجوعه

بقريش عامه ذلك . قال ابن هشام : وقد أنشدنيها أبوزيد لكعب بن مالك :

وعدنا أبا سفيان بدرا فلم نجد * لميعاده صدقا وما كان وافيا

فأقسم لو لاقيتنا فلقيتنا * لابت ذميما وافتقدت المواليا

تركنا به أوصال عتبة وابنه * وعمرا أبا جهل تركناه ثاويا

عصيتم رسول اله أف لدينكم * وأمركم السئ الذى كان غاويا

فإنى وإن عنفتمونى لقائل * فدى لرسول الله أهلى وماليا

أطعناه لم نعد له فينا بغيره * شهابا لنا في ظلمة الليل هاديا

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في ذلك :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها * جلاد كأفواه المخاض الاوارك (1)

بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم * وأنصاره حقا وأيدى الملائك

إذا سلكت للغور من بطن عالج * فقولا لها ليس الطريق هنالك

أقمنا على الرس النزوع ثمانيا * بأرعن جرار عريض المبارك (2)

بكل كميت جوزه نصف خلقه * وقب طوال مشرفات الحوارك (3)

ترى العرفج العامى تذرى أصوله * مناسم أخفاف المطى الرواتك (4)

فإن تلق في تطوافنا والتماسنا * فرات بن حيان يكن رهن هالك

وإن تلق قيس بن امرئ القيس بعده * يزد في سواد لونه لون حالك

فأبلغ أبا سفيان عنى رسالة * فإنك من غر الرجال الصعالك

قال : فأجابه أبوسفيان بن الحارث بن ع بدالمطلب ، وقد أسلم فيما بعد ذلك :

أحسان إنا يا ابن آكلة الفغا * وجدك نغتال الخروق كذلك (5)

* (هامش) * (1) الفلجات : جمع فلج ، وهو النهر الصغير . والاوارك : الابل التى رعت الاراك .

(2) الرس : البئر . والنزوع : القريبة القعر . والارعن : الجيش ذو الفضول .

(3) الكميت : الفرس . والجوز : الوسط . والقب : جمع أقب ، وهو الفرس الضامر البطن

والحوارك : جمع حارك وهو أعلى الكاهل .

(4) العرفج : شجر سهلى . والعامى : الذى أتى عليه العام . والرواتك : السرعة .

(5) الفغا : شئ كالتبن . والخروق : القفار . ونفتال : نقطع .

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا * ولو وألت منا بشد مدارك (1)

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 171 سطر 1 الى ص 180 سطر 21

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا * ولو وألت منا بشد مدارك (1)

إذا ما انبعثنا من مناخ حسبته * مدمن أهل الموسم المتعارك (2)

أقمت على الرس النزوع تريدنا * وتتركنا في النخل عند المدارك

على الزرع تمشى خيلنا وركابنا * فما وطئت ألصقنه بالدكادك (3)

أقمنا ثلاثا بين سلع وفارع * بجرد الجياد والمطى الرواتك (4)

حسبتم جلاد القوم عند فنائكم (5) كمأ خذكم بالعين أرطال آنك (6)

فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها * على نحو قول المعصم المتماسك

سعدتم بها وغيركم كان أهلها * فوارس من أبناء فهر بن مالك

فإنك لا في هجرة إن ذكرتها * ولا حرمات دينها أنت ناسك (7)

قال ابن هشام : تركنا منها أبياتا لاختلاف قوافيها .

وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهرى وابن لهيعة ، عن أبى الاسود ، عن عروة بن

الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر الناس لموعد أبى سفيان ، وانبعث

المنافقون في الناس يثبطونهم ، فسلم الله أولياءه ، وخرج المسلمون صحبة رسول الله صلى

الله عليه وسلم إلى بدر ، واخذوا معهم بضائع وقالوا : إن وجدنا أبا سفيان إلا اشترينا

من بضائع موسم بدر .

* (هامش) * (1) اليعافير : جمع يعفور وهو ولد الظبية . ووألت : احتمت . والشد : الجرى .

(2) المدمن : الموضع به آثار الناس والدواب .

(3) الدكادك : جمع دكدك ، ما تكبس واستوى من الرمل ، أو أرض فيها غلظ .

(4) الرواتك : التى تقارب في خطوها .

(5) ابن هشام : عند قبليهم . ورواها ابن سلام في طبقات الشعراء : حول بيوتكم .

(6) العين : المال ، والذهب ، والدينار . والآنك : الرصاص الابيض . وقد ذكر السهيلى عن ابن

سلام أن أبا أبا سفيان بن حرب قال لابى سفيان بن الحارث : يابن أخى لم جعلتها آنك ، إن كانت الفضة

بيضاء جيدة !

(7) وتروى : ولا حرمات الدين أنت بناسك . ـ *ـ

ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق في خروج أبى سفيان إلى مجنة ، ورجوعه ، وفى

مقاولة الضمرى ، وعرض النبى صلى الله عليه وسلم والمنابذة فأبى ذلك .

قال الواقدى : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها في ألف وخمسمائة من

أصحابه ، واستخلف على المدينة عبدالله بن رواحة . وكان خروجه إليها في مستهل ذى

القعدة ، يعنى سنة أربع .

والصحيح قول ابن إسحاق ، أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ، ووافق

قول موسى بن عقبة أنها في شعبان ، لكن قال : في سنة ثلاث وهذا وهم ، فإن هذه

توعدوا إليها من أحد وكانت أحد في شوال سنة ثلاث كما تقدم . والله أعلم .

قال الواقدى : فأقاموا ببدر مدة الموسم الذى كان يعقد فيها ثمانية أيام ، فرجعوا وقد

ربحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فانقلبوا كما قال الله عزوجل : " فانقلبوا بنعمة

من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم (1) " .

فصل

في جملة من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة

قال ابن جرير : وفى جمادى الاولى من هذه السنة مات عبدالله بن عثمان بن عفان

رضى الله عنه ، يعنى من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ست سنين ،

فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في حفرته والده عثمان بن عفان رضى

الله عنه .

قلت : وفيه توفى أبوسلمة عبداله بن عبدالاسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن

مخزوم القرشى المخزومى ، وأمه برة بنت ع بدالمطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وكان رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتضعا من ثوبيه مولاة أبى لهب .

* (هامش) * (1) سورة آل عمران 174 . ـ *ـ

ـ173ـ

وكان إسلام أبى سلمة وأبى عبيدة وعثمان بن عفان والارقم بن أبى الارقم قديما في

يوم واحد .

وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة إلى أرض الحبشة ، ثم عاد إلى مكة وقد ولد لهما

بالحبشة أولاد ، ثم هاجر من مكة إلى المدينة ، وتبعته أم سلمة إلى المدينة كما تقدم .

وشهد بدرا وأحدا ، ومات من آثار جرح جرحه بأحد . رضى الله عنه وأرضاه .

له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة ، سيأتى في سياق تزويج رسول الله صلى

الله عليه وسلم بأم سلمة قريبا .

* * *

قال ابن جرير : وفى ليال خلون من شعبان منها ولد الحسين بن على من فاطمة بنت

رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم .

قال : وفى شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب

بنت خزيمة بن الحارث بن عبدالله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن

صعصعة ، الهلالية .

وقد حكى أبوعمر بن عبدالبر ، عن على بن عبدالعزيز الجرجانى أنه قال : كانت

أخت ميمونة بنت الحارث . ثم استغربه وقال : لم أره لغيره . وهى التى يقال لها أم

المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم وإحسانها إليهم . وأصدقها ثنتى عشرة أوقية

ونشا (1) ودخل بها في رمضان ، وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها .

قال أبوعمر بن عبدالبر ، عن على بن عبدالعزيز الجرجانى : ثم خلف عليها أخوه

عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف .

قال ابن الاثير في الغابة : وقيل كانت تحت عبدالله بن جحش فقتل عنها يوم أحد .

* (هامش) * (1) النش : نصف أوقية ، وهو عشرون درهما . ـ * ـ

قال أبوعمر : ولا خلاف أنها ماتت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل :

لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضى الله عنها .

وقال الواقدى : في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة

بنت أبى أمية .

* * *

قلت : وكانت قبله عند زوجها أبى أولادها أبى سلمة بن عبدالاسد ، وقد كان شهد

أحدا كما تقدم ، وجرح يوم أحد فداوى جرحه شهرا حتى برئ ثم خرج في سرية فغنم

منها نعما ومغنما جيدا ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوما ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث

بقين من جمادى الاولى من هذه السنة .

فلما حلت في شوال خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسها بنفسه الكريمة

وبعث إليها عمر بن الخطاب في ذلك مرارا ، فتذكر أنها امرأة غيرى ، أى شديدة الغيرة

وأنها مصبية ، أى لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون إلى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم في

قوتهم ، فقال : أما الصبية فإلى الله وإلى رسوله . أى نفقتهم ليس إليك ، وأما الغيرة

فأدعو الله فيذهبها .

فأذنت في ذلك وقالت لعمر آخر ما قالت له : قم فزوج النبى صلى الله عليه وسلم . تعنى

قد رضيت وأذنت .

فتوهم بعض العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبى سلمة ، وقد كان إذ ذاك صغيرا لا يلى

مثله العقد ، وقد جمعت في ذلك جزءا مفردا بينت فيه الصواب في ذلك . ولله الحمد والمنة .

وأن الذى ولى عقدها عليه ابنها سلمة بن أبى سلمة ، وهو أكبر ولدها .

وساغ هذا لان أباه ابن عمها ، فللابن ولاية أمه إذا كان سببا لها من غير جهة البنوة

بالاجماع ، وكذا إذا كان معتقا أو حاكما .

ـ 175ـ

فأما محض البنوة فلا يلى بها عقد النكاح عند الشافعى وحده ، وخالفه الثلاثة :

أبوحنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله . ولبسط هذا موضع آخر يذكر فيه ، وهو كتاب

النكاح من الاحكام الكبير . إن شاء الله .

* * *

قال الامام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، يعنى ابن سعد ، عن يزيد بن عبدالله

بن أسامة بن الهاد ، عن عمرو بن أبى عمرو ، عن المطلب ، عن أم سلمة قالت : أتانى

أبوسلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد سمعت من رسول الله صلى

الله عليه وسلم قولا سررت به ، قال : " لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند

مصيبته ثم يقول : اللهم آجرنى في مصيبتى واخلف لى خيرا منها إلا فعل به " . قالت

أم سلمة : فحفظت ذلك منه .

فلما توفى أبوسلمة استرجعت وقلت : اللهم آجرنى في مصيبتى واخلف لى خيرا منها

ثم رجعت إلى نفسى فقلت : من أين لى خير من أبى سلمة ؟

فلما انقضت عدتى استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهابا لى ، فغسلت

يدى من القرظ وأذنت له ، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف ، فقعد عليها فخطبنى إلى

نفسى ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ما بى أن لا تكون بك الرغبة ، ولكنى

امرأة بى غيرة شديدة ، فأخاف أن ترى منى شيئا يعذبنى الله به ، وأنا امرأة قد دخلت

في السن وأنا ذات عيال .

فقال : أما ما ذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد

أصابنى مثل الذى أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالى . فقالت : فقد

سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت أم سلمة : فقد أبدلنى الله بأبى سلمة خيرا

منه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ176ـ

وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عمر بن أبى

سلمة ، عن أمه أم سلمة عن أبى سلمة به . وقال الترمذى حسن غريب . وفى رواية للنسائى

عن ثابت عن ابن عمر بن أبى سلمة عن أبيه . ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة

عن يزيد بن هارون ، عن عبدالملك بن قدامة الجمحى عن أبيه ، عن عمر بن أبى سلمة به .

* * *

وقال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى من بدر

الموعد - راجعا إلى المدينة فأقام بها حتى مضى ذوى الحجة وولى تلك الحجة المشركون

وهى سنة أربع .

وقال الواقدى : وفى هذه السنة يعنى سنة أربع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود .

قلت : فثبت عنه في الصحيح أنه قال : تعلمته في خمسة عشر يوما . والله أعلم .

ـ 177ـ

سنة خمس من الهجرة النبوية

غزوة دومة الجندل في ربيع الاول منها

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل (1) .

قال ابن هشام : في ربيع الاول - يعنى من سنة خمس - واستعمل على المدينة سباع

بن عرفطة الغفارى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ولم يلق كيدا ، فأقام

بالمدينة بقية سنته .

هكذا قال ابن إسحاق .

وقد قال محمد بن عمر الواقدى بإسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا : أراد

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدنوا إلى أدانى الشام ، وقيل له : إن ذلك مما يفزع قيصر ،

وذكر له أن بدومة الجندل جمعا كبيرا وأنهم يظلمون من مر بهم ، وكان لها سوق

عظيم ، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة .

فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فخرج في ألف من المسلمين ، فكان

يسير الليل ويكمن النهار ، ومعه دليل له من بنى عذرة يقال له مذكور ، هاد

خريت (2) .

فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوائم بنى تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم ،

فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا ،

* (هامش) * (1) دومة : بضم الدال عند أهل اللغة ، وأصحاب الحديث يفتحونها . كذا في الصحاح . قال البكرى :

سميت بدومى بن إسماعيل ، وكان نزلها . (شرح المواهب 2 / 95) .

(2) الخريت : الماهر بالهداية .

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يجد فيها أحدا ، فأقام بها أياما ، وبث السرايا ،

ثم رجعوا وأخذ محمد بن سلمة رجلا منهم فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله

عن أصحابه فقال : هربوا أمس . فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فأسلم ،

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

قال الواقدى : وكان خروجه عليه السلام إلى دومة الجندل في ربيع الآخر (1)

سنة خمس .

قال : وفيه توفيت أم سعد بن عبادة ، وابنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في هذه الغزوة .

وقد قال أبوعيسى الترمذى في جامعه : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يحيى بن سعيد ،

عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، أن أم سعد ماتت والنبى صلى

الله عليه وسلم غائب ، فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر .

وهذا مرسل جيد ، وهو يقتضى أنه عليه السلام غاب في هذه الغزوة شهرا فما فوقه

على ما ذكره الواقدى رحمه الله .

غزوة الخندق وهى غزوة الاحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة الاحزاب . فقال تعالى : " يأيها الذين آمنوا

اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا ، وجنودا لم تروها وكان

الله بما تعملون بصيرا * إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الابصار

وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا

* (هامش) * (1) عند ابن جرير عن الواقدى : في ربيع الاول . وكذلك في شرح المواهب : " وكان في شهر

ربيع الاول على رأس تسعة وأربعين شهرا من الهجرة " وكان رجوعه إلى المدينة في العشرين من

ربيع الآخر . ـ * ـ

ـ 179 ـ

شديدا * وإذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا *

وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبى

يقولون إن بيوتنا عورة . وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا * ولو دخلت عليهم

من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا * ولقد كانوا عاهدوا الله

من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا * قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من

الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا * قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد

بكم سوء أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا * قد يعلم الله

المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا * أشحة عليكم

فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب

الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير ، أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان

ذلك على الله يسيرا * يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وإن يأت الاحزاب يودوا لو أنهم

بادون في الاعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا * لقد كان لكم

في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا * ولما

رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله وما زادهم

إلا إيمانا وتسليما * من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم

من ينتظر وما بدلوا تبديلا * ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب

عليهم إن الله كان غفورا رحيما * ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله

المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من

صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ، وأورثكم أرضهم

وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها وكان الله على كل شئ قديرا " .

وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمات في التفسير ولله الحمد والمنة .

ـ 180 ـ

ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

* * *

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن إسحاق

وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقى وغير واحد من العلماء سلفا وخلفا .

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهرى أنه قال : ثم كانت وقعة الاحزاب في شوال

سنة أربع .

وكذلك قال الامام مالك بن أنس ، فيما رواه أحمد بن حنبل عن موسى بن

داود عنه .

قال البيهقى : ولا اختلاف بينهم في الحقيقة ، لان مرادهم أن ذلك بعد مضى أربع

سنين وقبل استكمال خمس .

ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أحد واعدوا المسلمين إلى بدر العام القابل ،

فذهب النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع ورجع أبوسفيان

بقريش لجدب ذلك العام ، فلم يكونوا ليأتوا إى المدينة بعد شهرين ، فتعين أن الخندق

في شوال من سنة خمس . والله أعلم .

وقد صرح الزهرى بأن الخندق كانت بعد أحد بسنتين . ولا خلاف أن أحد في

شوال سنة ثلاث ، إلا على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة

الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الاول إلى آخرها ، كما حكاه

البيهقى . وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوى ، وقد صرح بأن بدرا في الاولى ، وأحدا

في سنة ثنتين ، وبدر الموعد في شعبان سنة ثلاث ، والخندق في شوال سنة أربع .

وهذا مخالف لقول الجمهور ، فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول

التاريخ من محرم سنة الهجرة ، وعن مالك من ربيع الاول سنة الهجرة ، فصارت الاقوال

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 181 سطر 1 الى ص 190 سطر 22

التاريخ من محرم سنة الهجرة ، وعن مالك من ربيع الاول سنة الهجرة ، فصارت الاقوال

ثلاثة والله أعلم .

والصحيح قول الجمهور : أن أحدا في شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق في شوال سنة

خمس من الهجرة والله أعلم .

فأما الحديث المتفق عليه في الصحيحين من طريق عبيدالله عن نافع ، عن ابن عمر

أنه قال : عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة

فلم يجزنى ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازنى . فقد أجاب عنها

جماعة من العلماء منهم البيهقى بأنه عرض يوم أحد في أول الرابعة عشرة ، ويوم الاحزاب

في أواخر الخامسة عشرة .

قلت : ويحتمل أنه أراد أنه لما عرض عليه في يوم الاحزاب كان قد استكمل خمس

عشرة سنة التى يجاز لمثلها الغلمان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليها .

ولهذا لما بلغ نافع عمر بن عبدالعزيز هذا الحديث قال : إن هذا الفرق بين الصغير

والكبير . ثم كتب به إلى الآفاق واعتمد على ذلك جمهور العلماء . والله أعلم .

* * *

وهذا سياق القصة مما ذكره ابن إسحاق وغيره .

قال ابن إسحاق : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس .

فحدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة ومن لا أتهم ، عن عبيد (1) الله بن كعب بن

مالك ومحمد بن كعب القرظى والزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدالله بن أبى بكر

وغيرهم من علمائنا . وبعض يحدث مالا يحدث بعض . قالوا :

إنه كان من حديث الخندق : أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق

النضرى ، وحيى بن أخطب النضرى ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وهوذة بن قيس

* (هامش) * (1) ابن هشام : عبدالله بن كعب .

الوائلى ، وأبوعمار الوائلى ، في نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حزبوا

الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم

إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .

فقالت لهم قريش : يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف

فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

فهم الذين أنزل الله فيهم : " ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون

بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك

الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا (1) " الآيات .

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إلى من حرب رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له .

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعوهمم إلى

حرب النبى صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم يكونون (2) معهم عليه ، وأن قريشا قد

تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش وقائدها أبوسفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن

خذيفة بن بدر في بنى فزارة والحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى في بنى مرة ، ومسعر

ابن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبدالله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن

ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع .

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمعوا له من الامر ضرب الخندق

على المدينة .

* (هامش) * (1) سورة النساء . (2) ابن هشام : سيكونون . (*)

ـ 183 ـ

قال ابن هشام : يقال إن الذى أشار به سلمان .

قال الطبرى والسهيلى : أول من حفر الخنادق : منوشهر بن أيرج بن أفريدون .

وكان في زمن موسى عليه السلام .

قال ابن إسحاق : فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا للمسلمين في الاجر ،

وعمل معه المسلمون ، وتخلف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف (1) ، ومنهم من ينسل

خفية بغير إذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام .

وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ،

وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنوك أولئك

الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر

لهم الله إن الله غفور رحيم * لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم

الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة

أو يصيبهم عذاب أليم ، ألا إن لله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ، ويوم

يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيئ عليم (2) " .

قال ابن إسحاق : فعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين

يقال له جعيل سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا ، فقالوا فيما يقولون :

سماه من بعد جعيل عمرا * وكان للبائس يوما ظهرا (3)

وكانوا إذا قالوا : عمرا قال معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرا . وإذا قالوا :

ظهرا قال لهم : ظهرا .

* * *

* (هامش) * (1) ابن هشام : وجعلوا يورون بالضعيف من العمل . (2) سورة النور .

(3) ظهر : قوة ومعونة . (*)

وقد قال البخارى : حدثنا عبدالله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو

إسحاق ، عن حميد ، سمعت أنسا قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق ،

فإذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما

رأى ما بهم من النصب والجوع قال : " اللهم إن العيش عيش الآخره ، فاغفر للانصار

والمهاجره " فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

وفى الصحيحين من حديث شعبة ، عن معاوية بن قرة عن أنس . نحوه .

وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت وحميد عن أنس ، بنحوه .

وقال البخارى : حدثنا أبومعمر ، حدثنا ع بدالوارث ، عن عبدالعزيز ، عن أنس

قال : جعل المهاجرون والانصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على

متونهم ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا * على الاسلام ما بقينا أبدا

قال : يقول النبى صلى الله عليه وسلم مجيبا لهم : " اللهم إنه لا خير إلا خير الآخره ،

فبارك في الانصار والمهاجره " .

قال : يؤتون بملء كفى من الشعير فيصنع لهم بإهالة سنخة (1) توضع بين يدى

القوم والقوم جياع ، وهى بشعة في الحلق ولها ريح منتن !

وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبدالعزيز بن (2) أبى حازم ، عن

سهل بن سعد ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق وهم يحفرون ،

ونحن ننقل التراب على أكتادنا (3) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

* (هامش) * (1) الاهالة : الودكة . والسنخة : المتغيرة الريح الفاسدة الطعم .

(2) البخارى : عن أبى حازم . وهو أبو عبدالعزيز .

(3) الاكتاد : جمع كتد ، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر . (*)

ـ 185 ـ

" اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والانصار " .

ورواه مسلم عن القعنبى ، عن عبدالعزيز به .

وقال البخارى : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن البراء

ابن عازب ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر

بطنه ، أو اغبر بطنه يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام إن لاقينا

إن الالى قد بغوا علينا * إذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوته : أبينا ، أبينا .

ورواه مسلم من حديث شعبة به .

ثم قال البخارى : حدثنا أحمد بن عثمان ، حدثنا شريح بن مسلمة ، حدثنى إبراهيم

ابن يوسف ، حدثنى أبى ، عن أبى إسحاق ، عن البراء يحدث قال : لما كان يوم

الاحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأيته ينقل من تراب الخندق حتى

وارى عنى التراب جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات عبدالله بن

رواحة وهو ينقل من التراب يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام إن لا قينا

إن الالى قد بغوا علينا * وإن أرادوا فتنة أبينا

ثم يمد صوته بآخرها .

وقال البيهقى في الدلائل : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد

الصفار ، حدثنا إسماعيل بن الفضل البجلى ، حدثنا إبراهيم بن يوسف البلخى ، حدثنا

المسيب بن شريك ، عن زياد بن أبى زياد ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم ضرب في الخندق وقال :

باسم الله وبه هدينا * ولو عبدنا غيره شقينا

يا حبذا ربا وحب دينا

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال الامام أحمد : حدثنا سليمان ، حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهم يحفرون الخندق : " اللهم لا خير إلا خير

الآخره ، فأصلح الانصار والمهاجره " .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث غندر ، عن شعبة .

* * *

قال ابن إسحاق : وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتنى ، من الله فيها عبرة في

تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون .

فمن ذلك : أن جابر بن عبدالله كان يحدث أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق

كدية (1) ، فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ثم دعا

بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها : فوالذى

بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب ما ترد فأسا ولا مسحاة .

هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعا عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه .

وقد قال البخارى رحمه الله : حدثنا خلاد بن يحيى ، حدثنا عبدالواحد بن أيمن ،

عن أبيه ، قال : أتيت جابرا فقال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة

فجاءوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق ، فقال : أنا نازل .

* (هامش) * (1) الكدية : القطعة الصلبة من الارض لا يعمل فيها المعول . (*)

ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا (1) ، فأخذ النبى صلى الله

عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم (2) .

فقلت : يا رسول الله ائذن لى إلى البيت . فقلت لامرأتى : رأيت بالنبى صلى الله عليه

وسلم شيئا ما كان في ذلك صبر ، فعندك شئ ؟ قالت : عندى شعير وعناق (3) ،

فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة (4) ، ثم جئت النبى صلى الله

عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الاثافى (5) قد كادت أن تنضج ، فقلت :

طعيم لى (6) فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان . قال : كم هو ؟ فذكرت له ، فقال :

كثير طيب ، قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى . فقال : قوموا .

فقام المهاجرون والانصار .

فلما دخل على امرأته قال : ويحك ! جاء النبى صلى الله عليه وسلم ب المهاجرين والانصار

ومن معهم . قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم . فقال : ادخلوا ولا تضاغطوا ، فجعل يكسر

الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر (7) البرمة والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ،

ثم ينزع . فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقى بقية . قال : كلى هذا وأهدى ،

فإن الناس أصابتهم مجاعة .

تفرد به البخارى .

* * *

وقد رواه الامام أحمد ، عن وكيع ، عن عبدالواحد بن أيمن ، عن أبيه

* (هامش) * (1) ذوافا : شيئا من مأكول أو مشروب . (2) الاهيل أو الاهيم : السائل .

(3) العناق : الانثى من ولد الماعز . (4) البرمة : القدر .

(5) الاثافى : حجارة ثلاثة توضع عليها القدر . (6) طعيم : تصغير طعام : لتقليله .

(7) يخمر : يغطى .

أيمن الحبشى مولى بنى مخزوم ، عن جابر بقصة الكدية وربط الحجر على

بطنة الكريم .

ورواه البيهقى في الدلائل ، عن الحاكم ، عن الاصم ، عن أحمد بن عبدالجبار ،

عن يونس بن بكير ، عن عبدالواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر ، بقصة الكدية

والطعام . وطوله أتم من رواية البخارى قال فيه : لما علم النبى صلى الله عليه وسلم بمقدار

الطعام قال للمسلمين جميعا : قوموا إلى جابر . فقاموا ، قال : فلقيت من الحياء مالا يعلمه

إلا الله ، وقلت : جاءنا بخلق على صاع من شعير وعناق . دخلت على امرأتى أقول :

افتضحت ، جاءك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق أجمعين ، فقالت : هل كان

سألك كم طعامك ؟ قلت : نعم . فقالت : الله ورسوله أعلم .

قال : فكشف عنى غما شديدا ، قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

خدمى ودعينى من اللحم . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يثرد ويغرف اللحم

ويخمر هذا ويخمر هذا ، فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنور

والقدر أملا ما كانا !

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلى وأهدى . فلم تزل تأكل وتهدى يومها .

وقد رواه كذلك أبوبكر بن أبى شيبة ، عن عبدالرحمن بن محمد المحاربى ، عن

عبدالواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر به وأبسط أيضا ، وقال في آخره : وأخبرنى

أنهم كانوا ثمانمائة أو قال : ثلاثمائة .

وقال يونس بن بكير ، عن هشام بن سعد ، عن أبى الزبير ، عن جابر . فذكر

القصة بطولها في الطعام فقط وقال : وكانوا ثلاثمائة .

* * *

ثم قال البخارى : حدثنا عمرو بن على ، حدثنا أبوعاصم ، حدثنا حنظلة بن أبى

ـ189ـ

سفيان ، عن أبى الزبير ، حدثنا ابن ميناء ، سمعت جابر بن عبدالله قال : لما حفر الخندق

رأيت من النبى صلى الله عليه وسلم خمصا (1) ، فانكفأت إلى امرأتى فقلت : هل عندك

شئ ، فإنى رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا ؟ فأخرجت لى جرابا

فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن (2) ، فذبحتها ، فطحنت ، ففرغت إلى فراغى ،

وقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : لا تفضحنى

برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه ، فجئته فساررته فقلت : يا رسول الله ذبحت

بهيمة لنا ، وطحنت صاعا من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك . فصاح

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع سؤرا (3)

فحيهلا بكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن

عجينكم حتى أجئ .

فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس ، حتى جئت امرأتى فقالت :

بك وبك . فقلت : قد فعلت الذى قلت . فأخرجت لنا عجينا فبسق فيه وبارك ، ثم عمد

إلى برمتنا فبسق وبارك ، ثم قال : ادع خبازة فلتخبز معك ، واقدحى (4) من برمتك

ولا تنزلوها .

وهم ألف ، فأقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط (5) كما هى

وإن عجيننا كما هو .

ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر ، عن أبى عاصم به نحوه .

* * *

* (هامش) * (1) الخمص : ضمور البطن من الجوع . (2) البهيمة : بضم الباء تصغير بهمة وهى الصغير ون أولاد

الغنم . والداجن : ما يربى في البيوت من الغنم ولا تخرج إلى المرعى .

(3) سؤرا : يروى بالهمزة ، وفى اليونينية بتركها : وهو الطعام الذى يدعى إليه ، وهى لفظة فارسية ،

وهذا دليل على تكلم الرسول بالفارسية . والسؤر بالهمزة : البقية .

(4) اقدحى : اغرفى . (5) تغط : تفور بحيث يسمع لها غطيط . (*)

وقد روى محمد بن إسحاق هذا الحديث وفى سياقه غرابة من بعض الوجوه فقال :

حدثنى سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبدالله ، قال : عملنا مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم في الخندق ، وكانت عندى شويهة غير جد سمينة ، قال : فقلت : والله لو صنعناها

لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئا من شعير فصنعت لنا

منه خبزا وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق ، قال : وكنا

نعمل فيه نهارا فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا ، فقلت : يا رسول الله إنى قد صنعت لك

شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير ، فأنا أحب أن تنصرف معى

إلى منزلى . قال : وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده .

قال : فلما أن قلت ذلك قال : نعم . ثم أمر صارخا فصرخ : أن انصرفوا مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبدالله . قال : قلت : إنا لله وإنا

إليه راجعون ! .

قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه ، فجلس وأخرجناها إليه ،

قال : فبرك وسمى الله تعالى ، ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ،

حتى صدر أهل الخندق عنها .

والعجب أن الامام أحمد إنما رواه من طريق سعيد بن ميناء ، عن يعقوب بن إبراهيم بن

سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق عنه ، عن جابر مثله سواء .

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى سعيد بن ميناء ، أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن سعد

أخت النعمان بن بشير قالت : دعتنى أمى عمرة بنت رواحة ، فأعطتنى حفنة من تمر في

ثوبى ، ثم قالت : أى بنية اذهبى إلى أبيك وخالك عبدالله بن رواحة بغدائهما . قالت :

فأخذتها وانطلقت بها .

ـ 191ـ

فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى ، فقال : تعالى يا بنية

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 191 سطر 1 الى ص 200 سطر 22

فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى ، فقال : تعالى يا بنية

ما هذا معك ؟ قالت : قلت : يا رسول الله هذا تمر بعثتنى به أمى إلى أبى بشير بن سعد وخالى

عبدالله بن رواحة يتغديانه . فقال : هاتيه . قالت : فصببته في كفى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فما ملاتهما .

ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لانسان عنده :

اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغداء .

فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق

عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

هكذا رواه ابن إسحاق وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقى من طريقه

ولم يزد .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسى أنه قال : ضربت في ناحية من

الخندق فلغظت على صخرة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منى ، فلما رآنى

أضرب ورأى شدة المكان على نزل فأخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت

المعول برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، قال : ثم ضرب به

الثالثة فلمعت برقة أخرى ، قال : قلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! ما هذا الذى رأيت

لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت : نعم . قال :

أما الاولى فإن الله فتح على باب اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح على باب الشام والمغرب ،

وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق .

قال البيهقى : وهذا الذى ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في مغازيه ،

وذكره أبوالاسود عن عروة .

ثم روى البيهقى من طريق محمد بن يونس الكديمى وفى حديثه نظر . لكن رواه

ابن جرير في تاريخه عن محمد بن بشار وبندار ، كلاهما عن محمد بن خالد بن عثمة ، عن

كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزنى ، عن أبيه عن جده ، فذكر حديثا فيه أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعا قال : واحتق

المهاجرون والانصار في سلمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا

أهل البيت .

قال عمرو بن عوف : فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وستة من

الانصار في أربعين ذراعا ، فحفرنا حتى إذا بلغنا الندى ظهرت لنا صخرة بيضاء مروة ،

فكسرت حديدنا وشقت علينا ، فذهب سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

في قبة تركية ، فأخبره عنها ، فجاء فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها ،

وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها - يعنى المدينة - حتى كأنها مصباح في جوف ليل

مظلم ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ، ثم ضربها الثانية

فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله صلى الله عليه

وسلم وسألوه عن ذلك النور ، فقال : لقد أضاء لى من الاولى قصور الحيرة ومدائن كسرى

كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، ومن الثانية أضاءت

القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة

عليها . ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرنى جبريل

أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا ، واستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعود صادق .

قال : ولما طلعت الاحزاب قال المؤمنون : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله

ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما . وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب

قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون

أن تبرزوا

فنزل فيهم " وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله

إلا غرورا " .

وهذا حديث غريب .

* * *

وقال الحافظ أبوالقاسم الطبرانى : حدثنا هارون بن ملول ، حدثنا أبو عبدالرحمن ،

حدثنا عبدالرحمن بن زياد ، عن عبدالله بن يزيد ، عن عبدالله بن عمرو ، قال : لما أمر

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق فخندق على المدينة قالوا : يا رسول الله إنا وجدنا

صفاة لا نستطيع حفرها . فقام النبى صلى الله عليه وسلم وقمنا معه ، فلما أتاها أخذ المعول

فضرب به ضربة وكبر ، فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال : فتحت فارس . ثم

ضرب أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسم مثلها قط ، فقال : فتحت الروم . ثم ضرب

أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط ، فقال : جاء الله بحمير أعوانا وأنصارا .

وهذا أيضا غريب من هذا الوجه . و عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الافريقى فيه ضعف

فالله أعلم .

وقال الطبرانى أيضا : حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل ، حدثنى سعيد بن محمد

الجرمى حدثنا أبونميلة ، حدثنا نعيم بن سعيد الغرى ، أن عكرمة حدث عن ابن عباس

قال : احتفر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ، وأصحابه قد شدوا الحجارة على

بطونهم من الجوع ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هل دللتم على

رجل يطعمنا أكلة ؟ قال رجل نعم . قال : أما لا فتقدم فدلنا عليه . فانطلقوا إلى

ـ بيت ـ الرجل ، فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه ، فأرسلت امرأته أن جئ ، فإن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أتانا . فجاء الرجل يسعى وقال : بأبى وأمى ، وله معزة

ومعها جديها فوثب إليها فقال النبى صلى الله عليه وسلم : الجدى من ورائها فذبح الجدى ،

وعمدت المرأة إلى طحينة لها فعجنتها وخبزت فأدركت القدر فثردت قصعتها فقربتها إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبعه فيها

وقال : بسم الله اللهم بارك فيها اطعموا . فأكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا منها إلا

ثلثها وبقى ثلثاها . فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرحوا إلينا

بعدتكم . فذهبوا فجاء أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ، ثم قام ودعا لربه البيت

وسمت (1) عليها وعلى أهل بيتها ، ثم مشوا إلى الخندق فقال : اذهبوا بنا إلى سلمان ، وإذا

صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعونى فأكون

أول من ضربها . فقال : بسم الله . فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال : الله أكبر قصور

الشام ورب الكعبة ، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال : الله أكبر قصور فارس

ورب الكعبة .

فقال عندها المنافقون : نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم .

ثم قال الحافظ البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد

الصفار ، حدثنا محمد بن غالب بن حرب ، حدثنا هوذة ، حدثنا عوف ، عن ميمون بن

أستاذ الزهرى ، حدثنى البراء بن عازب الانصارى ، قال : لما كان حين أمرنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ

فيها المعاول ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها أخذ المعول وقال :

بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إنى

لابصر قصورها الحمر إن شاء الله ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال : الله أكبر

أعطيت مفاتيح فارس والله إنى لابصر قصر المدائن الابيض ، ثم ضرب الثالثة فقال :

بسم الله فقطع بقية الحجر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن . والله إنى لابصر أبواب

صنعاء من مكانى الساعة .

* (هامش) * (1) سمت : ذكر الله . (*)

ـ 195 ـ

وهذا حديث غريب أيضا تفرد به ميمون بن أستاذ هذا ، وهو بصرى روى عن

البراء وعبدالله بن عمرو ، وعنه حميد الطويل والجريرى وعوف الاعرابى . قال أبوحاتم

عن إسحاق بن منصور عن ابن معين : كان ثقة . وقال على بن المدينى : كان يحيى بن

سعيد القطان لا يحدث عنه .

وقال النسائى : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا ضمرة ، عن أبى زرعة السيبانى ،

عن أبى سكينة رجل من البحرين ، عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال :

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين

الحفر ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال :

" وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم " فندر ثلث الحجر ،

وسلمان الفارسى قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وسلم برقة ، ثم رضب

الثانية وقال : " وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم " . فنذر

الثلث الآخر وبرقت برقة فرآها سلمان ، ثم ضرب الثالثة وقال : " وتمت كلمة ربك صدقا

وعدلا ولا مبدل لكلماته وهو السميع العليم " . فندر الثلث الباقى .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رداءه وجلس . فقال سلمان :

يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان رأيت ذلك ؟ قال : إى والذى بعثك

بالحق يا رسول الله .

قال : فإنى حين ضربت الضربة الاولى رفعت لى مدائن كسرى وما حولها

ومدائن كثيرة ، حتى رأيتها بعينى . فقال له من حضره من أصحابه : يا رسول الله ادع

ـ الله ـ أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم . فدعا بذلك .

قال : ثم ضربت الضربة الثانية ، فرعت لى مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها

بعينى . قالوا : يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا

بلادهم . فدعا .

ثم قال : ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لى مدائن الحبشة وما حولها من القرى

حتى رأيتها بعينى . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دعوا الحبشة ما ودعوكم

واتركوا الترك ما تركوكم " .

هكذا رواه النسائى مطولا ، وإنما روى منه أبوداود : " دعوا الحبشة ما دعوكم

واتركوا الترك ما تركوكم " عن عيسى بن محمد الرملى ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن أبى

زرعة يحيى بن أبى عمرو السيبانى (1) به .

ثم قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن أبى هريرة أنه كان يقول حين

فتحت هذه الامصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتتحوا ما بدالكم ، فوالذى

نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى

الله محمد صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

وهذا من هذا الوجه منقطع أيضا ، وقد وصل من غير وجه ولله الحمد .

فقال الامام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثنى عقيل بن خالد ، عن ابن

شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : " بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الارض

فوضعت في يدى " .

وقد رواه البخارى منفردا به ، عن يحيى بن بكير ، وسعد بن عفير ، كلاهما عن

الليث به . وعنده قال أبوهريرة : فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تنتثلونها .

وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى

* (هامش) * (1) نسبة إلى سيبان ، بطن من حمير ، توفى أبوزرعة سنة 148 ، وكان ثقة . اللباب 1 / 585 . (*)

ـ 197 ـ

هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نصرت بالرعب ، وأوتيت جوامع

الكلم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا ، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن

الارض فتلت في يدى " .

وهذا إسناد جيد قوى على شرط مسلم ولم يخرجوه . وفى الصحيحين : " إذا هلك

قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن

كنوزهما في سبيل الله " .

وفى الحديث الصحيح : " إن الله زوى لى الارض مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ

مك أمتى ما زوى لى منها " .

فصل

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش

حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم

ومن تبعهم من بنى كنانة وأهلتهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى

نزلوا بذنب نقمى (1) إلى جانب أحد .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع (2)

في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ،

وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فوق الآطام (3) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى (إذ جاءؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ

زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (4) " .

* (هامش) * (1) موضع من أعراض المدينة . (2) سلع : جبل بالمدينة . (3) الآطام : الحصون .

(4) سورة الاحزاب 10 . (*)

ـ 198 ـ

قال البخارى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا عبيد ، عن هشام بن عروة ، عن

أبيه ، عن عائشة : " إذا جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الابصار " .

قالت : ذلك يوم الخندق .

* * *

قال موسى بن عقبة : ولما نزل الاحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم .

قال ابن إسحاق : وخرج حيى بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرضى

صاحب عقدهم وعهدهم .

فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حيى ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ،

فناداه : ويحك يا كعب افتح لى . قال : ويحك يا حيى ، إنك امرؤ مشئوم ، وإنى قد

عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا .

قال : ويحك افتح لى أكلمك . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إن أغلقت دونى إلا

خوفا على جشيشتك (1) أن آكل معك منها فأحفظ الرجل ففتح له ، فقال : ويحك

يا كعب ! جئتك بعز الدهر وبحر طام .

قال : وما ذاك ؟ قال : جئتك بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع

الاسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب

أحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه .

فقال كعب : جئتنى والله بذل الدهر وبجهام (2) قد هراق ماؤه يرعد ويبرق وليس

فيه شئ ، ويحك يا حيى فدعنى وما أنا عليه ، فإنى لم أر من محمد إلا وفاء وصدقا .

* (هامش) * (1) ابن هشام : إلا عن جشيشتك . والجشيشة : طعام يصنع من البر الذى طحن غليظا .

(2) الجهام : السحاب الذى لا ماء فيه . (*)

وقد تكلم عمرو بن سعد القرظى ، فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة ، ذكرهم

ميثاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده ومعاقدتهم إياه على نصره ، وقال : إذا لم

تنصروه فاتركوه وعدوه .

قال ابن إسحاق : فلم يزل حيى بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمع له ، يعنى

في نقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى محاربته مع الاحزاب ، على أن أعطاه

حيى عهد الله وميثاقه لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في

حصنك حتى يصيبنى ما أصابك .

فنقض كعب بن أسد العهد وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله

عليه وسلم .

قال موسى بن عقبة : وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حيى بن أخطب أن يأخذ لهم

من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمدا ،

قالوا : وتكون الرهائن تسعين رجلا من أشرافهم . فنازلهم حيى على ذلك . فعند ذلك

نقضوا العهد ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد إلا بنى سعنة ، أسد وأسيد وثعلبة ،

فإنهم خرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

قال ابن إسحاق : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين

بعث سعد بن معاذ ، وهو يومئذ سيد الاوس ، وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ،

ومعهما عبدالله بن رواحة وخوات بن جبير قال : انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم

فتنظروا أحق ما بلغنا عنهم ، فإن كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتنوا في أعضاد

المسلمين وإن كانوا في الوفاء فاجهروا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم .

ـ 200 ـ

قال موسى بن عقبة ، فدخلوا معهم حصنهم فدعوهم إلى الموادعة وتجديد الحلف

فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم ، يريدون بنى النضير . ونالوا من رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ : إنا

والله ما جئنا لهذا ، ولما بيننا أكبر من المشاتمة .

ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال : إنكم قد علمتم الذى بيننا وبينكم يابنى قريظة ، وأنا

خائف عليكم مثل يوم بنى النضير أو أمر منه . فقالوا : أكلت أير أبيك . فقال : غير

هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن .

وقال ابن اسحاق : نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : من رسول الله ؟

لا عهد بيننا وبين محمد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلا فيه حدة ، فقال له سعد

ابن عبادة : دع عنك مشاتمتهم ، لما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة .

ثم أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ثم قالوا :

عضل والقارة . أى كغدرهم بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين .

قال موسى بن عقبة : ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبة حين جاءه الخبر

عن بنى قريظة ، فاضطجع ومكث طويلا ، فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه

اضطجع ، وعرفوا أنه لم يأته عن بنى قريظة خير . ثم إنه رفع رأسه وقال : أبشروا

بفتح الله ونصره .

فلما أن أصبحوا دنا القوم بعضهم من بعض وكان بينهم رمى بالنبل والحجارة .

قال سعيد بن المسيب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنى أسألك عهدك

ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد .

* * *

ـ 201ـ

قال ابن إسحاق وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 201 سطر 1 الى ص 210 سطر 23

قال ابن إسحاق وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم

ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق ، حتى قال معتب بن

قشير أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ،

وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط !

وحتى قال أوس بن قيظى : يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن

ملا من رجال قومه ، فأذن لنا أن نرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة .

قلت : هؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى : " وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم

مرض : ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا * وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام

لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة

إن يريدون إلا فرارا " .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مرابطا ، وأقام المشركين

يحاصرونه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ، ولم يكن بينهم حرب إلا الرميا بالنبل .

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عاصم بن

عمر بن قتادة ، ومن لا أتهم ، عن الزهرى ، إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف

المرى ، وهما قائدا غطفان وأعطاهما ثلث ثمار المدينة ، على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن

أصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة

الصلح ، إلا المرواضة .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك بعث إلى السعدين فذكر لهما

ذلك ، و استشارهما فيه .

فقالا : يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه ، أم شيئا أمرك الله به لابد لنا من العمل به ،

أم شيئا تصنعه لنا ؟

ـ 202ـ

فقال : بل شئ أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لانى رأيت العرب رمتكم عن

قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم

إلى أمر ما .

فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الاوثان ،

لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعا ،

أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ؟ مالنا بهذا

من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم !

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا

ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

* * *

قال : فأقام النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه محاصرين ، ولم يكن بينهم وبين عدوهم

قتال إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عبد ود بن أبى قيس ، أحد بنى عامر بن

لؤى ، وعكرمة بن أبى جهل ، وهبيرة بن أبى وهب ا لمخزوميان ، وضرار بن الخطاب

ابن مرداس أحد بنى محارب بن فهر ، تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا

بمنازل بنى كنانة فقالوا : تهيأوا يا بنى كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم .

ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا : والله إن هذه

لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا ، فضربوا خيلهم

فاقتحمت منه ، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج على بن أبى طالب

في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التى أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان

تعنق نحوهم .

وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد ،

فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه ، فلما خرج هو وخيله قال : من يبارز ؟

فبرز له على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال له : يا عمرو إنك كنت عاهدت الله

لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه . قال : أجل . قال له على :

فإن أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الاسلام . قال : لا حاجة لى بذلك . قال : فإنى

أدعوك إلى النزال . قال له : لم يابن أخى ، فوالله ما أحب أن أقتلك ؟ قال له على :

لكنى والله أحب أن أقتلك . فحمى عمرو وعند ذلك ، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب

وجهه ، ثم أقبل على على فتنازلا وتجاولا فقتله على رضى الله عنه .

وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق وقال على بن أبى طالب في ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه * ونصرت رب محمد بصواب

فصدرت حين تركته متجدلا * كالجذع بين دكادك (1) وروابى

وعففت عن أثوابه ولو اننى * كنت المقطر بزنى أثوابى

لا تحسبن الله خاذل دينه * ونبيه يا معشر الاحزاب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلى .

قال ابن هشام : وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال في ذلك

حسان بن ثابت :

فر وألقى لنا رمحه * لعلك عكرم لم تفعل

ووليت تعدو كعدو الظلي * م ما إن يحور عن المعدل

ولم تلو ظهرك مستأنسا * كأن قفاك قفا فرعل

قال ابن هشام : الفراعل : صغار الضباع .

* (هامش) * (1) الدكادك : جمع دكداك ، وهو الرمل اللين . (*)

وذكر الحافظ البيهقى في دلائل النبوة عن ابن إسحاق في موضع آخر من السيرة

قال : خرج عمرو بن عبد ود وهو مقنع بالحديد فنادى : من يبارز ؟ فقام على بن أبى

طالب فقال : أنا لها يا نبى الله . فقال : إنه عمرو ، اجلس . ثم نادى عمرو : ألا رجل

يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ؟ أفلا

تبرزون إلى رجلا ؟ فقام على فقال : أنا يا رسول الله ؟ فقال : اجلس . ثم نادى

الثالثة فقال :

ولقد بححت من الندا * ء لجمعهم : هل من مبارز

ووقفت إذ جبن المشجع موقف القرن المناحز

ولذاك إنى لم أزل متسرعا قبل الهزاهز (1)

إن الشجاعة في الفتى * والجود من خير الغرائز

قال : فقام على رضى الله عنه فقال : يا رسول الله أنا . فقال : إنه عمرو ، فقال : وإن

كان عمرا ! فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى إليه حتى أتى وهو يقول :

لا تعجلن فقد أتا * ك مجيب صوتك غير عاجز

في نية وبصيرة * والصدق منجى كل فائز

إنى لارجو أن أقي * م عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

فقالله عمرو : من أنت ؟ قال : أنا على ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا على بن أبى

طالب . فقال : يابن أخى من أعمامك من هو أسن منك فإنى أكره أن أهريق دمك ؟

فقال له على : لكنى والله لا أكره أن أهريق دمك ! فغضب فنزل وسل سيفه كأنه

* (هامش) * (1) الهزاهز : الدواهى والشدائد . (*)

ـ 205ـ

شعلة نار ، ثم أقبل نحو على مغضبا واستقبله على بدرقته ، فضربه عمرو في درقته فقدها

وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، وضربه على على حبل عاتقه فسقط ، وثار

العجاج ، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرفنا أن عليا قد قتله ، فثم

يقول على :

أعلى تقتحم الفوارس هكذا * عنى وعنهم أخروا أصحابى

اليوم يمنعنى الفرار حفيظتى * ومصمم في الرأس ليس بنابى

إلى أن قال :

عبد الحجارة من سفاهة رأيه * وعبدت رب محمد بصواب

إلى آخرها .

قال : ثم أقبل على نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن

الخطاب : هلا استلبته درعه ، فإنه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فاتقانى

بسوأته ، فاستحييت ابن عمى أن أسلبه . قال : وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت

من الخندق .

* * *

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عن البيهقى ، أن عليا طعنه في ترقوته حتى أخرجها

من مراقه ، فمات في الخندق ، وبعث المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون

جيفته بعشرة آلاف ، فقال : هو لكم لا نأكل ثمن الموتى

وقال الامام أحمد حدثنا نصر بن باب ، حدثنا حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ،

عن ابن عباس ، أنه قال : قتل المسلمون يوم الخندق رجلا من المشركين فأعطوا بجيفته

مالا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ادفعوا إليهم جيفته ، فإنه خبيث الجيفة

خبيث الدية " فلم يقبل منهم شيئا .

ـ206ـ

وقد رواه البيهقى من حديث حماد بن سلمة ، عن حجاج ، وهو ابن أرطاة ، عن

الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : أن رجلا من المشركين قتل يوم الاحزاب فبعثوا

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا بجسده ونعطيهم اثنى عشر ألفا . فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا خير في جسده ولا في ثمنه " .

وقد رواه الترمذى من حديث سفيان الثورى ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ،

عن مقسم ، عن ابن عباس ، وقال : غريب .

وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبدالله

المخزومى حين قتل وعرضوا عليه الدية فقال : " إنه خبيث خبيث الدية ، فلعنه الله ولعن

ديته . فلا أرب لنا في ديته ، ولسنا نمنعكم أن تدفنوه " .

وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : وخرج نوفل بن عبدالله بن المغيرة

المخزومى فسأل المبارزة ، فخرج إليه الزبير بن العوام فضربه فشقه باثنتين ، حتى فل في

سيفه فلا وانصرف وهو يقول :

إنى امرؤ أحمى وأحتمى * عن النبى المصطفى الامى

وقد ذكر ابن جرير أن نوفلا لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل

يقول : قتل أحسن من هذه يا معشر العرب . فنزل إليه على فقتله ، وطلب المشركون

رمته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئا ومكنهم

من أخذه إليهم .

وهذا غريب من وجهين .

وقد روى البيهقى من طريق حماد بن يزيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن

عبدالله بن الزبير ، قال : جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الاطم ومعى عمر بن

أبى سلمة ، فجعل يطأطئ لى فأصعد على ظهره فأنظر قال : فنظرت إلى أبى وهو يحمل

مرة هاهنا ومرة هاهنا ، فما يرتفع له شئ إلا أتاه ، فلما أمسى جاءنا إلى الاطم ،

قلت : يا أبت رأيتك اليوم وما تصنع . قال : ورأيتنى يا بنى ؟ قلت : نعم . قال : فدى

لك أبى وأمى !

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبوليلى ، عبدالله بن سهل بن عبدالرحمن بن سهل

الانصارى أخو بنى حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بنى حارثة يوم الخندق ،

وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن . قالت

عائشة . وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت : فمر سعد وعليه درع مقلصة قد

خرجت منها ذراعة كلها ، وفى يده حربته يرفل بها ويقول :

لبث قليلا يشهد الهيجا حمل (1) * لا بأس بالموت إذا حان الاجل !

فقالت له أمه : الحق بنى فقد والله أخرت . قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد والله

لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى . قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم

منه . فرمى سعد بن معاذ بسهم فقط منه الاكحل .

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : رماه حبان بن قيس بن

العرقة أحد بنى عامر بن لؤى ، فلما أصابه قال : خذها منى وأنا ابن العرقة . فقال له

سعد : عرق الله وجهك في النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى

لها ، فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه . اللهم

وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من

بنى قريظة .

* (هامش) * (1) الاصل : جمل وهو تحريف . وقد مر هذا الشطر في صفحة 82 من هذا الجزء . وانظر فيها

تخريجه . قال في تاج العروس 7 / 290 : وقد تمثل به سعد بن معاذ يوم الخندق . (*)

ـ 208 ـ

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبدالله بن كعب بن مالك ، أنه كان

يقول : ما أصاب سعدا يومئذ إلا أبوأسامة الجشمى حليف بنى مخزوم ، وقد قال أبو

أسامة في ذلك شعرا قاله لعكرمة بن أبى جهل :

أعكرم هلا لمتنى إذا تقول لى * فداك بآطام المدينة خالد

ألست الذى ألزمت سعدا مريشة * لها بين أثناء المرافق عاند (1)

قضى نحبه منها سعيد فأعولت * عليه مع الشمط العذارى النواهد

وأنت الذى دافعت عنه وقد دعا * عبيدة جمعا منهم إذا يكابد

على حين ما هم جائر عن طريقه * وآخر مرعوب عن القصد قاصد

قال ابن إسحاق : والله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن هشام : ويقال إن الذى رمى سعدا خفاجة بن عاصم بن حبان .

قلت : وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ في بنى قريظة ، أقر الله عينه فحكم

فيهم بقدرته وتيسيره ، وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك . كما سيأتى بيانه . فحكم بقتل

مقاتلتهم وسبى ذراريهم ، حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم

بحكم الله فوق سبع أرقعة (2) .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عباد

قال : كانت صفية بنت ع بدالمطلب في فارع ، حصن حسان بن ثابت . قالت : وكان

حسان معنا فيه مع النساء والصبيان ، فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن ، وقد

حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا

* (هامش) * (1) عند العرق : سال فلم يرقأ . (2) الارقعة : السماوات ، جمع رقيع . ورواية الصحيح :

سبع سماوات . (*)

وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم

لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا ، إذ أتاناآت فقلت : يا حسان إن هذا اليهودى كما

ترى يطيف بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد

شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله . قال : يغفر الله لك يا بنت

ع بدالمطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا .

قالت : فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيئا ، احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت

من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت :

يا حسان انزل فاستلبه فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل . قال : مالى بسلبه حاجة

يابنة ع بدالمطلب (1) !

* * *

قال مويس بن عقبة : وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحص من

كتائبهم ، فحاصروهم قريبا من عشرين ليلة ، وأخذوا بكل ناحية ، حتى لا يدرى

أتم (2) أم لا .

قال : ووجهوا نحو منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة غليظة فقاتلوهم يوما

إلى الليل ، فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبى صلى الله عليه وسلم ولا

أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا ، فانكفأت

الكتيبة مع الليل ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " شلغونا عن صلاة

العصر ملا الله بطونهم وقلوبهم ، وفى رواية : وقبورهم ، نارا " .

* (هامش) * (1) ذكر السهيلى أن بعض العلماء دفع هذا وأنكره وذلك أنه حديث منقطع الاسناد . وقال :

لو صح هذا لهجن به حسان ، فإنه كان يهاجن الشعراء وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد

منهم بجبن ولا وسمه به . فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق . الروض 2 / 194 .

(2) كذا بالاصل . (*)

فلما اشتد البلاء نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم

ويقول : " والذى نفسى بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة ، وإنى لارجو أن

أطوف بالبيت العتيق آمنا ، وأن يدفع الله إلى مفاتيح الكعبة ، وليلهكن الله كسرى

وقيصر ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله ! " .

وقد قال البخارى : حدثنا إسحاق ، حدثنا روح ، حدثنا هشام ، عن محمد ، عن

عبيدة (1) ، عن على ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الخندق : " ملا الله

عليهم بيوتهم وقبورهم نارا ، كما شغلونا عن اللاة الوسطى حتى غابت الشمس " .

وهكذارواه بقية الجماعة إلا ابن ماجة من طرق ، عن هشام بن حسان ، عن محمد

ابن سيرين ، عن عبيدة ، عن على به . ورواه مسلم والترمذى من طريق سعيد بن أبى

عروبة ، عن قتادة ، عن أبى حسان الاعرج ، عن عبيدة ، عن على به . وقال الترمذى :

حسن صحيح .

ثم قال البخارى : حدثنا المكى بن إبراهيم ، حدثنا هشام ، عن يحيى ، عن أبى

سلمة ، عن جابر بن عبدالله ، أن عمر بن الخطاب جاء الخندق بعد ما غربت الشمس

فجعل يسب كفار قريش وقال : يا رسول الله ما كدت أن أصلى حتى كادت الشمس أن

تغرب قال النبى صلى الله عليه وسلم : " والله ما صليتها " فنزلنا مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم بطحان (2) فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها ، فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ،

ثم صلى بعدها المغرب .

وقد رواه البخارى أيضا ومسلما والترمذى والنسائى من طرق ، عن يحيى بن أبى

كثير ، عن أبى سلمة به .

* (هامش) * (1) عبيدة بفتح العين وكسر الموحدة ، ابن عمرو السلمانى الكوفى ، كما ضبطه القسطلانى . إرشاد

السارى 6 / 326 (2) بطحان : واد بالمدينة . (*)

وقال الامام أحمد : حدثنا عبدالصمد ، حدثنا ثابت ، حدثنا هلال ، عن عكرمة ،

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 211 سطر 1 الى ص 220 سطر 22

وقال الامام أحمد : حدثنا عبدالصمد ، حدثنا ثابت ، حدثنا هلال ، عن عكرمة ،

عن ابن عباس ، قال : قاتل النبى صلى الله عليه وسلم عدوا فلم يفرغ منهم حتى أخر

العصر عن وقتها ، فلما رأى ذلك قال : " اللهم من حبسنا عن الصلاة الوسطى فاملا

بيوتهم نارا ، واملا قبورهم نارا " .

ونحو ذلك تفرد به أحمد ، وهو من رواية هلال بن خباب العبدى الكوفى ، وهو

ثقة يصحح له الترمذى وغيره .

* * *

وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الاحاديث على كون الصلاة الوسطى هى صلاة

العصر ، كما هو منصوص عليه في هذه الاحاديث ، وألزم القاضى الماوردى مذهب

الشافعى بهذا لصحة الحديث . وقد حررنا ذلك نقلا واستدلالا عند قوله تعالى : " حافظوا على الصلوات والصلاة

الوسطى وقوموا لله قانتين (1) " .

وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما هو مذهب

مكحول والاوزاعى .

وقد بوب البخارى ذلك واستدل بهذا الحديث وبقوله صلى الله عليه وسلم يوم

أمرهم بالذهاب إلى بنى قريظة - كما سيأتى - : " لا تصلين أحد العصر إلا في بنى قريظة "

وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ، ومنهم من لم يصل إلا في بنى قريظة بعد

الغروب ، ولم يعنف واحدا من الفريقين ، واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم

في حصار تستر سنة عشرين في زمن عمر ، حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر

القتال واقترب فتح الحصن .

* (هامش) * (1) سورة البقرة آية 238 . (*)

وقال آخرون من العلماء وهم الجمهور ، منهم الشافعى : هذا الصنيع يوم الخندق

منسوخ بشرعية صلاة بعد ذلك ، فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك فلهذا أخروها

يومئذ . وهو مشكل .

قال ابن إسحاق : وجماعة ذهبوا إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف

بعسفان ، وقد ذكرها ابن إسحاق وهو إمام في المغازى قبل الخندق ، وكذلك ذات

الرقاع ذكرها قبل الخندق . فالله أعلم .

وأما الذين قالوا : إن تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسيانا ، كما حكاه شراح مسلم

عن بعض الناس ، فهو مشكل ، إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم

على محافظة الصلاة ، كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى

صلوا الجميع في وقت العشاء ، من رواية أبى هريرة وأبى سعيد .

قال الامام ـ أحمد ـ : حدثنا يزيد وحجاج ، قالا : حدثنا ابن أبى ذئب ، عن المقبرى ، عن

عبدالرحمن بن أبى سعيد الخدرى ، عن أبيه . قال : حبسنا يوم الخندق حتى ذهب

هوى من الليل حتى كفينا . وذلك قوله : " وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا

عزيزا " قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان

يصليها في وقتها ، ثم أقام العصر فصلاها كذلك ، ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ، ثم

أقام العشاء فصلاها كذلك وذلك قبل أن ينزل . قال حجاج : في صلاة الخوف " فإن

خفتم فرجالا أو ركبانا " .

وقد رواه النسائى عن الفلاس ، عن يحيى القطان ، عن ابن أبى ذئب به . قال :

شلغنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس . فذكره .

وقال أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا أبوالزبير ، عن نافع بن جبير ، عن أبى عبيدة بن

عبدالله بن مسعود ، عن ابيه أن المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

ـ213ـ

الخندق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ما شاء الله . قال : فأم ر بلالا فأذن ثم أقام

فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ثم أقام فصلى المغرب ، ثم أقام فصلى العشاء .

وقال الحافظ أبوبكر البزار : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا مؤمل يعنى ابن إسماعيل ،

حدثنا حماد ، يعنى ابن سلمة ، عن عبدالكريم ، يعنى ابن أبى المخارق ، عن مجاهد ، عن

جابر بن عبدالله ، أن النبى صلى الله عليه وسلم شغل يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر

والمغرب والعشاء ، فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ، ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ،

ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ، ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء . ثم قال : " ما على

وجه الارض قوم يذكرون الله في هذه الساعة غيركم " .

تفرد بن البزار ، وقال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقد رواه بعضهم عن عبد

الكريم عن مجاهد عن أبى عبيدة عن عبدالله .

فصل

في دعائه عليه السلام على الاحزاب

وكيف صرفهم الله بحوله وقوته ، استحبابا لرسوله صلى الله عليه وسلم وصيانة لحوزته

الشريفة ، فزلزل قلوبهم ، ثم أرسل عليهم الريح الشديدة فزلزل أبدانهم .

قال الامام أحمد : حدثنا أبوعامر ، حدثنا الزبير - يعنى ابن عبدالله - حدثنا ربيح

بن أبى سعيد الخدرى ، عن أبيه ، قال : قلنا يوم الخندق : يا رسول الله هل من شئ نقوله ؟

فقد بلغت القلوب الحناجر ! قال : " نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا " . قال :

فضرب الله وجوه أعدائه بالريح .

وقد رواه ابن أبى حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن أبى عامر - وهو العقدى (1) - عن

* (هامش) * (1) هو أبوعامر عبدالملك بن عمرو العقدى . يروى عن شعبة . اللباب 2 / 144 . (*)

ـ 214 ـ

الزبير بن عبدالله مولى عثمان بن عفان ، عن ربيح بن عبدالرحمن بن أبى سعيد ، عن أبيه ،

عن أبى سعيد ، فذكره وهذا هو الصواب .

وقال الامام أحمد : حدثنا حسين ، عن ابن أبى ذئب ، عن رجل من بنى سلمة ، عن

جابر بن عبدالله ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى مسجد الاحزاب فوضع رداءه وقام

ورفع يديه مدا يدعو عليهم ولم يصل . قال : ثم جاء ودعا عليهم وصلى .

وثبت في الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبدالله بن أبى أوفى

قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال : " اللهم منزل الكتاب

سريع الحساب اهزم الاحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم " وفى رواية : اللهم اهزمهم

وانصرنا عليهم .

وروى البخارى عن قتيبة ، عن الليث ، عن سعيد المقبرى عن أبيه ، عن أبى هريرة

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " لا إله إلا الله وحده ، أعز جنده ونصر

عبده وغلب الاحزاب وحده ، فلا شئ بعده " .

* * *

وقال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من

الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة

ابن أشجع بن ريث بن غطفان ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنى

قد أسلمت وإنى قومى لم يعلموا بإسلامى ، فمرنى بما شئت . فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : " إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة " .

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة ، وكان لهم نديما في الجاهلية ، فقال : يا بنى

قريظة قد عرفتم ودى إياكم وخاصة ما بينى وبينكم . قالوا : صدقت لست عندنا بمتهم .

ـ 215ـ

فقال لهم : إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم

ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب

محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم ونساؤهم وأموالهم بغيره ، فليسوا كأنتم فإن

رأوا نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ،

ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من

أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه . قالوا : لقد

أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش :

قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه

نصحا لكم فاكتموا عنى . قالوا : نفعل .

قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد

أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش

وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم

حتى تستأصلهم ، فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من

رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان إنكم أصلى وعشيرتى وأحب

الناس إلى ولا أراكم تتهمونى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم . قال : فاكتموا عنى .

قالوا : نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنيع الله تعالى لرسوله صلى

الله عليه وسلم أن أرسل أبوسفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن

أبى جهل في نفر من قريش وغطفان ، فقال لهم : إنا لسنا بدار مقام ، هلك الخف والحافر ،

فأعدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم

السبت ، وهم يوم لا نعمل فيه شيئا ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابهم مالم

يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من

رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا ، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب

واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا

بذلك منه .

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إن الذى

حدثكم نعيم بن مسعود لحق . فأسلوا إلى بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلا

واحدا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة حين

انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا

أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم

وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله ما نقاتل معكم حتى

تعطونا رهنا .

فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله الريح في ليلة (1) شاتية شديدة البرد ، فجعلت

تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم .

* * *

وهذا الذى ذكره ابن إسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره

موسى بن عقبة .

وقد أورده عنه البيهقى في الدلائل ، فإنه ذكر ما حاصله : أن نعيم بن مسعود كان

يذيع ما يسمعه من الحديث ، فاتفق أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم

* (هامش) * (1) ابن هشام : ليال . (*)

ـ 217ـ

عشاء ، فأشار إليه أن تعالى . فجاء فقال : ما وراءك ؟ فقال : إنه قد بعثت قريش وغطفان

إلى بنى قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيناجزوك ، فقالت قريظة : نعم فأرسلوا

إلينا بالرهن . وقد ذكر فيما تقدم : أنهم إنما نقضوا العهد على يدى حيى بن أخطب بشرط

أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توثقة .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى مسر إليك شيئا فلا تذكره .

قال : إنهم قد أرسلوا إلى يدعوننى إلى الصلح وأرد بنى النضير إلى دورهم وأموالهم .

فخرج نعيم بن مسعود عامدا إلى غطفان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الحرب

خدعة وعسى أن يصنع الله لنا " .

فأتى نعيم غطيفم وقريشا فأعلم ، فبادر القوم وأرسلوا إلى بنى قريظة عكرمة

وجماعة معه ، واتفق ذلك ليلة السبت ، يطلبون منهم أن يخرجوا للتقال معهم فاعتلت

اليهود بالسبت ، ثم أيضا طلبوا الرهن توثقة فأوقع الله بينهم واختلفوا .

قلت : وقد يحتمل أن تكون قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان

بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون منه الصلح على أن يرد بنى النضير إلى

المدينة . والله أعلم .

* * *

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم

وما فرق الله من جمعهم ، دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر مافعل القوم ليلا .

قال ابن اسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال : قال رجل

من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبدالله أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وصحبتموه ؟ قال : نعم يابن أخى . قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا

نجتهد . قال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الارض ولحمناه على أعناقنا !

قال : فقال حذيفة : يابن أخى والله لقد رأينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالخندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت إلينا فقال :

من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ؟ فشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم

الرجعة ، أسأل الله أن يكون رفيقى في الجنة . فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع

والبرد ، فلما لم يقم أحد دعانى ، فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى ، فقال : يا حذيفة

اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا .

قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم

قدرا ولا نارا ولا بناء ، فقام أبوسفيان فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه .

قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى فقلت : من أنت ؟ قال فلان بن

فلان ، ثم قال : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع

والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ،

ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل . ثم قام

إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو

قائم . ولو لا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى : لا تحدث شيئا حتى تأتينى .

لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى في مرط

لبعض نسائه مرحل ، فلما رآنى أدخلنى إلى رجليه وطرح على المرط ، ثم ركع

وسجد وإنى لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر . وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا

راجعين إلى بلادهم .

وهذا منقطع من هذا الوجه .

وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في صحيحه ، من حديث الاعمش عن إبراهيم

ـ 219ـ

ابن يزيد التيمى عن أبيه ، قال : كنا عند حذيفة فقال له رجل : لو أدركت رسول الله

صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت . فقال له حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد

رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقر ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا رجل يأتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة ؟

فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله . ثم قال : يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم ، فلم

أجد بدا إذ دعانى باسمى أن أقوم ، فقال : ائتنى بخبر القوم ولا تذعرهم على . قال :

فمضيت كأنما أمشى في حمام حتى أتيتهم ، فإذا أبوسفيان يصلى ظهره بالنار ، فوضعت

سهما في كبد قوسى وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا تذعرهم على . ولو رميته لاصبته ، فرجعت كأنما أمشى في حمام ، فأتيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأصابنى البرد حين رجعت وقررت ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه

وسلم وألبسنى من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها ، أبرح نائما حتى الصبح ، فلما أن

أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا نومان !

* * *

وقد روى الحاكم والحافظ البيهقى في الدلائل هذا الحديث مبسوطا من حديث

عكرمة بن عمار ، عن محمد بن عبدالله الدؤلى ، عن عبدالعزيز بن أخى حذيفة قال : ذكر

حذيفة مشاهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جلساؤه : أما والله لو كنا شهدنا

ذلك لكنا فعلنا وفعلنا . فقال حذيفة : لا تمنوا ذلك ، لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن

صافون قعود ، وأبوسفيان ومن معه فوقنا ، وقريظة اليهود أسفل من نخافهم على ذرارينا

وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق ،

وهو ظلمة ما يرى أحدنا إصبعة .

فجعل المنافقون يستأذنون النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون : إن بيوتنا عورة وما هى

بعورة . فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم ويتسللون ، ونحن ثلاثمائة أو نحو

ذلك ، إذ استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا حتى أتى على وما على جنة

من العدو ولا من البرد إلا مرط لامرأتى ما يجاوز ركبتى ، قال : فأتانى وأنا جاث على

ركبتى فقال : من هذا ؟ فقلت : حذيفة . فقال : حذيفة ! فتقاصرت للارض فقلت :

بلى يا رسول الله . كراهية أن أقوم . فقمت فقال : إنه كائن في القوم خبر فأتنى بخبر

القوم . قال : وأنا من أشد الناس فزعا وأشدهم قرا .

قال : فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم احفظه من بين يديه ومن

خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته " قال : فوالله ما خلق الله فزعا

ولا قرا في جوفى إلا خرج من جوفى فما أجد فيه شيئا ! قال : فلما وليت قال : يا حذيفة

لا تحدثن في القوم شيئا حتى تأتينى .

قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد ، وإذا

رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل . ولم

أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهما من كنانتى أبيض الريش فأضعه في كبد

قوسى لارميه به في ضوء النار ، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحدثن

فيهم شيئا حتى تأتينى . فأمسكت ورددت سهمى إلى كنانتى ، ثم إنى شجعت نفسى

حتى دخلت العسكر ، فإذا أدنى الناس منى بنو عامر يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل

لا مقام لكم . وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا ، فوالله إنى لاسمع صوت

الحجارة في رحالهم وفرشهم ، الريح تضرب بها ، ثم إنى خرجت نحو رسول الله صلى الله

عليه وسلم فلما انتصفت بى الطريق أو نحو من ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارسا أو نحو

ذلك معتمين فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه .

قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل في شملة يصلى ، فوالله

ـ 221ـ

ماعدا أن رجعت راجعنى القر وجعلت أقرقف ، فأومأ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 221 سطر 1 الى ص 230 سطر 22

ماعدا أن رجعت راجعنى القر وجعلت أقرقف ، فأومأ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بيده وهو يصلى ، فدنوت منه فأسبل على شملته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا حزبه أمر صلى . فأخبرته خبر القوم ، أخبرته أنى تركتهم يرحلون . قال : وأنزل الله

تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم

ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا " يعنى الآيات كلها إلى قوله : " ورد

الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا "

أى صرف الله عنهم عدوهم بالريح التى أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التى

بعثها الله إليهم " وكفى الله المؤمنين القتال " أى لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم بل

صرفهم القوى العزيز بحوله وقوته .

لهذا ثبت في الصحيحين عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : " لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ونصره عبده ، وأعز جنده ، وهزم

الاحزاب وحده ، فلا شئ بعده " .

* * *

وفى قوله : " وكفى الله المؤمنين القتال " إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم .

وهكذا وقع ، ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين ، كما قال محمد بن إسحاق رحمه

الله : فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا :

" لن تغزوكم قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونهم " .

قال : فلم تغز قريش بعد ذلك ، وكان يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة .

وهذا بلاغ من ابن إسحاق .

وقد قال الامام أحمد : حدثنا يحيى عن سفيان ، حدثنى أبوإسحاق ، سمعت سليمان

ابن صرد رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الآن نغزوهم

ولا يغزوننا .

ـ 222ـ

وهكذا رواه البخارى من حديث إسرائيل وسفيان الثورى كلاهما عن أبى إسحاق

السبيعى ، عن سليمان بن صرد به .

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بنى عبدالاشهل ،

وهم سعد بن معاذ - وستأتى وفاته مبسوطة - وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد

الله بن سهل ، والطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غنمة الجشميان السلميان ، وكعب بن

زيد النجارى ، أصابه سهم غرب فقتله .

قال : وقتل من المشركين ثلاثة وهم : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد

الدار ، أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبدالله بن المغيرة اقتحم الخندق بفرسه

فتورط فيه فقتل هناك وطلبوا جسده بثمن كبير . كما تقدم . وعمرو بن عبد ود العامرى ،

قتله على بن أبى طالب .

قال ابن هشام : وحدثنى الثقة أنه حدث عن الزهرى أنه قال : قتل على يومئذ عمرو بن

عبد ود وابنه حسل بن عمرو . قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ود . ويقال عمرو

بن عبد .

ـ 223ـ

فصل

في غزوة بنى قريظة

وما أحل الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعد الله لهم في الآخرة من

العذاب الاليم .

وذلك لكفرهم ونقضهم العهود التى كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه

وسلم مما لاتهم الاحزاب عليه ، فما أجدى ذلك عنهم شيئا ، وباءوا بغضب من الله ورسوله

والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة .

وقد قال الله تعالى : " ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله

المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من

صياصبهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم

وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها ، وكان الله على كل شئ قديرا (1) " .

قال البخارى : حدثنا محمد بن مقاتل ، حدثنا عبدالله ، حدثنا موسى بن عقبة ،

عن سالم ونافع ، عن عبدالله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قفل من الغزو

والحج والعمرة يبدأ فيكبر ثم يقول : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله

الحمد وهو على كل شئ قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق

الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده " .

* * *

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف

على الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح .

* (هامش) * (1) سورة الاحزاب 25 - 27

ـ 224 ـ

فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى الزهرى ،

معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد

وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم . فقال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح

بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة ،

فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا فأذن في الناس : من كان سامعا مطيعا

فلا يصلين العصر إلا في بنى قريظة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة

ابن أم مكتوم .

وقال البخارى : حدثنى عبدالله بن أبى شيبة ، حدثنا ابن نمير ، عن هشام ، عن

أبيه ، عن عائشة قالت : لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح

واغتسل أتاه جبريل فقال : قد وضعت السلاح ! والله ما وضعناه ! فاخرج إليهم ،

قال : فإلى أين ؟ قال : ها هنا . وأشار إلى بنى قريظة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال أحمد : وحدثنا حسن ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ،

عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من الاحزاب دخل المغتسل ليغتسل ،

وجاء جبريل فرأيته من خلل البيت قد عصب رأسه الغبار ، فقال : يا محمد أوضعتم

أسلحتكم ؟ فقال : وضعنا أسلحتنا ، فقال : إنا لم نضع أسلحتنا بعد ، انهد إلى

بنى قريظة .

ثم قال البخارى : حدثنا موسى ، حدثنا جرير بن حازم ، عن حميد بن هلال ، عن

أنس بن مالك قال : كأنى أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بنى غنم موكب جبريل ، حين

سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة .

ثم قال البخارى : حدثنا عبدالله بن محمد بن أسماء ، حدثنا جويرية بن أسماء ، عن

نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب : " لا يصلين

أحد العصر إلا في بنى قريظة " فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلى

العصر حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بلى نصلى لم يرد منا ذلك . فذكر ذلك النبى صلى الله

عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم .

وهكذا رواه مسلم عن عبدالله بن محمد بن أسماء به .

وقال الحافظ البيهقى : حدثنا أ بوعبدالله الحافظ وأبوبكر أحمد بن الحسن القاضى

قالا : حدثنا أ بوالعباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن خالد بن على ، حدثنا بشر بن

حرب ، عن أبيه ، حدثنا الزهرى ، أخبرنى عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك ، أن

عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الاحزاب وضع

عنه اللامة واغتسل واستحم ، فتبدى له جبريل عليه السلام فقال : عذيرك من محارب !

ألا أراك قد وضعت اللامة وما وضعناها بعد !

قال : فوثب النبى صلى الله عليه وسلم فزعا فعزم على الناس ألا يصلوا صلاة العصر

إلا في بنى قريظة .

قال : فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بنى قريظة حتى غربت الشمس ، فاختصم الناس

عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم علينا ألا

نصلى حتى نأتى بنى قريظة ، فإنما نحن في عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس علينا

إثم . وصلى طائفة من الناس احتسابا ، وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس

فصلوها حين جاءوا بنى قريظة احتسابا . فلم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا

من الفريقين .

ثم روى البيهقى من طريق عبدالله العمرى ، عن أخيه عبيدالله ، عن القاسم بن

محمد ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها فسلم علينا رجل ونحن في

لبيت ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا وقمت في أثره فإذا بدحية الكلبى ،

فقال ؟ : هذا جبريل أمرنى أن أذهب إلى بنى قريظة وقال : وضعتم السلاح لكنا لم

نضع ، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الاسد . وذلك حين رجع رسول الله صلى الله

عليه وسلم من الخندق ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا وقال لاصحابه : عزمت

عليكم ألا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بنى قريظة ، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ،

فقالت ؟ طائفة من المسلمين : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد أن تدعوا الصلاة

فصلوا . وقالت طائفة : والله إنا لفى عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علينا من إثم .

فصلت ؟ طائفة إيمانا واحتسابا وتركت طائفة إيمانا واحتسابا ، ولم يعنف رسول الله صلى

الله عليه وسلم واحدا من الفريقين . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بمجالس

بينه وبين بنى قريظة فقال : هل مر بكم أحد ؟ فقالوا : مر علينا دحية الكلبى على بغلة

شهباء تحته قطيفة ديباج . فقال : ذلك جبريل أرسل إلى بنى قريظة ليزلزلهم ويقذف في

قلوبهم الرعب .

فحاصرهم النبى صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه أن يستروه بالحجف (1) حتى يسمع

كلامهم ، فناداهم : يا إخوة القردة والخنازير . فقالوا : يا أبا القاسم لم تكن فحاشا .

فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه ، فحكم فيهم أن تقتل

مقاتلتهم وتسبى دراريهم ونساؤهم .

ولهذا الحديث طرق جبدة عن عائشة وغيرها .

* * *

وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو ؟ بل الاجماع على أن كلا

من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف .

* (هامش) * (1) الحجف : جمع حجفة . وهى الترس من جلد بلا خشب ولا عقب . (*)

فقالت طائفة من العلماء : الذين أخروا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدر لها حتى صلوها

في بنى قريظة هم المصيبون ، لان أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاص ، فيقدم على عموم

الامر بها في وقتها المقدر لها شرعا .

قال أبومحمد بن حزم الظاهرى في كتاب السيرة : وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصل

العصر إلا في بنى قريظة ولو بعد أيام !

وهذا القول منه ماش على قاعدته الاصلية في الاخذ بالظاهر .

وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلوا الصلاة في وقتها لما أدركتهم وهم

في مسيرهم هم المصيبون ، لانهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير إلى بنى قريظة لا تأخير

الصلاة ، فعملوا بمقتضى الادلة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها ، مع فهمهم عن

الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها التى حولت إليه يومئذ

كما يدعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخروا فعذروا بحسب ما فهموا ، وأكثر ما كانوا

يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه .

وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما فهمه البخارى حيث احتج

على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا ، فلا إشكال على من أخر ولا على من قدم

أيضا . والله أعلم .

* * * ثم قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ومعه

رايته وابتدرها الناس .

وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهرى : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم

في مغتسله كما يزعمون قد رجل أحد شقيه أتاه جبريل على فرس عليه لامته حتى وقف

بباب المسجد عند موضع الجنائز ، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل :

غفر الله لك أو قد وضعت السلاح ؟ ! قال : نعم فقال جبريل : لكنا لم نضعه منذ نزل

بك العدو وما زلت في طلبهم حتى هزمهم الله - ويقولون : إن على وجه جبريل لاثر

الغبار - فقال له جبريل : إن الله قد أمرك بقتال بنى قريظة فأنا عامد إليهم بمن معى من

الملائكة نزلزل بهم الحصون ، فاخرج بالناس .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثر جبريل فمر على مجلس بنى غنم وهم

ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم فقال : مر عليكم فارس آنفا ؟ قالوا : مر

علينا دحية الكلبى على فرس أبيض تحته نمط أو قطيفة ديباج عليه اللامة . فذكروا أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ذاك جبريل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يشبه دحية الكلبى بجبريل ، فقال : الحقونى ببنى قريظة فصلوا فيهم العصر .

فقاموا وما شاء الله من المسلمين فانطلقوا إلى بنى قريظة ، فحانت صلاة العصر وهم بالطريق ،

فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمركم

أن تصلوا العصر في بنى قريظة . وقال آخرون : هى الصلاة . فصلى منهم قوم وأخرت

طائفة الصلاة حتى صلوها في بنى قريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا لرسول الله صلى

الله عليه وسلم من عجل منهم الصلاة ومن أخرها ، فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم لم يعنف واحدا من الفريقين .

قال : فلما رأى على بن أبى طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا تلقاه وقال :

ارجع يا رسول الله فإن الله كافيك اليهود . وكان على قد سمع منهم قولا سيئا لرسول الله

صلى الله عليه وسلم وأزواجه رضى الله عنهن ، فكره أن يسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تأمرنى بالجوع ؟ فكتمه ما سمع منهم فقال :

أظنك سمعت في منهم أذى ، فامض فإن أعداء الله لو رأونى لم يقولوا شيئا مما سمعت .

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحصنهم ، وكانوا في أعلاه ، نادى بأعلى

صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم فقال : أجيبوا يا معشر يهود ياإخوة القردة ، قد

نزل بكم خزى الله عزوجل .

فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ، ورد الله

حيى بن أخطب حتى دخل حصن بنى قريظة ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، واشتد

عليهم الحصار ، فصرخوا بأبى لبابة بن عبدالمنذر - وكانوا حلفاء الانصار - فقال أبو

لبابة : لا آتيهم حتى يأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له رسول الله صلى الله

عليه وسلم : قد أذنت لك .

فأتاهم أبولبابة فبكوا إليه وقالوا : يا أبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا ؟ فإنه لا طاقة

لنا بالقتال .

فأشار أبولبابة بيده إلى حلقة وأمر عليه أصابعه ، يريهم أنما يراد بهم القتل .

فلما انصرف أبولبابة سقط في يده ، ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة ، فقال :

والله لا أنظر في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحدث لله توبة نصوحا يعلمها

الله من نفسى .

فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريبا

من عشرين ليلة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غاب عليه أبولبابة : أما فرغ أبولبابة من

حلفائه ؟ فذكر له ما فعل ، فقال : لقد أصابته بعدى فتنة ولو جاءنى لاستغفرت له ، وإذ

قد فعل هذا فلن أحركه من مكانه حتى يقضى الله فيه ما يشاء .

وهكذا رواه ابن لهيعة ، عن أبى الاسود ، عن عروة . وكذا ذكره محمد بن إسحاق

في مغازيه في مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهرى ، ومثل رواية أبى الاسود عن عروة .

* * *

ـ 230ـ

قال ابن إسحاق : ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر من آبار بنى قريظة

من ناحية أموالهم يقال لها بئر أنى ، فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار

وقذف في قلوبهم الرعب .

وقد كان حيى بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان

وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد : يا معشر يهود قد نزل بكم من

الامر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا بما شئتم منها . قالوا : وما هن ؟

قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل وأنه للذى

تجدونه في كتابكم ، فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا :

لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره .

قال : فإذا أبيتم على هذا فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه

رجلا مصلتين بالسيوف (1) ، لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن

نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمرى لنجدن

النساء والابناء .

قالوا : أنقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ !

قال : فإن أبيتم على هذه ، فالليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه

قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة .

قالوا : أنفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت

فأصابه مالم يخف عنك من المسخ .

فقال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازما .

* (هامش) * (1) ابن هشام : مصلتين السيوف . (*)

ـ 231 ـ

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبدالمنذر

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 231 سطر 1 الى ص 240 سطر 23

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبدالمنذر

أخا بنى عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الاوس ، نستشيره في أمرنا .

فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء

والصبيان يبكون في وجه ، فرق لهم وقالوا : يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ؟

قال : نعم . وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح .

قال أبولبابة : فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت

الله ورسوله .

ثم انطلق أبولبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى

ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده ، وقال : لا أبرح مكانى حتى يتوب الله على مما

صنعت . وأعاهد الله ألا أطأ بنى قريظة أبدا ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله

فيه أبدا .

قال ابن هشام : وأنزل الله ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ،

عن عبدالله بن أبى قتادة : " يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم

وأنتم تعلمون (1) " .

قال ابن هشام : أقام مرتبطا ست ليال ، تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتحله

حتى يتوضأ ويصلى ، ثم يرتبط ، حتى نزلت توبته في قوله تعالى : " وآخرون اعترفوا

بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور

رحيم (1) " .

وقول موسى بن عقبة أنه مكث عشرين ليلة مرتبطا به . والله أعلم .

وذكر ابن إسحاق أن الله أنزل توبته على رسوله من آخر الليل وهو في بيت أم

* (هامش) * (1) سورة الانفال . (*)

سلمة ، فجعل يبتسم فسألته أم سلمة فأخبرها بتوبة الله على أبى لبابة ، فاستأذنته أن تبشره

فأذن لها ، فخرجت فبشرته ، فثار الناس إليه يبشرونه ، وأرادوا أن يحلوه من

رباطه فقال : والله لا يحلنى منه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما خرج رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الفجر حله من رباط رضى الله عنه وأرضاه .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد ، وهم نفر من

بنى هدل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم ، أسلموا

في تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه

وسلم وعليهم محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن

سعدى . وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه

وسلم وقال : لا أغدر بمحمد أبدا . فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمنى إقالة

عثرات الكرام . ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله

عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب لم يدر أين توجه من الارض إلى يومه هذا

فذكر شأنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه .

قال : وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة ،

فأصبحت رمته ملقاة ولم يدر أين ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك

المقالة . والله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن إسحاق : فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فتواثبت الاوس فقالوا : يا رسول الله إنهم كانوا موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في

موالى إخواننا بالامس ما قد علمت ، يعنون عفوه عن بنى قينقاع حين سأله فيهم عبدالله

ابن أبى . كما تقدم .

ـ 233ـ

قال ابن إسحاق : فلما كلمته الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر

الاوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى . قال : فذلك إلى سعد بن معاذ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال

لها رفيدة في مسجده وكانت تداوى الجرحى ، فلما حكمه في بنى قريظة أتاه قومه فحملوه

على حمار قد وطأوا له بوسادة من أدم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن في مواليك ، فإن رسول

الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم . فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد

ألا تأخذه في الله لومة لائم !

فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبدالاشهل فنعى لهم رجال بنى

قريظة قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته التى سمع منه .

فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد الانصار ،

وأما الانصار فيقولون : قد عم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين . فقاموا إليه .

فقالوا : يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم .

فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم .

قال : وعلى من هاهنا . في الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم .

قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء .

قال إبن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبدالرحمن بن عمر بن سعد

ابن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد :

لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة .

وقال ابن هشام : حدثنى من أثق به من أهل العلم أن على بن أبى طالب صاح وهم

محاصرو بنى قريظة : يا كتيبة الايمان . وتقدم هو والزبير بن العوام وقال : والله لاذوقن

ماذاق حمزة أو أقتحم حصنهم . فقالوا : يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ .

* * *

وقد قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ،

سمعت أبا أمامة بن سهل ، سمعت أبا سعيد الخدرى ، قال : نزل أهل قريظة على حكم

سعد بن معاذ . قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد فأتاه على حمار ، فلما

دنا قريبا من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا لسيدكم أو خيركم ثم

قال : إن هؤلاء نزلوا على حكمك . قال : نقتل مقاتلتهم ونسبى ذريتهم . قال : فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : قضيت بحكم الله . وربما قال : قضيت بحكم الملك . وفى

رواية الملك .

أخرجاه في الصحيحين من طرق عن شعبة .

وقال الامام أحمد : حدثنا حجين ويونس ، قالا : حدثنا الليث بن سعد ، عن أبى

الزبير ، عن جابر بن عبدالله أنه قال : رمى يوم الاحزاب سعد بن معاذ فقطعوا

أكحله ، فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار فانتفخت يده فنزفه ، فلما رأى

ذلك قال : اللهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى من بنى قريظة . فاستمسك عرقه فما قطر

قطرة حتى نزلوا على حكم سعد ، فأرسل إليه فحكم أن تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم

وذراريهم يستعين بهم المسلمون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصبت حكم الله

فيهم . وكانوا أربعمائة . فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات .

وقد رواه الترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة ، عن الليث به . وقال الترمذى :

حسن صحيح .

ـ 235ـ

وقال الامام أحمد : حدثنا ابن نمير ، عن هشام ، أخبرنى أبى ، عن عائشة قالت :

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل

وعلى رأسه الغبار فقال : قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها اخرج إليهم قال : رسول

الله صلى الله عليه وسلم : فأين ؟ قال : هاهنا . وأشار إلى بنى قريظة . فخرج رسول الله

صلى الله عليه وسلم إليهم . قال هشام : فأخبرنى أبى أنهم نزلوا على حكم النبى صلى الله

عليه وسلم فرد الحكم فيهم إلى سعد قال : فإنى أحكم أن تقتل المقاتلة وتسبى النساء

والذرية وتقسم أموالهم .

قال هشام : قال أبى : فأخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد حكمت

فيهم بحكم الله .

وقال البخارى : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا عبدالله بن نمير ، حدثنا هشام عن

أبيه ، عن عائشة قالت : أصيب سعد يوم الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له حبان

ابن العرقة ، رماه في الاكحل ، فضرب النبى صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعوده

من قريب ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح واغتسل ،

فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار فقال : قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعته

اخرج إليهم . قال النبى صلى الله عليه وسلم : فأين ؟ فأشار إلى بنى قريظة . فأتاهم رسول

الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على حكمه ، فرد الحكم إلى سعد . قال : فإنى أحكم

فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم . قال هشام : فأخبرنى

أبى عن عائشة أن سعدا قال : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلى أن أجاهدهم فيك

من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم فإنى أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا

وبينهم ، فإن كان بقى من حرب قريش شئ فأبقنى له حتى أجاهدهم فيك ، وإن

كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتى فيها . فانفجرت من لبته فلم يرعهم وفى

المسجد خمية من بنى غفار إلا الدم يسيل إليهم ، فقالوا : يا أهل الخيمة ما هذا الذى يأتينا

من قبلكم ؟ فإذا سعد يغذو جرحه دما فمات منها .

وهذا رواه مسلم من حديث عبدالله بن نمير به .

قلت : كان دعا أولا بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بنى قريظة ، ولهذا قال فيه : ولا

تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة . فاستجاب الله له ، فلما حكم فيهم وأقر الله عينه أى

قرار دعا ثانيا بهذا الدعاء فجعلها الله له شهادة رضى الله عنه وأرضاه . وسيأتى ذكر وفاته

قريبا إن شاء الله .

* * *

وقد رواه الامام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولا جدا وفيه فوائد فقال :

حدثنا يزيد ، أنبأنا محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن جده علقمة بن وقاص ، قال :

أخبرتنى عائشة قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وثيد الارض ورائى ،

فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه قالت : فجلست إلى

الارض فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه ، فأنا أتخوف على أطراف

سعد ، قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، فمر وهو يرتجز ويقول :

لبث قليلا يدرك الهيجا حمل * ما أحسن الموت إذا حان الاجل

قالت : فقمت فاقتحمت حديقة فإذا نفر من المسلمين ، فإذا فيها عمر بن الخطاب

وفيهم رجل عليه سبغة له ، تعنى المغفر ، فقال عمر : ما جاء بك والله إنك لجريئة وما يؤمنك

أن يكون بلاء أو يكون تحوز . فما زال يلومنى حتى تمنيت أن الارض فتحت ساعتئذ

فدخلت فيها فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقال : يا عمر ويحك

إنك قد أكثرت منذ اليوم وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله عزوجل .

قالت : ويرمى سعدا رجل من قريش يقال له ابن العرقة وقال : خذها وأنا ابن العرقة .

فأصاب أكحله فقطعه ، فدعا الله سعد فقال : اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة .

قالت : وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهلية . قالت فرقأ كلمه وبعث الله الريح على

المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . فلحق أبوسفيان ومن معه

بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد .

ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى المدينة وأمر بقبة من أدم ، فضربت على سعد في المسجد . قالت : فجاء جبريل وإن

على ثناياه لنقع الغبار فقال : أقد وضعت السلاح ! لا والله ما وضعت الملائكة السلاح

بعد ، اخرج إلى بنى قريظة فقاتلهم .

قال : فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته وأذن في الناس بالرحيل أن

يخرجوا ، فمر على بنى غنم ، وهم جيران المسجد حوله فقال : من مربكم ؟ قالوا : مر بنا

دحية الكلبى ، وكان دحية الكلبى تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه السلام .

فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة ، فلما اشتد حصرهم

واشتد البلاء قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاستشاروا أبا لبابة

ابن عبدالمنذر فأشار إليهم أنه الذبح قالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ . فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : انزلوا على حكم سعد بن معاذ . فأتى به على حمار عليه إكاف من

ليف قد حمل عليه وحف به قومه ، فقالوا : يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ،

ومن قد علمت . قالت : ولا يرجع إليهم شيئا ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم

التفت إلى قومه فقال : قد آن لى ألا أبالى في الله لومة لائم !

قالت : قال أبوسعيد : فلما طلع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى

سيدكم فأنزلوه . قال عمر : سيدنا الله . قال : أنزلوه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

احكم فيهم فقال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم

أموالهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله .

ثم دعا سعد فقال : اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئا فأبقنى

لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى إليك . قال : فانفجر كلمه وكان

قد برئ حتى لا يرى منه إلا مثل الخرص (1) ، ورجع إلى قبته التى ضرب عليه رسول

الله صلى الله عليه وسلم .

قالت عائشة : فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر وعمر ، قالت : فو الذى

نفس محمد بيده إنى لاعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وأنا في حجرتى ، وكانوا كما قالوا

الله : " رحماء بينهم (2) " .

قال علقمة : فقلت : يا أمه فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ؟ قالت :

كانت عينه لا تدمع على أحد . ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته .

وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة ، وفيه التصريح بدعاء سعد

مرتين ، مرة قبل حكمه في بنى قريظة ومرة بعد ذلك ، كما قلنا أولا ولله الحمد والمنة .

وسنذكر كيفية وفاته ودفنه وفضله في ذلك رضى الله عنه وأرضاه بعد فراغنا

من القصة .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار

بنت الحارث امرأة من بنى النجار . قلت : هى نسيبة ابنة الحارث بن كرز بن حبيب

بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلمة الكذاب ، ثم خلف عليها عبدالله بن عامر

ابن كريز .

* (هامش) * (1) الخرص : الحلقة الصغيرة من الحلى . (2) سورة الفتح الآية 29 . (*)

ـ 239 ـ

ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم

فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، فخرج إليه أرسالا ، وفيهم عدو الله حيى بن أخطب

وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة ، والمكثر لهم يقول : كانوا ما بين

ا لثمانمائة و التسعمائة .

قلت : وقد تقدم فيما رواه الليث عن أبى الزبير عن جابر أنهم كانوا أربعمائة

فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم أرسالا : ياكعب ماتراه يصنع بنا ؟ قال : أفى كل موطن لا تعقلون !

ألا ترون الداعى لا ينزع ومن ذهب به منكم لا يرجع ، هو والله القتل !

فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم ، وأتى بحيى بن أخطب وعليه حلة له

فقاحية (1) قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها ، مجموعة يداه إلى عنقه

بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله مالت نفسى في عداوتك ،

ولكنه من يخذل الله يخذل ! ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر

وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ! ثم جلس فضربت عنقه .

فقال جبل بن جوال الثعلبى :

لعمرك مالام ابن أخطب نفسه * ولكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها * وقلقل يبغى العزى كل مقلقل (2)

* (هامش) * (1) الفقاح : الزهر إذا انشقت أكمته . والمراد أنها كانت تضرب إلى الحمرة . قال ابن هشام : فقاحية :

ضرب من الوشى .

(2) قلقل : سعى وتحرك . (*)

وذكر ابن إسحاق قصة الزبير بن باطا ، وكان شيخا كبير قد عمى ، وكان قد من

يوم بعاث على ثابت بن قيس بن شماس وجز ناصيته ، فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه

فجاءه فقال : هل تعرفنى يا أبا عبدالرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلك مثلك . فقال له ثابت :

أريد أن أكافئك . فقال : إن الكريم يجزى الكريم .

فذهب ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطلقه فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره

فقال : شيخ كبير لا أهل ـ له (1) ـ ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ! فذهب إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فاستطلق له امرأته وولده ، فأطلقهم له . ثم جاءه فقال : أهل بيت

بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاستطلق مال الزبير بن باطا ، فأطلقه له .

ثم جاءه فأخبره فقال له : يا ثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى

حى (2) ، كعب بن أسد ؟ قال : قتل .

قال : فمافعل سيد الحاضر والبادى حيى بن أخطب ؟ قال : قتل .

قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا : عزال بن شموال (3) ؟ قال :

قتل .

قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة . قال :

ذهبوا قتلوا .

قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقنى بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد

هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فيلة (4) دلو ناضح حتى ألقى الاحبة .

* (هامش) * (1) من ابن هشام . (2) ابن هشام : عذارى الحى .

(3) ابن هشام : سموال بالسين .

(4) المذكور في ابن هشام والروض الانف للسهيلى : فتلة بالتاء . ولعله تحريف فيهما ، ادام ابن كثير

قد ضبطه بالحروف . (*)

ـ 241ـ

فقدمه ثابت فضربت عنقه .

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 241 سطر 1 الى ص 250 سطر 22

فقدمه ثابت فضربت عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله : " ألقى الاحبة " قال : يلقاهم والله في نار جهنم

خالدا فيها مخلدا !

قال ابن إسحاق : " فيلة " بالفاء والياء المثناة من أسفل وقال ابن هشام ، بالقاف

والباء الموحدة . وقال ابن هشام : الناضح : البعير الذى يستقى عليه الماء لسقى النخل .

وقال أبوعبيدة : معناه إفراغه دلو .

* * *

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبت

منهم . فحدثنى شعبة بن الحجاج ، عن عبدالملك بن عمير ، عن عطية القرظى ، قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من أنبت منهم ،

وكنت غلاما ، فوجدونى لم أنبت فخلوا سبيلى .

ورواه أهل السنن الاربعة من حديث عبدالملك بن عمير ، عن عطية القرظى نحوه .

وقد استدل به من ذهب من العلماء إلى أن إنبات الشعر الخشن حول الفرج دليل

على البلوغ ، بل هو بلوغ في أصح قولى الشافعى .

ومن العلماء من يفرق بين صبيان أهل الذمة ، فيكون بلوغا في حقهم دون غيرهم ،

لان المسلم قد يتأذى بذلك لمقصد .

وقد روى إسحاق عن أيوب بن عبدالرحمن ، أن سلمى بنت قيس أم المنذر

استطلقت من رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن شموال ، وكان قد بلغ فلاذبها ،

وكان يعرفهم قبل ذلك فأطلقه لها ، وكانت قالت : يا رسول الله إن رفاعة يزعم أنه

سيصلى ويأكل لحم الجمل . فأجابها إلى ذلك فأطلقه .

ـ 242ـ

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة قالت :

لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، قالت : والله إنها لعندى تحدث معى تضحك

ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق إذ هتف هاتف باسمها

أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك مالك ؟ قالت : أقتل ! قلت : ولم ؟

قالت : لحدث أحدثته . قالت : فانطلق بها فضربت عنقها .

وكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد

عرفت أنها تقتل !

وهكذا رواه الامام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

قال ابن إسحاق : هى التى طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته . يعنى فقتلها

رسول الله صلى الله عليه وسلم به .

قال ابن إسحاق في موضع آخر : وسماها نباتة امرأة الحكم القرظى .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى قريظة

ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخمس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم ، سهمين

للفرس وسهما لراكبه وسهما للراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستا وثلاثين . قال : وكان

أول فئ وقعت فيه السهمان وخمس .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعيد بن زيد بسبايا من

بنى قريظة إلى نجد فابتاع بها خيلا وسلاحا . وكا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد

اصطفى من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، وكان

عليها حتى توفى عنهما وهى في ملكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض

عليها الاسلام فامتنعت ثم أسلمت بعد ذلك فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامها

ـ243ـ

وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فاختارت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها

فلم تزل عنده حتى توفى عليه الصلاة والسلام .

ثم تكلم ابن إسحاق على ما نزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الاحزاب ،

وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسيرها ولله الحمد والمنة .

وقد قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم بنى قريظة خلاد بن سويد بن

ثعلبة بن عمرو الخزرجى طرحت عليه رحا فشدخته شدخا شديدا ، فزعموا أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال : " إن له لاجر شهيدين " .

قلت : كان الذى ألقى عليه الرحى تلك المرأة التى لم يقتل من بنى قريظة امرأة غيرها

كما تقدم . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ومات أبوسنان بن محصن بن حرثان من بنى أسد بن خزيمة

ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بنى قريظة فدفن في مقبرتهم اليوم .

وفاة سعد بن معاذ رضى الله عنه

قد تقدم أن حبان بن العرفة لعنه الله رماه بسهم فأصاب أكحله ، فحسمه رسول

الله صلى الله عليه وسلم كيا بالنار فاستمسك الجرح ، وكان سعد قد دعا الله ألا يميته

حتى يقر عينه من بنى قريظة ، وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى

الله عليه وسلم من العهود والمواثيق والذمام ومالوا عليه مع الاحزاب ، فلما ذهب

الاحزاب وانقشعوا عن المدينة وباءت بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة في الدنيا

والآخرة ، وسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحاصرهم كما تقدم ، فلما ضيق

عليهم وأخذهم من كل جانب أنابوا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيحكم فيهم بما أراده الله ، فرد الحكم فيهم إلى رئيس الاوس وكانوا حلفاءهم في الجاهلية ،

وهوسعد بن معاذ ، فرضوا بذلك . ويقال : بل نزلوا ابتداء على حكم سعد لما يرجون من

حنوه عليهم وإحسانه وميله إليهم ، ولم يعلموا بأنهم أبغض أليه من أعدادهم من القردة

والخنازير لشدة إيمانه وصديقيته رضى الله عنه وأرضاه .

فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في خيمة في المسجد النبوي ، فجئ به

على حمار تحته إكاف قد وطئ تحته لمرضه ، ولما قارب خيمة الرسول صلى الله عليه وسلم

أمر عليه السلام من هناك بالقيام له . قيل : لينزل من شدة مرضه ، وقيل توقيرا له بحضرة

المحكوم عليهم ليكون أبلغ في نفوذ حكمه . والله أعلم .

فلما حكم فيهم بالقتل والسبي وأقر الله عينه وشفى صدره منهم وعاد إلى خيمته

من المسجد النبوي صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله عزوجل أن تكون

له شهادة ، واختار الله له ماعنده فانفجر جرحه من الليل ، فلما يزل يخرج منه الدم حتى

مات رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات

منه شهيدا .

حدثني معاذ بن رفاعة الزرقي قال : حدثني من شئت من رجال قومي : أن

جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل

معتجرا بعمامة من استبرق ، فقال : يامحمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء

واهتز له العرش ؟ قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه إلى سعد

فوجده قد مات رضى الله عنه .

هكذا ذكره ابن إسحاق رحمه الله .

ـ 245ـ

وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل : حدثنا أ بوعبدالله الحافظ ، حدثنا أ بوالعباس

محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم ، حدثنا أبي وشعيب بن الليث ،

قالا : حدثنا الليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن معاذ بن رفاعة ، عن جابر بن

عبدالله قال : جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من هذا العبد الصالح

الذي مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش ؟

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سعد بن معاذ ، قال :

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس إذ قال :

" سبحان الله " مرتين ، فسبح القوم ، ثم قال : " الله أكبر الله أكبر " فكبر القوم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عجبت لهذا العبد الصالح شدد عليه في قبره حتى

كان هذا حين فرج له " .

وروى الامام أحمد والنسائي من طريق يزيد بن عبدالله بن أسامة بن الهاد ،

ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لسعد يوم مات وهو يدفن : " سبحان الله لهذا الصالح الذي تحرك له عرش الرحمن

وفتحت له أبواب السماء ، شدد عليه ثم فرج الله عنه " .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبدالرحمن بن عمرو

ابن الجموح ، عن جابر بن عبدالله قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس

معه فقالوا : يارسول الله مم سبحت ؟ قال : " لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى

فرج الله عنه " .

وهكذا رواه الامام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن

ابن إسحاق به .

ـ 246ـ

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن

للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ " .

قلت : وهذا الحديث قد رواه الامام أحمد : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، عن سعد بن

إبراهيم ، عن نافع ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن للقبر ضغطة ، ولو

كان أحد ناجيا منها لنجا سعد بن معاذ " .

وهذا الحديث سنده على شرط الصحيحين ، إلا أن الامام أحمد رواه عن غندر ،

عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إنسان ، عن عائشة به .

ورواه الحافظ البزار عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : حدثنا عبدالاعلى بن حماد ،

حدثنا داود ، عن عبدالرحمن ، حدثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملك إلى

الارض لم يهبطوا قبل ذلك ، ولقد ضمه القبر ضمة . ثم بكى نافع !

وهذا إسناد جيد ، لكن قال البزار : رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسلا .

ثم رواه البزار ، عن سليمان بن سيف ، عن أبي عتاب ، عن سكين بن عبدالله بن

عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : " لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الارض قبلها "

وقال حين دفن : " سبحان الله لو انفلت أحد من ضغطة القبر لانفلت منها سعد " .

وقال البزار : حدثنا إسماعيل بن حفص ، عن محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء بن

السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ . فقيل :

إنما يعني السرير " ورفع أبويه على العرش " قال : تفتحت أعواده . قال : ودخل رسول

الله صلى الله عليه وسلم قبره فاحتبس فلما خرج قيل له : يارسول الله ماحبسك ؟ قال : ضم

سعد في القبر ضمة فدعوت الله فكشف عنه .

ـ 247ـ

قال البزار : تفرد به عطاء بن السائب . قلت : وهو متكلم فيه .

وقد ذكر البيهقي رحمه الله بعد روايته ضمة سعد رضى الله عنه في القبر أثرا غريبا

فقال : حدثنا . أ بوعبدالله الحافظ ، حدثنا أ بوالعباس ، حدثنا أحمد بن عبدالجبار ،

حدثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، حدثني . أمية بن عبدالله ، . أنه سأل بعض أهل سعد :

مابلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا ؟ فقالوا : ذكر لنا أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال : كان يقصر في بعض الطهور من البول .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا الفضل بن مساور ، حدثنا أبومعاوية ،

عن الاعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

اهتز العرش لموت سعد بن معاذ .

وعن الاعمش ، حدثنا أبو صالح ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله . فقال

رجل لجابر ؟ فإن البراء بن عازب يقول : اهتز السرير ؟ ـ فقال ـ إنه كان بين هذين الحيين

ضغائن سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ

ورواه مسلم ، عن عمرو الناقد ، عن عبدالله بن إدريس وابن ماجه ، عن علي بن محمد

عن أبي معاوية ، كلاهما عن الاعمش به وليس عندهما زيادة قول الاعمش عن أبي صالح

عن جابر .

وقال أحمد : حدثنا عبدالرزاق ، عن ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر

ابن عبدالله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وجنازة سعد بن معاذ بين

أيديهم : اهتز لها عرش الرحمن .

ورواه مسلم عن عبد بن حميد ، والترمذي عن محمود بن غيلان كلاهما

عن عبدالرزاق به . قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عوف ، حدثنا أبونضرة ، سمعت

أبا سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم : اهتز العرش لموت سعد بن معاذ .

ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى به .

وقال أحمد : حدثنا ع بدالوهاب ، عن سعيد ، قال قتادة : حدثنا أنس بن مالك ، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وجنازته موضوعة : اهتز لها عرش الرحمن . ورواه

مسلم عن محمد بن عبدالله الازدي ، عن ع بدالوهاب به . وقد روى البيهقي من حديث المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن البصري ،

قال : اهتز عرش الرحمن فرحا بروحه .

وقال الحافظ البزار : حدثنا زهير بن محمد ، حدثنا عبدالرزاق ، حدثنا معمر ، عن

قتادة ، عن أنس قا ل : لما حملت جنازة سعد قال المنافقون : ماأخف جنازته ! وذلك

لحكمه في بني قريظة . فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا ولكن

الملائكة تحملته .

إسناد جيد .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ،

سمعت البراء بن عازب يقول : أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حلة حرير ، فجعل أصحابه

يمسونها ويعجبون من لينها ، فقال : " أتعجبون من لين هذه ؟ لمناديل سعد بن معاذ خير

منها أو ألين " .

ثم قال : رواه قتادة والزهري ، سمعنا أنسا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أحمد : حدثنا ع بدالوهاب : عن سعيد ، هو ابن أبي عروبة ، عن قتادة ،

عن أنس بن مالك ، أن أكيدر دومة أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

جبة وذلك قبل أن ينهى عن الحرير ، فلبسها فعجب الناس منها فقال : " والذي نفسي

بيده لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذه " .

ـ 249 ـ

وهذا إسناد على شرط الشيخين ولم يخرجوه ، وإنما ذكره البخاري تعليقا .

وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، حدثني واقد بن عمرو بن سعد بن

معاذ ، قال محمد : وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم ، قال : دخلت على أنس بن

مالك فقا ل لي : من أنت ؟ قلت : أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ . فقال : إنك بسعد

لشبيه . ثم بكى وأكثر البكاء وقال : رحمة الله على سعد ! كان من أعظم الناس

وأطولهم . ثم قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا إلى أكيدر دومة ،

فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبة من ديباج منسوج فيها الذهب ، فلبسها

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر وجلس فلم يتكلم ثم نزل ، فجعل الناس يلمسون

الجبة وينظرون إليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتعجبون منها ؟ لمناديل سعد

ابن معاذ في الجنة أحسن مما ترون " .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عمرو به . وقال الترمذي :

حسن صحيح .

قال ابن إسحاق بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد ابن معاذ : وفي ذلك يقول

رجل من الانصار :

- وما اهتز عرش الله من موت هالك * سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو -

قال . وقالت أمه ، يعني كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية

الخزرجية حين احتمل سعد على نعشه تندبه :

- ويل أم سعد سعدا * صرامة وحدا -

وسؤددا ومجدا * وفارسا معدا -

- سد به مسدا * يقدها ماقدا -

قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل نائحة تكذب إلا نائحة

سعد بن معاذ ! "

قلت : كانت وفاته بعد انصراف الاحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ،

إذ كان قدوم الاحزاب في شوال سنة خمس كما تقدم فأقاموا قريبا من شهر ثم خرج

رسول الله صلى الله عليه وسلم لحصار بني قريظة ، فأقام عليهم خمسا وعشرين ليلة ،

ثم نزولوا على حكم سعد فمات بعد حكمه عليهم بقليل ، فيكون ذلك في أواخر

ذي القعدة أو أوائل ذي الحجة من سنة خمس والله أعلم .

وهكذا قال محمد بن إسحاق : إن فتح بني قريظة كان في ذي القعدة وصدر

ذي الحجة قال : وولى تلك الحجة المشركون .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يرثي سعد بن معاذ رضى

الله عنه :

- لقد سجمت من دمع عيني عبرة * وحق لعيني أن تفيض على سعد - (1) .

- قتيل ثوى في معرك فجعت به * عيون ذواري الدمع دائمة الوجد - (2)

على ملة الرحمن وارث جنة * مع الشهداء وفدها أكرم الوفد -

فان تك قد وعدتنا وتركتنا * وأمسيت في غبراء مظلمة اللحد -

فأنت الذي ياسعد أبت بمشهد * كريم وأثواب المكارم والمجد -

بحكمك في حيى قريظة بالذي * فضى الله فيهم ماقضيت على عمد -

فوافق حكم الله حكمك فيهم * ولم تعف إذ ذكرت ما كان من عهد -

فإن كان ريب الدهر أمضاك في الالى * شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد -

فنعم مصير الصادقين إذا دعوا * إلى الله يوما للوجاهة والقصد -

* (هامش) * (1) سجمت : فاضت . (2) ذواري الدمع : غزيرته . (*)

ـ 251ـ

فصل

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 251 سطر 1 الى ص 260 سطر 20

فصل

فيما قيل من الاشعار في الخندق وبني قريظة

قال البخاري : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا شعبة ، حدثنا عدي بن ثابت ، أنه

سمع البراء بن عازب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : اهجهم أو هاجهم

وجبريل معك . قال البخاري : وزاد إبراهيم بن طهمان ، عن الشيباني ، عن عدي بن

ثابت ، عن البراء بن عازب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان بن

ثابت : اهج المشركين فإن جبريل معك .

وقد رواه البخاري أيضا ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة بدون الزيادة التي

ذكرها البخاري يوم بني قريظة .

قال ابن إسحاق رحمه الله : وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب

ابن فهر في يوم الخندق . قلت : وذلك قبل إسلامه :

- ومشففة تظن بنا الظنونا * وقد قدنا عرندسة طحونا - (1)

كأن زهاءها أحد إذا ما * بدت أركانه للناظرينا -

- ترى الابدان فيها مسبغات * على الابطال واليلب الحصينا - (2)

وجردا كالقداح مسومات * نؤم بها الغواة الخاطئينا - (3)

كأنهم إذا صالوا وصلنا * بباب الخندقين مصافحونا -

أناس لانرى فيهم رشيدا * وقد قالوا ألسنا راشدينا -

فأحجرناهم شهرا كريتا * وكنا فوقهم ك القاهرينا - (4)

* (هامش) * (1) العرندس : القوي . والطحون : المهلكة . يريد الكتيبة .

(2) الابدان : جمع بدن وهي الدرع القصيرة . واليلب . محركة : الترسة أو الدروع من الجلد .

(3) الجرد : جمع أجرد وهو من الخيل : السباق . و المسومات : المعلمات أ والمرسلات .

(4) أحجرناهم : حصرناهم . والكريت : التام . (*)

ـ 252ـ

- نراوحهم ونغدو كل يوم * عليهم في السلاح مدججينا -

بأيدينا صوارم مرهفات) * نقد بها المفارق والشئونا - (1)

كأن وميضهن معريات * إذا لاحت بأيدي مصلتينا -

وميض عقيقة لمعت بليل * ترى فيها ال

عقائق مستبينا - (2)

فلولا خندق كانوا لديه * لدمرنا عليهم أجمعينا -

ولكن حال دونهم وكانوا * به من خوفنا متعوذينا -

فإن نرحل فإنا قد تركنا * لدى أبياتكم سعدا رهينا -

إذا جن الظلام سمعت نوحا * على سعد يرجعن الحنينا -

وسوف نزوركم عما قريب * كما زرناكم متوازرينا -

بجمع من كنانة غير عزل * كأسد الغاب إذ حمت العرينا -

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة رضى الله عنه فقال :

وسائلة تسائل مالقينا * ولو شهدت رأتنا صابرينا -

صبرنا لا نرى لله عدلا * على مانابنا متوكلينا -

وكان لنا النبي وزير صدق * به نعلو البرية أجمعينا -

نقاتل معشرا ظلموا وعقوا * وكانوا بالعداوة مرصدينا -

نعالجهم إذا نهضوا إلينا * بضرب يعجل ا لمتسرعينا -

ترانا في فضافض سابغات * كغدران الملا متسربلينا - (3)

وفي أيماننا بيض خفاف * بها نشفى مراح الشاغبينا -

* (هامش) * (1) الشئون : جمع شأن : مجمع العظام في الرأس .

(2) العقيقة ، : من البرق مايبقى في السحاب من شعاعه .

(3) الفضافض : جمع فضفاضة وهي الدرع الواسعة . والغدران : جمع غدير . والملا : الصحراء . (*)

ـ 253ـ

بباب الخندقين كأن أسدا * شوابكهن يحمين العرينا -

فوارسنا إذا بكروا وراحوا * على الاعداء شوسا معلمينا - (1)

لننصر أحمدا والله حتى * نكون عباد صدق مخلصينا

ويعلم أهل مكة حين ساروا * وأحزاب أتوا متحزبينا -

- بأن الله ليس له شريك * وأن الله مولى المؤمنينا -

فإما تقتلوا سعدا سفاها * فإن الله خير القادرينا -

سيدخله جنانا طيبات * تكون مقامة للصالحينا -

كما قد ردكم فلا شريدا * بغيظكم خزايا خائبينا -

خزايا لم تنالوا ثم خيرا * وكدتم أن تكونوا دامرينا -

بريح عاصف هبت عليكم * فكنتم تحتها متكمهينا - (2)

قال ابن إسحاق : وقال عبدالله بن الزبعري السهمي في يوم الخندق . قلت : وذلك

قبل أن يسلم :

حي الديار محا معارف رسمها * طول البلى وتراوح الاحقاب -

فكأنما كتب اليهود رسومها * إلا الكنيف ومعقد الاطناب (3)

قفرا كأنك لم تكن تلهو بها * في نعمة بأوانس أتراب -

- فاترك تذكر مامضى من عيشة * ومحلة خلق المقام يباب -

واذكر بلاء معاشر واشكرهم * ساروا بأجمعهم من الانصاب - (4)

* (هامش) * (1) متكمهينا : عميا لا تبصرون .

(2) الشوس : جمع أشوس وهو الذي ينظر بمؤخر عينه كبرا . والمعلم : الذي جعل لنفسه علامة في الحرب .

يعرف بها .

(3) الكنيف : الحظيرة . والاطناب : جمع طنب وهو الحبل الذي تشد به الخيمة ونحوها .

(4) الانصاب هنا : الحجارة التي يعلم بها الحرم . (*)

ـ 254ـ

- أنصاب مكة عامدين ليثرب * في ذي غياطل جحفل جبجاب - (1)

يدع الحزون مناهجا معلومة * في كل نشز ظاهر وشعاب - (2)

فيها الجياد شوازب مجنوبة * قب البطون لواحق الاقراب - (3)

- من كل سلهبة وأجرد سلهب * كالسيد بادر غفلة الرقاب - (4)

- جيش عيينة قاصد بلوائه * فيه وصخر قائد الاحزاب -

قرمان كالبدرين أصبح فيهما * غيث الفقير ومعقل الهراب -

حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا * للموت كل مجرب قضاب -

- شهرا وعشرا قاهرين محمدا * وصحابه في الحرب خير صحاب -

- نادوا برحلتهم صبيحة قلتم * كدنا نكون بها مع الخياب -

لولا الخنادق غادروامن جمعهم * قتلى لطير سغب وذئاب -

قال : فأجابه حسان ن بن ثابت رضى الله عنه فقال :

هل رسم دارسة المقام يباب * متكلم لمحاور بجواب -

قفر عفا رهم السحاب رسومه * وهبوب كل مطلة مرباب - (5)

- ولقد رأيت بها الحلول يزينهم * بيض الوجوه ثواقب الاحساب -

فدع الديار وذكر كل خريدة * بيضاءآنسة الحديث كعاب -

واشك الهموم إلى الاله وماترى * من معشر ظلموا الرسول غضاب -

ساروا بأجمعهم إليه وألبوا * أهل القرى وبوادي الاعراب -

* (هامش) * (1) الغياطل : الاصوات المختلطة . يريد كثرة الجيش والجحفل : الجيش الكثير . والجبجاب : الكثير .

(2) الحزون : جمع حزن وهو ماارتفع من الارض . والنشز كذلك . والمناهج : جمع منهج وهو

الطريق الواضح .

(3) الشوازب : الضوامر . والمجنوبة : التي تقاد . والقب : جمع أقب وهو الضامر من الخيل .

واللواحق : الضامرة . والاقراب : جمع قرب ، وهو الخاصرة .

(4) السلهبة : الطويلة . (5) الرهم : جمع رهمة ، وهو المطر الضعيف الدائم . والمرباب : الدائمة . (*)

ـ 255ـ

- جيش عيينة وابن حرب فيهم * متخمطون بحلبة الاحزاب - (1)

حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا * قتل الرسول ومغنم الاسلاب -

وغدوا علينا قادرين بأيدهم * ردوا بغيظهم على الاعقاب - (2)

بهبوب معصفة تفرق جمعهم * وجنود ربك سيد الارباب -

فكفى الاله المؤمنين قتالهم * وأثابهم في الاجر خير ثواب -

- من بعد ماقنطوا ففرق جمعهم * تنزيل نصر مليكنا الوهاب -

وأقر عين محمد وصحابه * وأذل كل مكذب مرتاب -

عاتى الفؤاد موقع ذي ريبة * في الكفر ليس بطاهر الاثواب

- علق الشقاء بقلبه ففؤاده * في الكفر آخر هذه الاحقاب -

قال : وأجابه كعب بن مالك رضى الله عنه أيضا فقال :

أبقى لنا حدث الحروب بقية * من خير نحلة ربنا الوهاب -

- بيضاء مشرفة الذرى ومعاطنا * حم الجذوع غزيرة الاحلاب - (3)

- كاللواب يبذل جمها وحفيلها * للجار وابن العم والمنتاب - (4)

- ونزائعا مثل السراج نمى بها * علف الشعير وجزة المقضاب - (5)

- عرى الشوى منها وأردف نحضها * جرد المتون وسائر الآراب - (6)

* (هامش) * (1) متخمطون : مختلطون . (2) الايد : القوة .

(3) المعاطن : قال السهيلي : يعني منابت النخل عند الماء شبهها بمعاطن الابل وهي مباركها عند الماء .

وقوله : حم الجذوع : وصفها بالحمة وهي السواد لانها تضرب إلى السواد من الخضرة والنعمة ، وشبه

مايجتنى منها بالحلب فقال : غزيرة الاحلاب . الروض 2 / 204 .

(4) اللوب : جمع لوبة وهي الحرة ، وهي أرض ذات حجارة سود . واللوب أيضا : النحل ،

ويجوز أن يكون شبهها بالنحل في كثرتها . وجمها وحفيلها : أراد الكثير منها . والمنتاب : الزائر الملم .

(5) النزائع : الخيل التي تجلب إلى غيربلادها ، يريد أنهم استلبوها من الاعداء . والمقضاب : مزرعة

كما قال السهيلي ، وجزتها : مايجز منها للخيل .

(6) الشوى : القوائم . والنحض : اللحم . والآراب : المفاصل واحدها إرب . (*)

ـ 256 ـ

- قودا تراح إلى الصياح إذا غدت * فعل الضراء تراح للكلاب - (1)

- وتحوط سائمة الديار وتارة * تردى العدى وتؤوب بالاسلاب -

حوش الوحوش مطارة عندالوغى * عبس اللقاء مبينة الانجاب - (2)

- علفت على دعة فصارت بدنا * دخس البضيع خفيفة الاقصاب - (3)

- يغدون بالزغف المضاعف شكة * وبمترصات في الثقات صياب - (4)

- وصوارم نزع الصياقل علبها * وبكل أروع ماجد الانساب - (5)

يصل اليمين بمارن متقارب * وكلت وقيعته إلى خباب - (6)

وأغر أزرق في القناة كأنه * في طخية الظلماء ضوء شهاب - (7)

- وكتيبة ينفى القران قتيرها * وترد حد قواحز النشاب - (8)

جأوى ململمة كأن رماحها * في كل مجمعة صريمة غاب - (9)

- تأوى إلى ظل اللواء كأنه * في صعدة الخطى فئ عقاب - (10)

- أعيت أبا كرب وأعيت تبعا * وأبت بسالتها على الاعراب - (11) - ومواعظ من ربنا نهدى بها * بلسان أزهر طيب الاثواب -

* (هامش) * (1) القود : الطوال الاعناق . والضراء : الكلاب الضاربة . والكلاب : جمع كالب وهو صاحب

الكلاب الذي يصيد بها .

(2) الحوش : الوحشية ، وأصله من الابل الحوشية وهي التي يزعمون أن فحول نعم الجن قد ضربت فيها

ويسمونها الحوش . قال رؤبة : * جرت رحانا من بلاد الحوش *

والمطارة : المستخفة . والعبس : جمع عبوس .

(3) البضيع : اللحم المستطيل . والدخيس من اللحم : الكثير . والاقصاب : جمع قصب وهوالمعي

(4) الزغف : الدروع الواسعة . والشك : الخلق والنسج . و المترصات : المحكمة : ، يعني الرماح المثقفة .

والصياب : المصيبة . (5) علبها : خشونتها وتثلمها . (6) المارن : اللين . ووقيعته : صقله .

وخباب : اسم صيقل . (7) أغر أزرق : يريد الرمح . وطخية الظلماء : شدتها .

(8) القران النبل واجتماعه . والقتير رؤس مسامير الدرع . القواحز : قحز السهم إذا

رماه فوقع بين يديه . (9) الجأوى : التي يخالط غبرتها حمرة والململمة : المجتمعة .

(10) الصعدة : القنا المستوية . والخطى : الرماح المنسوبة إلى الخط ، موضع كانت تباع فيه .

والفئ : الظل (11) أبوكرب وتبع : من ملوك اليمن قبل الاسلام . (*)

- عرضت علينا فاشتهينا ذكرها * من بعد ماعرضت على الاحزاب -

- حكما يراها المجرمون برغمهم * حرجا ويفهمها ذوو الالباب -

- جاءت سخينة كي تغالب ربها * فليغلبن مغالب الغلاب !

قال ابن هشام : حدثني من أثق به ، حدثني عبدالملك بن يحيى بن عباد بن عبدالله

ابن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سمع منه هذا البيت : " لقد

شكرك الله ياكعب على قولك هذا " .

قلت : ومراده بسخينة قريش ، وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم

الطعام السخن الذي لايتهيأ لغيرهم غالبا من أهل البوادي . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضا :

- من سره ضرب يمعمع بعضه * بعضا كمعمعة الاباء المحرق - (1)

فليأت مأسدة تسن سيوفها * بين المذاد وبين جذع الخندق - (2)

دربوا بضرب المعلمين وأسلموا * مهجات أنفسهم لرب المشرق -

في عصبة نصرالاله نبيه * بهم وكان بعبده ذا مرفق -

- في كل سابغة تخط فضولها * كالنهى هبت ريحه المترقرق - (3)

بيضاء محكمة كأن قتيرها * حدق الجنادب ذات شك موثق - (4)

- جدلاء يحفزها نجاد مهند * صافي الحديدة صارم ذي رونق - (5)

* (هامش) * (1) المعمعة : صوت النار فيما عظم وكثف من القصباء . والاباء : القصب واحدتها إباءة . وفي الاصل :

الاناء وماأثبته عن ابن هشام . (2) المذاذ : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق .

(3) السابغة : الدرع الوافية . وفضولها : أطرافها . والنهي : الغدير . والمترقرق : صفة للنهي .

(4) القتير : رءوس مسامير الدرع . والجنادب : الجراد . والشك : النسخ .

(5) الجدلاء : الدرع القوية الفتل . ويحفرها : يرفعها ، وذلك أن الدرع إذا طالت فضولها ربطوها

بنجاد سيف . والنجاد : حمائل السيف . (*)

ـ 258ـ

- تلكم مع التقوى تكون لباسنا * يوم الهياج وكل ساعة مصدق -

- نصل السيوف إذا قصرن بخطونا * قدما ونلحقها إذا لم تلحق -

- فترى الجماجم ضاحيا هاماتها * بله الاكف كأنها لم تخلق -

- نلقي العدو بفخمة ملمومة * تنفى الجموع كقصد رأس المشرق -

- ونعد لاعداء كل مقلص * ورد ومحجول القوائم أبلق - (1)

- تردى بفرسان كأن كماتهم * عند الهياج أسود طل ملثق - (2)

- صدق يعاطون الكماة حتوفهم * تحت العماية بالوشيج المزهق - (3)

- أمر الاله بربطها لعدوة * في الحرب إن الله خير موفق -

لتكون غيظا للعدو وحيطا * للدار إن دلفت خيول النزق -

- ويعيننا الله العزيز بقوة * منه وصدق الصبر ساعة نلتقي -

ونطيع أمر نبينا ونجيبه * وإذا دعا لكريهة لم نسبق -

- ومتى ينادي للشدائد نأتها * ومتى نرى الحومات فيها نعنق -

- من يتبع قول النبي فإنه * فينا مطاع الامر حق مصدق -

- فبذاك ينصرنا ويظهر عزنا * ويصيبنا من نيل ذاك بمرفق -

- إن الذين يكذبون محمدا * كفروا وضلوا عن سبيل المتقي -

- قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضا :

- لقد علم الاحزاب حين تألبوا * علينا وراموا ديننا ما نوادع -

أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت * وخندف لم يدروا بما هو واقع - (4)

* (هامش) *

(1) المقلص : الفرس الخفيف .

(2) تردى : تسرع . والطل : المطر الضعيف . واللثق : مايكون عن الطل من زلق وطين ،

والاسد أجوع ماتكون وأجرأ في ذلك الحين .

(3) العماية : ظلمة الغبار . والوشيج : الرماح . والمزهق : القاتل .

(4) الاضاميم : واحدتها أضمامة ، وهوكل شئ مجتمع . وأصفقت : اجتمعت . (*)

يذودوننا عن ديننا ونذودهم * عن الكفر والرحمن راء وسامع -

- إذا غايظونا في مقام أعاننا * على غيظهم نصر من الله واسع -

- وذلك حفظ الله فينا وفضله * علينا ومن لم يحفظ الله ضائع -

- هدانا لدين الحق واختاره لنا * ولله فوق الصانعين صنائع - (1)

قال ابن هشام : وهذه الابيات في قصيدة له - يعني طويلة -

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في مقتل بني قريظة :

- لقد لقيت قريظة ماساءها * وما وجدت لذل من نصير -

- أصابهم بلاء كان فيه * سوى ماقد أصاب بني النضير -

- غداة أتاهم يهوى إليهم * رسول الله كالقمر المنير -

- له خيل مجنبة تعادى * بفرسان عليها كالصقور -

- تركناهم وما ظفروا بشئ * دماؤهم عليها كالعبير -

- فهم صرعى تحوم الطير فيهم * كذاك يدان ذو العند الفجور -

- فأنذر مثلها نصحا قريشا * من الرحمن إن قبلت نذيري -

- قال : وقال حسان بن ثابت أيضا في بني قريظة :

- تعاقد معشر نصروا قريشا * وليس لهم ببلدتهم نصير

- هم أوتوا الكتاب فضيعوه * وهم عمي من التوراة بور -

كفرتم بالقران وقد أتيتم * بتصديق الذي قال النذير -

- فهان على سراة بني لؤي * حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبوسفيان بن الحارث بن ع بدالمطلب فقال : - أدام الله ذلك من صنيع * وحرق في طوائفها السعير -

* (هامش) * (1) الاصل : صانع . ومأأثبته عن ابن هشام . (*) .

ـ 260 ـ

- ستعلم أينا منها بنزه * وتعلم أي أرضينا تضير - (1)

- فلو كان النخيل بها ركابا * لقالوا لا مقام لكم فسيروا -

قلت : وهذا قاله أبوسفيان بن الحارث قبل أن يسلم ، وقد تقدم في صحيح البخاري

بعض هذه الابيات .

وذكر ابن إسحاق جواب حسان في ذلك لجبل بن جوال الثعلبي تركناه قصدا .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يبكي سعدا وجماعة ممن استشهد

يوم بني قريظة :

- ألا يالقومي هل لما حم دافع * وهل مامضى من صالح العيش راجع -

- تذكرت عصرا قد مضى فتهافتت * بنات الحشا وانهل مني المدامع -

صبابة وجد ذكرتني إخوة * وقتلى مضى فيها طفيل ورافع -

وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت * منازلهم فالارض منهم بلاقع - (2)

- وفوا يوم بد ر للرسول وفوقهم * ظلال المنايا والسيوف اللوامع -

- دعا فأجابوه بحق وكلهم * مطيع له في كل أمر وسامع -

فما نكلوا حتى توالوا جماعة * ولا يقطع الآجال إلا المصارع -

- لانهم يرجون منه شفاعة * إذا لم يكن إلا النبيون شافع -

- فذلك ياخير العباد بلاؤنا * إجابتنا لله والموت نافع -

- لنا القدم الاولى إليك وخلفنا * لاولنا في ملة الله تابع -

- ونعلم أن الملك لله وحده * وأن قضاء الله لا بد واقع -

* (هامش) * (1) النزه : العبد . وتضير : تضير . (2) البلاقع : المقفرة . (*)

ـ 261ـ

مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي لعنه الله

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 261 سطر 1 الى ص 270 سطر 18

مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي لعنه الله

في قصر له في أرض خيبر ، وكان تاجرا مشهورا بأرض الحجاز

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة ، وكان سلام بن أبي

الحقيق ، وهو أبورافع ، فيمن حزب الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وكانت الاوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الاشرف فاستأذن الخزرج رسول الله

صلى الله عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبدالله بن كعب بن مالك ،

قال : وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحيين من الانصار :

الاوس والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ،

لاتصنع الاوس شيئا فيه غناء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقالت الخزرج :

والله لايذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا ينتهون حتى

يوقعوا مثلها . وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الاوس مثل ذلك .

قال : ولما أصابت الاوس كعب بن الاشرف في عداوته لرسول الله صلى الله

عليه وسلم قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا

قال : فتذاكروا من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العدواة كابن

الاشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر ، فاستأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم

في قتله فأذن لهم .

فخرج من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر : عبدالله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ،

وعبدالله بن أنيس ، وأبوقتادة الحارث بن ربعي ، وخزاعي بن أسود حليف لهم من

أسلم ، فخرجوا وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عتيك ، ونهاهم أن

يقتلوا وليدا أو امرأة .

فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلا ، فلم يدعوا بيتا في

الدار حتى أغلقوه على أهله . قال : وكان في علية له إليها عجلة (1) قال : فأسندوا إليها -

حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أناس

من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . فلما دخلنا أغلقنا علينا -

وعليه الحجرة تخوفا أن يكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته

فنوهت بنا ، فابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ، فو الله مايدلنا عليه في سواد الليل

إلا بياضه كأنه قبطية (2) ملقاة . قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع

عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده ، ولولا ذلك

لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبدالله بن أنيس بسيفه في بطنه

حتى أنفذه وهو يقول : قطني قطني . أي حسبي حسبي .

قال : وخرجنا وكان عبدالله بن عتيك سيئ البصر ، قال : فوقع من الدرجة

فوثئت يده وثئا شديدا (3) ، وحملناه حتى نأتي به منهرا من عيونهم فندخل فيه .

فأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبوننا ، حتى إذا يئسوا رجعوا إليه فاكتنفوه

وهو يقضى .

قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا :

أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس قال : فوجدتها - يعني امرأته -

* (هامش) * (1) العلية : الغرفة : والعجلة : الدرج من النخل .

(2) القبطية : ثياب بيض كانت تصنع بمصر .

(3) . وثئت : فكت ، أو أصابها وجع بلا كسر . وفي الاصل : وثبت . ومأأثبته عن ابن هشام . (*)

ـ 263 ـ

ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول : أما والله

قد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت : أنى ابن عيتك بهذه البلاد !

ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه فقالت : فاظ (1) وإله يهود . فما سمعت كلمة كانت ألذ

على نفسي منها .

قال : ثم جاءنا فأخبرنا فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول لله صلى الله عليه وسلم

فأخبرناه بقتل عدوالله ، واختلفنا عنده في قتله كلنا يدعيه . قال : فقال : هاتوا

أسيافكم . فجئنا بها فنظر إليها ، فقال لسيف عبدالله بن أنيس : هذا قتله ، أرى

فيه أثر الطعام .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

- لله در عصابة لاقيتهم * باابن الحقيق وأنت يابن الاشرف -

- يسرون بالبيض الخفاف إليكم * مرحا كأسد في عرين مغرف - (2)

- حتى أتوكم في محل بلادكم * فسقوكم حتفا ببيض ذفف -

- مستبصرين لنصر دين نبيهم * مستصغرين لكل أمر مجحف -

هكذا أورد هذه القصة الامام محمد بن إسحاق رحمه الله .

وقد قال أ بوعبدالله البخاري : حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا يحيى بن

آدم ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم رهطا إلى أبي رافع فدخل عليه عبدالله بن عتيك بيته

ليلا وهو نائم فقتله .

قال البخاري : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبدالله بن موسى ، عن

* (هامش) * (1) فاظ : مات . (2) مغرف : ذو شجر كثير ملتف . (*)

ـ 264 ـ

إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي

رافع اليهودي رجالا من الانصار وأمر عليهم عبدالله بن عتيك ، وكان أبورافع يؤذي

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا

منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبدالله : اجلسوا مكانكم فإني

منطلق متلطف للبواب لعلي أن أدخل . فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه

يقضي حاجته وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : ياعبدالله إن كنت تريد أن تدخل

فادخل فإني أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق

الاغاليق على ود (1) قال : فقمت إلى الاقاليد وأخذتها وفتحت الباب ، وكان أبورافع

يسمر عنده وكان في علالي له : فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه ، فجعلت كلما

فتحت بابا أغلقت علي من داخل ، فقلت : إن القوم نذروا بي (2) لم يخصلوا إلي حتى

أقتله . فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت

قلت : أبا رافع . قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة

وأنا دهش ، فما أغنيت شيئا ، وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ، ثم دخلت

إليه فقلت : ماهذا الصوت ياأبا رافع ؟ فقال : لامك الويل إن رجلا في البيت ـ ضربني (4) ـ

قبل بالسيف . قال : فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ، ثم وضعت صبيب (3) السيف في بطنه

حتى أخذ في ظهره ، فعرفت أني قتلته ، فجعلت أفتح الابواب بابا بابا حتى انتهيت إلى

درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أنى قد انتهيت ، فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت

ساقي فعصبتها بعمامة حتى انطلقت حتى جلست على الباب فقلت : لا أخرج الليلة حتى

أعلم أقتلته . فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال : أنعى أبا رافع ناصر أهل

* (هامش) * (1) الود : الوتد ، أدغم التاء بعد قلبها دالا .

(2) نذروا : علموا . وفي الاصل : سدروا لي . ومأأثبته عن صحيح البخاري 2 / 214 .

(3) الصبيب : طرف السيف . (4) من صحيح البخاري 2 / 125 . (*)

ـ 265 ـ

الحجاز . فانطلقت إلى أصحابي فقلت : النجاء فقد قتل الله أبا رافع . فانتهيت إلى النبي

صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال : ابسط رجلك . فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم

أشتكها قط .

قال البخاري : حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الاودي ، حدثنا شريح ، حدثنا

إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق سمعت البراء ، قال : بعث رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع عبدالله بن عتيك وعبدالله بن عتبة في ناس معهم ،

فانطلقوا حتى دنوا من الحصن ، فقال لهم عبدالله بن عتيك : امكثوا أنتم حتى أنطلق

أنا فأنظر . قال : فتلطفت حتى أدخل الحصن ، ففقدوا حمارا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه .

قال : فخشيت أن أعرف قال : فغطيت رأسي وجلست كأني أقضي حاجة فقال (1) :

من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه . فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند

باب الحصن ، فتعشوا عند أبي رافع وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل ، ثم رجعوا

إلى بيوتهم .

فلما هدأت الاصوات ولاأسمع حركة خرجت . قال : ورأيت صاحب

الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوة ، فأخذته . ففتحت به باب الحصن

قا ل قلت : إن نذر بي القوم انطلقت على مهل . ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم فغلقتها

عليهم من ظاهر .

ثم صعدت إلى أبي رافع في سلم فإذا البيت مظلم قد طفئ سراجه ، فلم أدر أين

الرجل فقلت : ياأبا رافع . قال : من هذا ؟ فعمدت نحو الصوت فأضربه ، وصاح فلم

تغن شيئا . قال : ثم جئته كأني أغيثه فقلت : مالك يا أبا رافع . وغيرت صوتي قال :

لا أعجبك (2) لامك الويل ! دخل علي رجل فضربني بالسيف . قال : فعمدت إليه

* (هامش) * (1) البخاري : فنادى صاحب الباب . (2) البخاري : ألا أعجبك . (*)

ـ 266 ـ

أيضا فأضربه أخرى فلم تغن شيئا ، فصاح وقام أهله . ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة

المغيث فإذا هو مستلق على ظهره فأضع السيف في بطنه ثم أنكفئ عليه حتى سمعت

صوت العظم ، ثم خرجت دهشا حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فأسقط منه ، فانخلعت

رجلي فعصبتها ، ثم أتيت أصحابي أحجل . فقلت : انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله

عليه وسلم فإني لا أبرح حتى أسمع الناعية . فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال :

أنعى أبا رافع . قال : فقمت أمشي مابي قلبة (1) فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول

الله صلى الله عليه وسلم فبشرته .

تفرد به البخاري بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة . ثم قال : قال

الزهري : قال أبي بن كعب : فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر

فقال : أفلحت الوجوه . قالوا : أفلح وجهك يارسول الله . قال : أفتكتموه ؟ قالوا :

نعم . قال : ناولني السيف . فسله فقال : أجل هذا طعامه في ذباب السيف .

قلت يحتمل أن عبدالله بن عتيك لما سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه

وانكسرت ساقه ووثئت (2) رجله ، فلما عصبها استكن مابه لما هو فيه من الامر

الباهر ، ولما أراد المشي أعين على ذلك لماهو فيه من الجهاد النافع ، ثم لما وصل إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقرت نفسه ثاوره الوجع في رجله ، فلمابسط رجله

ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب ماكان بها من بأس في الماضي ولم يبق بها

وجع يتوقع حصوله في المستقبل ، جمعا بين هذه الرواية والتي تقدمت . والله أعلم .

هذا ، وقد ذكر موسى بن عقبة في مغازيه مثل سياق محمد بن إسحاق ، وسمى الجماعة

الذين ذهبوا إليه كما ذكره ابن إسحاق وإبراهيم وأبوعبيد .

* (هامش) * (1) القلبة : العلة والداء . (2) الاصل : وثبت وهو تحريف . (*)

ـ 267 ـ

مقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي

ذكره الحافظ البيهقي في الدلائل تلو مقتل أبي رافع .

قال الامام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني محمد بن

جعفر بن الزبير ، عن ابن عبدالله بن أنيس ، عن أبيه قال : دعاني رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال : إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني

وهو بعرنة ، فائته فاقتله . قال : قلت يارسول الله انعته لي حتى أعرفه . قال : إذا رأيته

وجدت له قشعريرة .

قال : فخرجت متوشحا سيفي حتى وقعت عليه وهو بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلا

وحين كاتن وقت العصر ، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من

القشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن يكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصلاة ،

فصليت وأنا أمشي نحوه ، أومئ برأسي للركوع والسجود ، فلما انتهيت إليه قال : من

الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك . قال :

أجل أنا في ذلك . قال : فمشيت معه شيئا حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلته ،

ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه .

فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني قال : أفلح الوجه . قال : قلت :

قتلته يارسول الله . قال : صدقت . قال : ثم قام معي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل في

بيته فأعطاني عصا فقال : أمسك هذه عندك ياعبدالله بن أنيس . قال : فخرجت بها

على الناس فقالوا : ماهذه العصا ؟ قال : قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأمرني أن أمسكها . قالوا : أو لاترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله عن

ذلك . قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله لم أعطيتني

هذه العصا ؟ قال : آية بيني وبينك يوم القيامة إن أقل الناس المتخصرون (1) يومئذ .

قال : فقرنها عبدالله بسيفه ، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضمت في كفنه

ثم دفنا جميعا .

ثم رواه الامام أحمد عن يحيى بن آدم ، عن عبدالله بن إدريس ، عن محمد بن

إسحاق ، عن محمد بن جعفربن الزبير ، عن بعض ولد عبدالله بن أنيس ، أو قال : عن

عبدالله بن عبدالله بن أنيس ، عن عبدالله بن أنيس فذكر نحوه .

وهكذارواه أبوداود ، عن أبي معمر ، عن ع بدالوارث ، عن محمد بن إسحاق ،

عن محمد بن جعفر ، عن عبدالله بن أنيس ، عن أبيه . فذكر نحوه . ورواه الحافظ البيهقي

من طريق محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبدالله

ابن عبدالله بن أنيس ، عن أبيه . فذكره .

وقد ذكر قصته عروة بن الزبير وموسى بن عقبة في مغازيهما مرسلة . . فالله أعلم .

قال ابن هشام : وقال عبدالله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان :

- تركت ابن ثور كالحوار وحوله * نوائخ تفرى كل جيب مقدد (2)

تناولته والظعن خلفي وخلفه * بأبيض من ماء الحديد المهند -

- عجوم لهام الدارعين كأنه * شهاب غضي من مهلب متوقد - (3)

- أقول له والسيف يعجم رأسه * أنا ابن أنيس فارس غير قعدد

- أنا ابن الذي لم ينزل الدهر قدره * رحيب فناء الدار غير مزند (4)

- وقلت له خذها بضربة ماجد * خفيف على دين النبي محمد -

وكنت إذا هم النبي بكافر * سبقت إليه باللسان وباليد -

* (هامش) * (1) المتحضرون : المتكئون على المخاصر ، * جمع مخصرة ، وهي مايمسكه الانسان بيده من عصا ونحوها .

(2) الحوار : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه . وتفرى : تقطع .

(3) عجوم : مختبر . والقعدد : الجبان . (4) المزند : البخيل الضيق . (*)

قلت : عبدالله بن أنيس بن حرام أبويحيى الجهني صحابي مشهور كبير القدر ،

كان فيمن شهد العقبة ، وشهد أحدا والخندق وما بعد ذلك ، وتأخر موته بالشام إلى

سنة ثمانين على المشهور . وقيل توفى سنة أربع وخمسين . والله أعلم .

وقد فرق على بن الزبير وخليفة بن خياط بينه وبين عبدالله بن أنيس أبي عيسى

الانصاري ، الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا يوم أحد بإداوة فيها ماء

فحل فمها وشرب منها ، كما رواه أبوداود والترمذي من طريق عبدالله العمري ، عن

عيسى بن عبدالله بن أنيس عن أبيه . ثم قال الترمذي : وليس إسناده يصح ، . وعبدالله

العمري (1) ضعيف من قبل حفظة .

* (هامش) * (1) هو عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، العمري . وهو ضعيف غلب عليه

الصلاح فلم يحفظ وكثرالخطأ في روايته . اللباب 2 / 153 . (*)

ـ 270 ـ

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي بعد وقعة الخندق

وإسلامه

قال محمد بن إسحاق بعد مقتل أبي رافع .

وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أوس الثقفي ، عن حبيب

ابن أوس ، حدثني عمرو بن العاص من فيه قال : لما انصرفنا يوم الاحزاب عن

الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون

والله أني أرى أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا ، وإني لقد رأيت أمرا فماترون فيه ؟

قالوا : ومارأيت ؟

قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهرمحمد على قومنا كنا عند

النجاشي ، فإنا إن نكن تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن

ظهرقومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير .

قالوا : إن هذا لرأي . قلت : فاجمعوا لنا مانهدى له . فكان (1) أحب مايهدى

إليه من أرضنا الادم (2) ، فجمعنا له أدما كثيرا .

ثم خرجنا حتى قدمنا عليه . فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه .

قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لاصحابي : هذا عمرو بن أمية ،

* (هامش) * (1) ابن هشام : وكان . (2) الادم : الجلد أو أحمره ، أو المصبوغ منه . (*)

لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت رأت قريش

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 271 سطر 1 الى ص 280 سطر 21

لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت رأت قريش

أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد .

قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصبغ . فقال : مرحبا بصديقي ، هل

أهديت لي من بلادك شيئا ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت لك أدما كثيرا .

قال : ثم قربته فأعجبه واشتهاه . ثم قلت له : أيها الملك إني قد رأيت رجلا خرج من

عندك وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطينه لاقتله ، فإنه قد أصاب من

أشرافنا وخيارنا .

قال : فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت

الارض لدخلت فيها فرقا !

ثم قلت : أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ماسألتكه .

قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذي كان يأتي

موسى فتقتله ؟

قال : قلت : أيها الملك أكذاك هو ؟ قال : ويحك ياعمرو أطعني واتبعه ، فإنه

والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده .

قال : قلت : أفتبايعني له على الاسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعته

على الاسلام .

ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي ،

ثم خرجت عامدا إلى رسول الله صلى عليه وسلم لاسلم ، فلقيت خالد بن الوليد وذلك

قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة فقلت : أين أبا سليمان ؟ فقال : والله لقد استقام الميسم (1)

* (هامش) * (1) الميسم : المكواة . وهو أثرالحسن أيضا . ورواية أبي ذر : في شرح السيرة : المنسم بالنون .

قال : ومعناه : تبين الطريق ووضح " . (*)

ـ 272ـ

وإن الرجل لنبي ، أذهب والله أسلم فحتى متى ! قال : قلت : والله ماجئت

إلا لاسلم .

قال : فقدمنا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ،

ثم دنوت فقلت : يارسول الله إني أبايعك على أن تغفر لي ماتقدم من ذنبي ، ولا

أذكر ماتأخر .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعمرو بايع فإن الاسلام يجب ماكان

قبله ، وإن الهجرة تجب ماكان قبلها .

قال : فبايعته ثم انصرفت .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما ،

أسلم حين أسلما ، فقال عبدالله بن أبي الزبعري السهمي :

- أنشد عثمان بن طلحة خلفنا * وملقى نعال القوم عند المقبل - (1)

وماعقد الآباء من كل حلفة * وماخالد من مثلها بمحلل -

- أمفتاح بيت غير بيتك تبتغي * وماتبتغي من بيت مجد مؤثل - (2)

- فلا تأمنن خالدا بعد هذه * وعثمان جاءا بالدهيم المعضل (3)

قلت : كان إسلامهم بعد الحديبية ، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذفي خيل

المشركين كما سيأتي بيانه ، فكان ذكر هذا الفصل في إسلامهم بعد ذلك أنسب ،

ولكن ذكرنا ذلك تبعا للامام محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى ، لان أول ذهاب عمرو

ابن العاص إلى النجاشي كان بعد وقعة الخندق ، ـ و ـ الظاهر أنه ذهب بقية سنة خمس

والله أعلم .

* (هامش) * (1) خلفنا : كذا بالاصل ، ولعلها : حلفنا . (2) ابن هشام : من مجد بيت مؤثل .

(3) الدهيم : الداهية . (*)

فصل

في تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بنت أبي سفيان

ذكر البيهقي بعد وقعة الخندق من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في

قوله تعالى : " عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة " قال : هو

تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بنت أبي سفيان ، فصارت أم المؤمنين وصار

معاوية خال المؤمنين .

ثم قال البيهقي : أنبأنا أ بوعبدالله الحافظ ، حدثنا أحمد بن نجدة ، حدثنا يحيى

ابن عبدالحميد ، أنبأنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن أم حبيبة

أنها كانت عند عبيد الله بن جحش ، وكان رحل إلى النجاشي فمات ، وإن رسول

الله صلى الله عليه وسلم تزوج بأم حبيبة وهي بأرض الحبشة وزوجها إياه النجاشي

ومهرها أربعة آلاف درهم ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهزها من عنده

ومابعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ . قال : وكان مهور أزواج النبي صلى الله

عليه وسلم أربعمائة .

قلت : والصحيح أن مهور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كانت ثنتى عشرة أوقية

ونشأ ، والوقية أربعون درهما ، والنش النصف . وذلك يعدل خمسمائة درهم .

ثم روى البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الاسود ، عن عروة أن عبيد الله بن

جحش مات بالحبشة نصرانيا ، فخلف على زوجته أم حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

زوجها منه عثمان بن عفان رضى الله عنه .

قلت : أما تنصر عبيد الله بن جحش فقد تقدم بيانه ، وذلك على أثر ماهاجر مع

المسلمين إلى أرض الحبشة استزله الشيطان فزين له دين النصارى فصار إليه حتى مات ،

عليه لعنة الله . وكان يعير المسلمين فيقول لهم : أبصرنا وصأصأتم . وقد تقدم شرح ذلك في

هجرة الحبشة (1) .

وأما قول عروة : إن عثمان زوجها منه . فغريب ، لان عثمان كان قد رجع إلى مكة

قبل ذلك ، ثم هاجر إلى المدينة وصحبته زوجته رقية كما تقدم . والله أعلم .

والصحيح ماذكره يونس ، عن محمد بن إسحاق قال : بلغني أن الذي ولى نكاحها

ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص .

قلت : وكان وكيل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبول العقد أصحمة النجاشي

ملك الحبشة ، كماقال يونس عن محمد بن إسحاق ، حدثني أبوجعفر محمد بن علي بن

الحسين ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي

فزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وساق عنه أربعمائة دينار .

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الحسن ، عن أبيه ، عن عبدالله بن عمرو بن

زهير ، عن إسماعيل بن عمرو ، أن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت : ماشعرت وأنا

بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي ، جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه

فاستأذنت علي فأذنت لها ، فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله صلى الله عليه

وسلم كتب إلي أن أوزجكه . فقلت : بشرك الله بالخير . وقالت : يقول لك الملك :

وكلي من يزوجك .

قالت : فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته ، وأعطيت أبرهة سوارين

* (هامش) * (1) تقدم ذلك في الجزء الثاني . (*)

من فضة وخذمتين (1) من فضة كانتا علي وخواتيم من فضة في كل أصابع رجلي ،

سرورا بما بشرتني به .

فلما أن كان من العشى أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من

المسلمين أن يحضروا ، وخطب النجاشي وقال : الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار ،

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم . أما بعد

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى

ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصدقها أربعمائة دينار . ثم سكب الدنانير

بين يدي القوم .

فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحمده وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

المشركون ، أما بعد ، فقد أجبت إلى مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته

أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا فقال :

اجلسوا فإن من سنة الانبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج . فدعا بطعام

فأكلوا ثم تفرقوا .

قلت : فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجا من عند النجاشي بعد

الخندق إنما كان في قضية أم حبيبة . فالله أعلم .

لكن قال الحافظ البيهقي : ذكر أ بوعبدالله بن مندة أن تزويجه عليه السلام بأم

حبيبة كان في سنة ست ، وأن تزويجه بأم سلمة كان في سنة أربع .

* (هامش) * (1) الخذمة في الاصل : سمة للابل . (*)

قلت : وكذا قال خليفة وأبو عبيد الله معمر بن المثنى وابن البرقي ، وأن تزويج

أم حبيبة كان في سنة ست . وقال بعض الناس : سنة سبع . قال البيهقي : هو أشبه .

قلت : قد تقدم تزويجه عليه السلام بأم سلمة في أواخر سنة أربع ، وأما أم حبيبة

فيحتمل أن يكون قبل ذلك ، ويحتمل أن يكون بعده ، وكونه بعد الخندق أشبه ، لما

تقدم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشي ، فهو في قضيتها

والله أعلم .

وقد حكى الحافظ ابن الاثير في الغابة عن قتادة ، أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة

إلى المدينة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها .

وحكى عن بعضهم أنه تزوجها بعد إسلام أبيها بعد فتح ، واحتج هذا القائل بما

رواه مسلم من طريق عكرمة بن عمار اليماني عن أبي زميل سماك بن الوليد ، عن ابن

عباس أن أبا سفيان قال : يارسول الله ثلا ث أعطنيهن . قال : نعم . قال : تؤمرني علي أن

أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : نعم قال : ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك .

قال : نعم . قال : وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها .

الحديث بتمامه .

قال ابن الاثير : وهذا الحديث مما أنكر على مسلم ، لان أبا سفيان لما جاء يجدد

العقد قبل الفتح دخل على ابنته أم حبيبة فثنت عنه فراش النبي صلى الله عليه وسلم

فقال : والله ماأدري أرغبت بي عنه أو به عني ؟ قالت : بل هذا فراش رسول الله صلى

الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك . فقال : والله لقد أصابك بعدي يابنية شر . وقال ابن

حزم : هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار ، وهذا القول منه لايتابع عليه .

وقال آخرون : أراد أن يجدد العقد لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه . وقال

بعضهم : لانه اعتقد انفساخ نكاح ابنته بإسلامه .

ـ 277 ـ

وهذه كلها ضعيفة ، والاحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الاخرى عمرة لما

رأى في ذلك من الشرف له واستعان بأختها أم حبيبة كما في الصحيحين . وإنما وهم

الراوي في تسميته أم حبيبة وقد أوردنا لذلك خبرا مفردا .

قال ابوعبيد القاسم بن سلام : توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين . وقال أبو

بكر بن أبي خيثمة : توفيت قبل معاوية بسنة . وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين .

تزويجه عليه السلام بزينب بنت جحش

ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة

الاسدية أم المؤمنين . وهي بنت أميمة بنت ع بدالمطلب عمة رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه .

قال قتادة والواقدي وبعض أهل المدينة : تزوجها عليه السلام سنة خمس ، زاد بعضهم

في ذي القعدة . قال الحافظ البيهقي : تزوجها بعد بني قريظة . وقال خليفة بن خياط وأبو

عبيدة معمر بن المثنى وابن منده : تزوجها سنة ثلاث . والاول أشهر وهو الذي سلكه

ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ في سبب تزويجه إياها عليه

السلام حديثا ذكره أحمد بن حنبل في مسنده تركنا إيراده قصدا لئلا يضعه من لا يفهم

على غير موضعه .

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : " واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه

امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله أحق

أن تخشاه ، فلما قضى زيدا منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج

في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا . ماكان على

النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا

مقدورا " (1) .

وقد تكلمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية .

فالمراد بالذي أنعم الله عليه هاهنا زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

أنعم الله عليه بالاسلام ، وأنعم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعتق وزوجه بابنة

عمه زينب بنت جحش .

قال مقاتل بن حبان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا وملحفة

ودرعا وخمسين مدا وعشرة أمداد من تمر ، فمكثت عنده قريبا من سنة أو فوقها ، ثم

وقع بينهما فجاء زوجها يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم

يقول له : اتق الله وأمسك عليك زوجك .

قال الله : " وتخفي في نفسك ماالله مبديه " قال على بن الحسين زين العابدين والسدى :

كان ـ رسول ـ الله قد علم أنها ستكون من أزواجه ، فهو الذي كان في نفسه عليه السلام .

وقد تكلم كثير من السلف هاهنا بآثار غريبة ، وبعضها فيه نظر تركناها .

قال الله تعالى : " فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها " ذلك أن زيدا طلقها ، فلما

انقضت عدتها بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبها إلى نفسها ثم تزوجها ،

وكان الذي زوجها منه رب العالمين تبارك وتعالى ، كما ثبت في صحيح البخاري عن أنس

ابن مالك ، أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول :

زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات .

وفي رواية من طريق عيسى بن طهمان عن أنس ، قال : كانت زينب تفخر على

* (هامش) * (1) سورة الاحزاب : 37 ، 38 . (*)

ـ 279 ـ

نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : أنكحني الله من السماء وفيها أنزلت آية الحجاب

" ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير

ناظرين إناه " الآية .

وروى البيهقي من حديث حماد ، بن زيد عن ثابت ، عن أنس ، قال : جاء زيد يشكو

زينب ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك .

قال أنس : فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا لكتم هذه ، فكانت

تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : زوجكن أهليكن وزوجني الله من

فوق سبع سماوات . ثم قال : رواه البخاري عن أحمد ، عن محمد بن أبي بكر المقدمي ،

عن حماد بن زيد .

ثم روى البيهقي من طريق عفان ، عن حماد بن زيد ، عن ثابت عن أنس ، قال : جاء

زيد يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش ، فقال النبي صلى الله

عليه وسلم : أمسك عليك أهلك . فنزلت : " وتخفي في نفسك ماالله مبديه " .

ثم قال : ـ رواه ـ البخاري : عن محمد بن عبدالرحيم ، عن معلى بن منصور ، عن محمد

مختصرا . وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير عن مغيرة ، عن الشعبي قال :

كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم : إني لادل عليك بثلاث ، مامن نسائك امرأة

تدل بهن ، أن جدي وجدك واحد ، تعني عبد المطلب ، فإنه أبوأبي النبي صلى الله عليه

وسلم وأبوأمها أميمة بنت عبد المطلب ، وأني أنكحنيك الله عزوجل من السماء ، وأن

السفير جبريل عليه السلام .

وقال الامام أحمد : حدثنا هاشم - يعني ابن القاسم - حدثنا النضر ، حدثنا سليمان

ابن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال النبي صلى الله عليه

وسلم لزيد : اذهب فاذكرها علي . فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها ، قال : فلما رأيتها

عظمت في صدري حتى ماأستطيع أن أنظرإليها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكرها ، فوليتها ظهري ونكصت على عقبى . وقلت : يازينب أبشري ، أرسلني

رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك . قالت : ماأنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي عزوجل

ثم قامت إلى مسجدها ونزل القرآن ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها

بغير إذن . قال أنس : ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا

عليها الخبز واللحم ، فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج

رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن :

يارسول الله كيف وجدت أهلك ؟ فما أدرى أنا أخبرته والقوم قد خرجوا أو أخبر .

قال : فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه ، فألقى الستر بيني وبينه ، ونزل

الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به " لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم " الآية .

وكذا رواه مسلم والنسائي من طريق سليمان بن المغيرة .

ذكر نزول الحجاب صبيحة عرسها

الذي ولى الله عقد نكاحه

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولاخواتها من أمهات المؤمنين ،

وذلك وفق الرأي العمري .

قال البخاري : حدثنا محمد بن عبدالله الرقاش ، حدثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي

حدثنا أبومجلز ، عن أنس بن مالك ، قال : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب

بنت جحش دعا القوم فطعموا وجلسوا يتحدثون ، فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلما

رأى ذلك قام ، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر ، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل

فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقوا ، فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم

ـ 281ـ

قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله تعالى

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 281 سطر 1 الى ص 290 سطر 22

قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله تعالى

" ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي " الآية .

وقد رواه البخاري في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر . ثم رواه

البخاري منفردا به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس نحوه .

وقال البخاري : حدثنا أبومعمر ، حدثنا ع بدالوارث ، حدثنا عبدالعزيز بن صهيب ،

عن أنس بن مالك قال : بنى على النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بخبز ولحم ،

فأرسلت على الطعام داعيا ، فيجئ قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجئ قوم فيأكلون

ويخرجون ، فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه ، فقلت : يانبي الله ماأجد أحدا أدعوه

قال : ارفعوا طعامكم ، وبقى ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي صلى الله عليه

وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته . قالت

وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، كيف وجدت أهلك بارك الله لك ! فتقرى حجر

نسائه كلهن ويقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبي صلى الله

عليه وسلم فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد

الحياء ، فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبرأن القوم خرجوا ، فخرج

حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت

آية الحجاب .

تفرد به البخاري من هذا الوجه ، ثم رواه منفردا به أيضا عن إسحاق ؟ ؟

نصر ، عن عبدالله بن بكير السهمي ، عن حميد بن أنس بنحو ذلك ، وقال رجلان ،

بدل ثلاثة ، فالله أعلم .

قال البخاري : وقال إبراهيم بن طهمان ، عن الجعد أبي عثمان ، عن أنس

فذكر نحوه .

ـ 282ـ

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبوالمظفر ، حدثنا جعفر بن سليمان ،

عن الجعد أبي عثمان اليشكري : ، عن أنس بن مالك ، قال : أعرس رسول الله صلى الله

عليه وسلم ببعض نسائه ، فصنعت أم سليم حيسا ثم حطته في تور فقالت : اذهب إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أن هذا منا له قليل . قال أنس : والناس يومئذ في جهد ،

فجئت به فقلت : يارسول الله بعثت بهذا أم سليم إليك وهي تقرئك السلام وتقول : إن

هذا منا له قليل فنظر إليه ثم قال : ضعه في ناحية البيت . ثم قال : اذهب فادع لي فلانا

وفلانا . فسمى رجالا كثيرا قال : ومن لقيت من المسلمين . فدعوت من قال لي ومن لقيت

من المسلمين . فجئت والبيت والصفة والحجرة ملاء من الناس . فقلت : ياأبا عثمان كم كانوا ؟

قال : كانوا زهاء ثلاثمائة .

قال أنس : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : جئ . فجئت به إليه فوضع يده

عليه ودعا وقال ماشاء الله . ثم قال : ليتحلق عشرة عشرة ويسموا ، وليأكل كل إنسان

مما يليه . فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلواكلهم ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه

وسلم : ارفعه . قال : فجئت فأخذت التور فنظرت فيه ، فلا أدري أهو حين وضعته أكثر

أم حين رفعته !

قال : وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج رسول

الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط ، فأطالوا الحديث

فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أشد الناس حياء ، ولو علموا كان ذلك

عليهم عزيزا . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على حجره وعلى نسائه ، فلما رأوه

قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه

وسلم حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة ، فمكث رسول الله صلى الله عليه

وسلم في بيته يسيرا وأنزل الله القرآن ، فخرج وهو يقرأ الآية : " ياأيها الذين آمنوا

لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم

فادخلوا فإذا طعتمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيى

منكم والله لا يستحي من الحق ، وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم

أطهر لقلوبكم وقلوبهن ، وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولاأن تنكحوا أزواجه من

بعده أبداإن ذلكم كان عند الله عظيما . إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل

شئ عليما (1) " .

قال أنس : فقرأهن علي قبل الناس وأنا أحدث الناس بهن عهدا .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة ، عن جعفر بن سليمان ، عن الجعد

أبي عثمان به . وقال الترمذي : حسن صحيح . ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع ، عن

عبدالرزاق ، عن معمر ، عن الجعد أبي عثمان به .

وقد روى هذا الحديث البخاري والترمذي والنسائي من طرق ، عن أبي بشر

الاحمسي الكوفي ، عن أنس بنحوه . ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي نضرة العبدي

عن أنس بنحوه ، ولم يخرجوه . ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث

الزهري عن أنس نحو ذلك .

قلت : كانت زينب بنت جحش رضى الله عنها من ا لمهاجرات الاول ، وكانت

كثيرة الخير والصدقة ، وكان اسمها أولا برة فسماها النبي صلى الله عليه وسلم زينب ،

وكانت تكنى بأم الحكم .

قالت عائشة رضى الله عنها : مارأيت امرأة قط خيرا في الدين من زينب وأتقى لله

وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة .

* (هامش) * (1) سورة الاحزاب الآيتان : 53 ، 54 . (*)

ـ 284ـ

وثبت في الصحيحين كماسيأتي في حديث الافك عن عائشة أنها قالت : وسأل

رسول الله صلى الله عليه وسلم عني زينب بنت جحش وهي التي كانت تساميني من نساء

النبي صلى الله عليه وسلم ، فعصمها الله بالورع فقالت : يارسول الله أحمى سمعي وبصري ،

ماعلمت إلا خيرا .

وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثنا محمود بن عيلان ، حدثنا الفضل بن

موسى الشيباني ، حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا . قالت : فكنا نتطاول

أينا أطول يدا . قالت : فكانت زينب أطولنا يدا ، لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق .

انفرد به مسلم .

قال الواقدي وغيره من أهل السير والمغازي والتواريخ : توفيت سنة عشرين من

الهجرة ، وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ودفنت بالبقيع

وهي أول امرأة صنع لها النعش .

سنة ست من الهجرة النبوية

قال البيهقي : كان يقال : في المحرم منها سرية محمد بن مسلمة قبل نجد ، وأسروا فيها

ثمامة بن أثال اليمامي .

قلت : لكن في سياق ابن إسحاق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ، أنه شهد

ذلك . وهو إنما هاجر بعد خيبر فيؤخر إلى مابعدها . والله أعلم .

وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني لحيان على الصحيح .

قال ابن إسحاق : وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجة ، وولى

تلك الحجة المشركون ، يعني في سنة خمس . كما تقدم .

قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرا وشهري

ربيع ، وخرج في جمادي الاولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان يطلب

بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة . قال

ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

والمقصود أنه عليه السلام لما انتهى إلى منازلهم هربوا من بين يديه ، فتحصنوا في

رؤوس الجبال فمال إلى عسفان فلقى بها جمعا من المشركين وصلى بها صلاة الخوف .

وقد تقدم ذكر هذه الغزوة في سنة أربع وهنالك ذكرها البيهقي .

والاشبه ماذكره ابن إسحاق أنها كانت بعد الخندق . وقد ثبت أنه صلى بعسفان

يوم بني لحيان ، فلتكتب هاهنا وتحول من هناك ، اتباعا لامام أصحاب المغازي في زمانه

وبعده كما قال الشافعي رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق .

وقد قال كعب بن مالك في غزوة لحيان :

ـ 286 ـ

- لو ان بني لحيان كانوا تناظروا * لقوا عصبا في دارهم ذات مصدق -

لقوا سرعانا يملا السرب روعه * أمام طحون كالمجرة فيلق - (1)

ولكنهم كانوا وبارا تتبعت * شعاب حجاز غير ذي متنفق (2)

غزوة ذي قرد

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يقم بها إلا ليالي

قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل من غطفان على لقاح

النبي صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وفيها رجل من بني غفار ومعه امرأته ، فقتلوا الرجل

واحتملوا المرأة في اللقاح .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبي بكر ومن لا أتهم ،

عن عبدالله بن كعب بن مالك - كل قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث - أنه

كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الاكوع الاسلمي ، غدا يريد الغابة متوحشا قوسه

ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر

إلى بعض خيولهم فأشرف في ناحية سلع ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتد في آثار

القوم وكان مثل السبع ، حتى لحق بالقوم فجعل يردهم بالنبل ويقول :

- خذها وأنا ابن الاكوع * اليوم يوم الرضع -

فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمى رمى ثم قال :

- خذها وأنا ابن الاكوع * اليوم يوم الرضع -

قال : فيقول قائلهم : أو يكعنا (3) هو أول النهار .

* (هامش) * (1) السرعان : أوائل الخيل . والسرب : القلب . والطحون : ، الكتيبة العظيمة . والمجرة : باب

السماء . والفيلق : الكتيبة .

(2) الوبار : جمع وبر وهي دويبة كالسنور . والشعاب : جمع شعب . والمتنفق : المخرج .

(3) يكعنا : يخوفنا ، أو يصرفنا عن غايتنا . (*)

ـ 287ـ

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الاكوع فصرخ بالمدينة :

الفزع الفزع . فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أول من

انتهى إليه من الفرسان المقداد بن الاسود ، ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد وأسيد بن

ظهير - يشك فيه - وعكاشة بن محصن ، ومحرز بن نضلة أخو بني أسد بن خزيمة وأبو

قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة * ، وأبوعياش عبيد بن زيد بن صامت أخو بني زريق

قال : فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد ثم قال :

اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي

عياش فيما بلغني عن رجال من بني زريق : يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو

أفرس منك فلحق بالقوم . قال أبوعياش : فقلت يارسول الله أنا أفرس الناس . ثم

ضربت الفرس فوالله ماجرى بي خمسين ذراعا حتى طرحني فعجبت من ذلك ، فزعم

رجال من زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبي عياش معاذ بن ماعص أو

عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، وكان ثامنا . قال : وبعض الناس يعد سلمة بن الاكوع

ثامنا ويطرح أسيد بن ظهير . فالله أعلم أي ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الاكوع

يومئذ فارسا ، قد كان أول من لحق بالقوم على رجليه .

قال : فخرج الفرسان حتى تلاحقوا ، فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس

لحق بالقوم محرز بن نضلة وكان يقال له الاخرم ويقال له قمير ، وكانت الفرس التي تحته

لمحمود بن مسلمة ، وكان يقال للفرس ذو اللمة فلما انتهى إلى العدو قال لهم : قفوا معشر

بني اللكيعة حتى يلحق بكم من ورائكم من أدباركم من المهاجرين والانصار . قال :

فحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على آريه من بني عبد

الاشهل ، أي رجع إلى مربطه الذي كان فيه بالمدينة .

قال ابن إسحاق : ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره . قال ابن هشام :

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه قد قتل معه أيضا وقاص بن

مجزز المدلجي .

قا ل ان إسحاق : وحدثني بعض من لا أتهم عن عبدالله بن كعب بن مالك

أن محرزا كان على فرس لعكاشة بن محصن يقال له الجناح ، فقتل محرز واستلب

جناح . فالله أعلم .

قال : ولما تلاحقت الخيل قتل أبوقتادة حبيب بن عيينة وغشاه برده ثم لحق بالناس ،

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة

ابن أم مكتوم . فإذا حبيب مسجى ببرد أبي قتادة فاسترجع الناس وقالوا : قتل أبوقتادة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قتادة ولكنه قتيل لابي قتادة . ووضع عليه

برده لتعرفوا أنه صاحبه .

قال : وأدرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد

فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذوا بعض اللقاح . قال : وسار رسول الله صلى الله

عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذي قرد ، وتلاحق به الناس فأقام عليه يوما وليلة ،

وقال له سلمة بن الاكوع : يارسول الله لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية

السرح وأخذت بأعناق القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني : إنهم

الآن ليغبقون في غطفان . فقسم رسول الله صلى الله وعليه وسلم في أصحابه في كل مائة رجل

جزورا وأقاموا عليها ، ثم رجع قافلا حتى قدم المدينة .

قال : وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدمت

عليه المدينة فأخبرته الخبر ، فلما فرغت قالت : يارسول الله إني قد نذرت لله أن أنحرها

إن نجاني الله عليها . قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : " بئسما جزيتها

أن حملك الله عليها ونجاك بها تنحرينها ، إنه لانذر في معصية الله ولافيما لا تملكين ،

إنما هي ناقة من إبلي ، فارجعي إلى أهلك على بركة الله " .

قال ابن إسحاق : والحديث في ذلك عن أبي الزبير المكي عن الحسن البصري .

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة بما ذكر من الاسناد والسياق .

وقد قال البخاري رحمه الله بعد قصة الحديبية وقبل خيبر : غزوة ذي قرد ، وهي الغزوة

التي أغاروا على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم قبل خيبر بثلاث .

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم ، عن يزيد ابن أبي عبيد ، سمعت سلمة بن الاكوع

يقول : خرجت قبل أن يؤذن بالاولى (1) ، وكانت لقاح النبي صلى الله عليه وسلم ترعى بذي قرد

فال : فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال : أخذت لقاح النبي صلى الله عليه وسلم . فقلت :

من أخذها ؟ قال : غطفان . قال : فصرخت ثلاث صرخات : واصباحاه ! قال : فأسمعت

مابين لابتي المدينة . ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء ،

فجعلت أرميهم بنبلي ، وكنت راميا ، وأقول ، : أنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع (2) .

وأرتجز . حتى استنقذت اللقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة .

قال : وجاء النبي صلى الله عليه وسلم والناس فقلت : يارسول الله قد حميت القوم

الماء وهم عطاش فابعث إليهم الساعة . فقال : " ياابن الاكوع ، ملكت فأسجح (3) "

ثم رجعنا ويردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به ، ورواه البخاري عن أبي عاصم السهلي ، عن يزيد

ابن أبي عبيدة ، عن مولاه سلمة بنحوه .

* (هامش) * (1) الاولى : صلاة الصبح . (2) يوم الرضع : يوم هلاك اللئام . (3) أسجح : اعف (*)

وقال الامام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثني إياس بن

سلمة بن الاكوع ، عن أبيه ، قال : قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فخرجت أنا ورباح غلام النبي صلى الله عليه وسلم بظهر رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أنديه مع الابل ، فلما كان بغلس

أغار عبدالرحمن بن عيينة على إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل راعيها وخرج

يطردها هو وأناس معه في خيل ، فقلت : يارباح اقعد على هذا الفرس فألحقه بطلحة وأخبر

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد أغير على سرحه .

قال . وقمت على تل فجعلت وجهي من قبل المدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات :

ياصباحاه ! قال : ثم اتبعت القوم معي سيفي ونبلي ، فجعلت أرميهم وأعقر بهم ، وذلك

حين يكثر الشجر ، فإذا ، فإذا رجع إلى فارس جلست له في أصل شجرة ثم رميت ، فلا

يقبل إلي فارس إلا عقرت به ، فجعلت أرميهم وأنا أقول :

- أنا ابن الاكوع * واليوم يوم الرضع -

قال : فألحق برجل منهم فأرميه وهو على راحلته فيقع سهمي في الرجل حتى انتظم

كتفه فقلت :

- خذها وأنا ابن الاكوع * واليوم يوم الرضع -

فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنبل ، فإذا تضايقت الثنايا علوت الجبل فرديتهم

بالحجارة ، فما زال ذاك شأني وشأنهم أتبعهم وأرتجز حتى ماخلق الله شيئا من ظهر رسول

الله صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهرى فاستنقذته من أيديهم ، ثم لم أزل أرميهم

حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها ولايلقون

من ذلك شيئا إلا جعلت عليه حجارة وجمعته على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

حتى إذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاري مددا لهم وهم في ثنية ضيقة ، ثم علوت

الجبل فأنا فوقهم ، فقال عيينة : ماهذا الذي أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح ، مافارقنا

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 291 سطر 1 الى ص 300 سطر 22

الجبل فأنا فوقهم ، فقال عيينة : ماهذا الذي أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح ، مافارقنا

بسحر حتى الآن وأخذ كل شئ بأيدينا وجعله وراءظهره . فقال عيينة : لولا أن هذا

يرى أن وراءه طلبا لقد تركككم ، ليقم إليه نفر منكم . فقام إلي نفر منهم أربعة فصعدوا

في الجبل ، فلما أسمعتهم الصوت قلت : أتعرفونني ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابن

الاكوع ، والذي كرم وجه محمد لايطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني .

فقال رجل منهم : إن أظن . قال : فما برحت مقعدي ذلك حتى نظرت إلى فوارس

رسول الله صلى الله عليه وسلم يخللون الشجر وإذا أولهم الاخرم الاسدي ، وعلى أثره أبو

قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أثره المقداد بن الاسود الكندي ، فولى

المشركون مدبرين ، وأنزل من الجبل فأخذ عنان فرسه ، فقلت : ياأخرم ائذن القوم

- يعني احذرهم - فإني لاآمن أن يقتطعوك فاتئد حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأصحابه . قال : ياسلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق

والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة !

قال : فخليت عنان فرسه ، فيلحق بعبد الرحمن بن عيينة ويعطف عليه عبدالرحمن

فاختلفا طعنتين ، فعقر الاخرم بعبد الرحمن وطعنه عبدالرحمن فقتله . فتحول عبد

الرحمن على فرس الاخرم ، فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين فعقر بأبي قتادة

وقتله أبوقتادة ، وتحول أبو قتادة على فرس الاخرم .

ثم إني خرجت أعدو في أثر القوم حتى ماأرى من غبار صحابة النبي صلى الله عليه

وسلم شيئا ، ويعرضون قبل غيبوبة الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد ، فأرادوا أن

يشربوا منه فأبصروني أعدوا وراءهم فعطفوا عنه وأسندوا في الثنية ثنية ذي بئر وغربت

الشمس ، وألحق رجلا فأرميه فقلت : خذها وأنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع . قال :

فقال : ياثكل أم أكوع بكرة . فقلت : نعم أي عدو نفسه . وكان الذي رميته بكرة (1) ،

* (هامش) * (1) صحيح مسلم : " قال : ياثكلته أمه أكوعه بكرة . . قال . قلت : ياعدو نفسه أكوعك بكرة " . (*)

ـ 292 ـ

وأتبعته سهما آخر فعلق به سهمان ، ويخلفون فرسين فجئت بهما أسوقهما إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماءالذي أجليتهم عنه ، ذو قرد ، وإذا بنبي الله صلى الله

عليه وسلم في خمسمائة ، وإذا بلال قد نحر جزورا مما خلفت فهو يشوي لرسول الله صلى

الله عليه وسلم من كبدها وسنامها .

فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله خلني فأنتخب من

أصحابك مائة فآخذها على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته . فقال : أكنت

فاعلا ذلك ياسلمة ؟ قال : قلت : نعم والذي أكرمك . فضحك رسول الله صلى الله عليه

وسلم حتى رأيت نواجذه في ضوء النار ، ثم قال : إنهم يقرون الآن بأرض غطفان . فجاء

رجل من غطفان فقال : مروا على فلان الغطفاني فنحر لهم جزورا ، فلما أخذوا يكشطون

جلدها رأوا غبرة فتركوها وخرجوا هرابا .

فلما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير فرساننا أبوقتادة ، وخير

رجالتنا سلمة . فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم الفارس والراجل جميعا ، ثم

أردفني وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة .

فلما كان بيننا وبينها قريب من ضحوة ، وفي القوم رجل من الانصار كان لا يسبق

جعل ينادي : هل من مسابق ، ألا رجل يسابق إلى المدينة ؟ فأعاد ذلك مرارا وأنا وراء

رسول الله صلى الله عليه وسلم مردفي ، فقلت له : أما تكرم كريما ولاتهاب شريفا ؟

قال : لا ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قلت : يارسول الله بأبي أنت وأمي

خلني فلاسابق الرجل . قال : إن شئت . قلت : أذهب إليك . فطفر عن راحلته

وثنيت رجلي فطفرت عن الناقة ، ثم إني ربطت عليه شرفا أو شرفين ، يعني استبقيت

من نفسي ، ثم إني عدوت حتى ألحقه فأصك بين كتفيه بيدي قلت : سبقتك والله . أو

كلمة نحوها . قال : فضحك وقال : إن أظن . حتى قدمنا المدينة .

ـ 293ـ

وهكذا رواه مسلم من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه ، وعنده : فسبقته إلى

المدينة ، فلم نلبث إلا ثلاثا حتى خرجنا إلى خيبر . ولاحمد هذاالسياق .

ذكر البخاري والبيهقي هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خيبر ، وهو أشبه مماذكره

ابن إسحاق والله أعلم . فينبغي تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة ، فإن خيبر كانت

في صفر منها .

وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ونذرت نحرها لنجاتها

عليها فقد أوردها ابن إسحاق بروايته عن أبي الزبير ، عن الحسن البصري مرسلا . وقد

جاء متصلا من وجوه أخر .

وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب عن أبي

قلابة ، عن أبي المهلب ، عن عمران بن حصين ، قال : كانت العضباء لرجل من بني

عقيل وكانت من سوابق الحاج فأخذت العضباء معه . قال : فمر به رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو في وثاق ورسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار عليه قطيفة ، فقال : يامحمد علام تأخذوني وتأخذون سابقة الحاج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نأخذك

بجريرة حلفائك ثقيف . قال : وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم . وقال فيما قال : ـ إني ـ مسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قلتها وأنت

تملك أمرك أفلحت كل الفلاح . قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد

إني جائع فأطعمني وإني ظمآن فاسقني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه

حاجتك . ثم فدى بالرجلين وحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لرحله .

قال : ثم إن المشركين أغاروا على سرح المدينة فذهبوا به ، وكانت العضباء فيه ،

وأسروا امرأة من المسلمين . قال : وكانوا إذا نزلوا أراحوا إبله بأفنيتهم . قال : فقامت

المرأة ذات ليلة بعد ماناموا فجعلت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء ، فأتت

على ناقة ذلول مجرسة (1) فركبتها ثم وجهتها قبل المدينة . قال : ونذرت إن الله أنجاها عليها

لتنحرها ، فلما قدمت المدينة عرفت الناقة فقيل : ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قا ل : وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنذرها أو أتته فأخبرته ، فقال : بئس ماجزيتيها

أو بئس ماجزتها إن أنجاها الله عليها لتنحرنها .

قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما

لايملك ابن آدم " .

ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني ، عن حماد بن زيد .

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الاشعار في غزوة ذي قرد قول حسان بن ثابت

رضى الله عنه :

لولا الذي لاقت ومس نسورها * بجنوب ساية أمس في التقواد - (2)

- للقينكم يحملن كل مدجج * حامي الحقيقة ماجد الاجداد -

- ولسر أولاد اللقيطة أننا * سلم غداة فوارس المقداد -

- كنا ثمانية وكانوا جحفلا * لجبا فشكوا بالرماح بداد - (3)

كنا من القوم الذين يلونهم * ويقدمون عنان كل جواد -

- كلا ورب الراقصات إلى منى * يقطعن عرض مخارم الاطواد - (4)

- حتى نبيل الخيل في عرصاتكم * ونؤوب بالملكات والاولاد (5) -

* (هامش) * (1) المجرسة : المدربة في الركوب والسير .

(2) لاقت : يريد الخيل . ونسورها : النسر كالنواة في بطن الحافر ، وفي الفرس عشرون عضوا

كل عضو منها باسم طائر . وساية : موضع .

(3) الجحفل : الجيش الكثير . واللجب : ذو الجلبة والصياح . وبداد : متفرقين .

(4) المخارم : الطرق . والاطواد : الجبال .

(5) نبيل : نجعلها تبول . والعرصات : جمع عرصة وهي البقعة الواسعة بين الدور . والملكات : النساء . (*)

ـ 295ـ

- رهوا بكل مقلص وطمرة * في كل معترك عطفن وواد (1)

- أفنى دوابرها ولاح متونها * يوم تقاد به ويوم طراد -

فكذاك إن جيادنا ملبونة * والحرب مشعلة بريح غواد (2)

وسيوفنا بيض الحدائد تجتلى * جنن الحديد وهامة المرتاد -

- أخذ الاله عليهم لحرامه * ولعزة الرحمن بالاسداد -

- كانوا بدار ناعمين فبدلوا * أيام ذي قرد وجوه عناد -

قال ابن إسحاق : فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين أمام رسول

الله صلى الله عليه وسلم على حسان وحلف لا يكلمه أبدا ، وقال : انطلق إلى خيلي

وفوارسي فجعلها للمقداد . فاعتذر إليه حسان بأنه وافق الروى اسم المقداد ! ثم قال أبياتا

يمدح بها سعد بن زيد :

- إذا أردتم الاشد الجلدا * أو ذا غناء فعليكم سعدا -

سعد بن زيد لا يهد هدا

قال : فلم تقع منه بموقع .

وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد :

- أظن عيينة إذ زارها * بأن سوف يهدم فيها قصورا -

فأكذبت ماكنت صدقته * وقلتم سنغنم أمرا كبيرا -

فعفت المدينة إذ زرتها * وآنشت للاسد فيها زئيرا -

- وولو سراعا كشد النعام * ولم يكشفوا عن ملط حصيرا - (3)

- أمير علينا رسول المليك * أحبب بذاك إلينا أميرا -

* (هامش) * (1) رهوا : سريعا . والمقلص : المشمر . والطمرة : الفرس السريع .

(2) ملبونة : تسقى اللبن .

(3) الملط : الناقة ، من قولهم : ألطت الناقة بذنبها إذا أدخلته بين رجليها . والحصير مايكنف به حول

الابل من عيدان الحظيرة . (*)

- رسول يصدق ماجاءه * ويتلوا كتابا مضيئا منيرا -

وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد * يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين :

- أيحسب أولاد اللقيطة أننا * على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس -

- وإنا أناس لا نرى القتل سبة * ولا ننثنى عند الرماح المداعس (1)

وإنا لنقرى الضيف من قمع الذرى * ونضرب رأس الابلج المتشاوس - (2)

- نرد كماة المعلمين إذا انتحوا * بضرب يسلي نخوة المتقاعس - (3)

- بكل فتى حامى الحقيقة ماجد * كريم كسرحان العضاه مخالس - (4)

يذودون عن أحسابهم وبلادهم * ببيض تقد الهام تحت القوانس (5)

- فسائل بني بدر إذا مالقيتهم * بما فعل الاخوان يوم التمارس - (6)

إذا ماخرجتم فاصدقوا من لقيتم * ولاتكتموا أخباركم في المجالس -

- وقولوا زللنا غن مخالب خادر * به وحر في الصدر مالم يمارس - (7)

* (هامش) * (1) المداعس : الرماح التي لاتنثني . (2) القمع : جمع قمعة وهي أعلى سنام البعير . والابلج :

المشرق . و المتشاوس : المتكبر . وفي ابن هشام : الابلخ . (3) الكماة : الفوارس . و المتقاعس : الذي

لا يلين . (4) السرحان : الذئب . والعضاة : شجر ضخم . (5) القوانس : أعالى بيض الحديد .

(6) التمارس : المجالدة في الحرب . (7) الخادر : الاسد الذي يلزم أجمته . والوحر : الحقد . (*)

غزوة بني المصطلق من خزاعة

قال البخاري : وهي غزوة المريسيع . قال محمد بن إسحاق : وذلك في سنة ست . وقال

موسى بن عقبة سنة أربع . وقال النعمان بن راشد عن الزهري : كان حديث الافك في

غزوة المريسيع . هكذا رواه البخاري عن مغازي موسى بن عقبة أنها كانت في سنة

أربع . والذي حكاه عنه وعن عروة أنها كانت في شعبان سنة خمس . وقال الواقدي :

كانت لليلتين من شعبان سنة خمس في سبعمائة من أصحابه .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار ، بعد ما أورد قصة ذي قرد : فأقام رسول الله صلى

الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادي الآخرة ورجب ، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة في

شعبان سنة ست . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أباذر الغفاري ويقال نميلة بن

عبدالله الليثي .

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى

ابن حبان ، كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق قالوا : بلغ رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار ، أبو جويرية بنت

الحارث التي تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا ، فلما سمع بهم خرج إليهم

حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحم

الناس واقتتلوا ، فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ، ونقل رسول الله صلى الله عليه

وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه . وقال الواقدي : خرج رسول الله صلى الله عليه

وسلم لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة في سبعمائة من أصحابه إلى بني

المصطلق ، وكانوا حلفاء بني مدلج ، فلما انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أبي بكر

الصديق ، ويقال إلى عمار بن ياسر ، وراية الانصار إلى سعد بن عبادة ، ثم أمر عمر بن

الخطاب فنادى في الناس أن قولوا : لا إله إلا الله . تمنعوابها أنفسكم وأموالكم . فابوا

فتراموا بالنبل ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فحملوا حملة رجل واحد ،

فما أفلت منهم رجل واحد ، وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم ولم يقتل من المسلمين

إلا رجل واحد .

وثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن عون قال : كتبت إلى نافع أسأله عن

الدعاء قبل القتال فقال : قد أغار رسول الله صلى الله عليه وسلم غلى بني المصطلق وهم

غارون في أنعامهم تسقى على الماء ، فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم فأصاب يومئذ - أحسبه

قال جويرية بنت الحارث . وأخبرني عبدالله بن عمر بذلك ، وكان بذلك الجيش .

قال ابن إسحاق : وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابة ، أصابه

رجل من الانصار وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ .

وذكر ابن إسحاق أن أخاه مقيس بن صبابة قدم من مكة مظهرا للاسلام فطلب

دية أخيه هشام من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه قتل خطأ ، فأعطاه ديته ، ثم مكث

يسيرا ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ورجع مرتدا إلى مكة وقال في ذلك :

- شفى النفس أن قد با ت بالقاع مسندا * يضرج ثوبية دماء الاخادع (1)

- وكانت هموم النفس من قبل قتله * تلم فتحميني وطاء المضاجع

- حللت به وترى وأدركت ثؤرتي * وكنت إلى الاوثان أول راجع -

ثأرت به فهرا وحملت عقله * سراة بني النجار أرباب فارع (2)

قلت : ولهذا كان مقيس هذا من الاربعة الذين أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم الفتح دماءهم وإن وجدوا معلقين بأستار الكعبة .

* (هامش) * (1) الاخادع : جمع أخدع ، وهو عرق في المحجمتين ، وهو شعبة من الوريد .

(2) فارع : حصن بالمدينة . (*)

ـ 299 ـ

قال ابن إسحاق : فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن

الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه

وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهني :

يامعشر الانصار . وصرخ جهجاه : يامعشر المهاجرين . فغضب عبدالله بن أبي بن سلول

وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث فقال : أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا

وكاثرونا في بلادنا ؟ والله ما أعدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الاول : " سمن

كلبك يأكلك ! " أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . ثم أقبل

على من حضره من قومه فقال : هذا مافعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم و قاسمتموهم

أموالكم : أما والله لو أمسكتم عنهم مابأيديكم لتحولوا إلى غير داركم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ،

وعنده عمر بن الخطاب فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : فكيف ياعمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ، لا ولكن أذن

بالرحيل . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها .

فارتحل الناس .

وقد مشى عبدالله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن

زيد بن أرقم بلغه ماسمع منه ، فحلف بالله ماقلت ماقال ولاتكلمت به . وكان في قومه

شريفا عظيما ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار من أصحابه :

يارسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ماقال الرجل . حدبا على

ابن أبي ودفعا عنه .

فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية

النبوة وسلم عليه وقال : يارسول الله والله لقد رحت في ساعة منكرة ماكنت تروح

ـ300ـ

في مثلها ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مابلغك ماقال صاحبكم ؟ قال :

أي صاحب يارسول الله ؟ قال : عبدالله بن أبي . قال : وماقال ؟ قال : زعم أنه إن رجع

إلى المدينة أخرج الاعز منها الاذل . قال : فأنت والله يارسول الله تخرجه إن شئت ،

هو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال : يارسول الله ارفق ، فوالله لقد جاءنا الله بك

وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا .

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى

أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا

مس الارض فوقعوا نياما . وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالامس

من حديث عبدالله بن أبي ، ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وسلك

الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له بقعاء . فلما راح رسول الله صلى

الله عليه وسلم هبت على الناس ريح شديدة فآذتهم وتخوفوها ، فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : لاتخوفوها فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة

وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع : وكان عظيما من عظماء اليهود وكهفا

للمنافقين ، مات ذلك اليوم .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدي .

وروى مسلم من طريق الاعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر نحو هذه القصة ، إلا أنه

لم يسم الذي مات من المنافقين . قال : هبت ريح شديدة والنبي صلى الله عليه وسلم

في بعض أسفاره فقال : هذه لموت منافق . فلما قدمنا المدينة إذا هو قد مات عظيم من

عظماء المنافقين .

قال ابن إسحاق : ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن

كان على مثل أمره ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد بن أرقم وقال :

هذا الذي أوفى لله بأذنه . قلت : وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها في كتابنا التفسير

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 301 سطر 1 الى ص 310 سطر 22

هذا الذي أوفى لله بأذنه . قلت : وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها في كتابنا التفسير

بما فيه كفاية عن إعادته هاهنا ، وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم ولله

الحمد والمنة ، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه هاهنا فليطلبه من هناك .

وبالله التوفيق .

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عبدالله بن عبدالله بن أبي بن

سلول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل

عبدالله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمر لي به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله

لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده منى ، وإني أخشى أن تأمر به غيري

فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس فأقتله ، فأقتل

مؤمنا بكافر فأدخل النار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نترفق به ونحسن صحبته مابقى معنا . وجعل

بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف

ترى ياعمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي لارعدت له آنف لو أمرتها اليوم بقتله

لقتلته . فقال عمر : قد والله علمت لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة

من أمري .

وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن ابنه عبدالله رضى الله عنه وقف لابيه

عبدالله بن أبي بن سلول عند مضيق المدينة فقال : قف فوالله لاتدخلها حتى يأذن

رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك . فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنه في

ذلك فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة .

ـ 302ـ

قال ابن إسحاق : وأصيب يومئذ من بني المصطلق ناس ، وقتل علي بن أبي طالب منهم رجلين : مالكا وابنه .

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين : يامنصور أمت أمت .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب منهم سبيا كثيرا

فقسمهم في المسلمين .

وقال البخاري : حدثنا قتيبة بن سعيد ، أخبرني إسماعيل بن جعفر ، عن ربيعة بن

أبي عبدالرحمن ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن ابن محيريز ، أنه قال : دخلت

المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست إليه فسألته عن العزل ، فقال أبوسعيد :

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزة بني المصطلق فأصبنا سبيا من سبي

العرب فاشتهينا النساء واشتدت علينا العزوبة ، وأحببنا العزل وقلنا نعزل ، ورسول الله

صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا قبل أن نسأله ، فسألناه عن ذلك فقال : " ماعليكم ألا

تفعلوا ، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا كائنة " وهكذا رواه ـ مسلم ـ .

قال ابن إسحاق : وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن

أبي ضرار ، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة عن عائشة قالت : لما قسم رسول

الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت

ابن قيس بن شماس ، أو لا بن عم له ، فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحة لايراها

أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستعينه في كتابتها . قالت :

فوالله ماهو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها مارأيت .

فدخلت عليه فقالت : يارسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ،

وقد أصابني من البلاء مالم يخف عليك ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس

أو لابن عم له فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي .

قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وماهو يارسول الله ؟ قال : أقضى عنك

كتابك وأتزوجك . قالت : نعم يارسول الله قد فعلت .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية

بنت الحارث ، فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأرسلوا مابأيديهم .

قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة

أعظم بركة على قومها منها .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة الافك بتمامها في هذه الغزوة ، وكذلك البخاري وغير واحد

من أهل العلم ، وقد حررت طرق ذلك كله في تفسير سورة النور ، فليلحق بكماله إلى هاهنا

والله المستعان .

وقال الواقدي : حدثنا حرام ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قالت جويرية

بنت الحارث : رأيت قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال كأن القمر يسير من

يثرب حتى وقع في حجري ، فكرهت أن أخبر به أحدا من الناس حتى قدم رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فلما سبينا رجوت الرؤيا ، قالت : فأعتقني رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتزوجني ، والله ماكلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وماشعرت إلا

بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر ، فحمدت الله تعالى .

قال الواقدي : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل صداقها عتق أربعين

من بني المصطلق .

وذكر موسى بن عقبة عن بني المصطلق أن أباها طلبها وافتداها ، ثم خطبها منه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه إياها .

ـ 304ـ

قصة الافك

وهذا سياق محمد بن إسحاق حديث الافك :

قال ابن إسحاق : حدثني الزهري ، عن علقمة بن وقاص وسعيد بن المسيب (1)

وعروة بن الزبير وعبيدالله بن عبدالله (2) بن عتبة ، قال الزهري : وكل قد

حدثني بهذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت كل الذي (3)

حدثني القوم .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عن

عائشة ، وعبدالله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبدالرحمن ، عن عائشة عن نفسها حين

قال فيها أهل الافك ماقالوا ، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعا

يحدث بعضهم مالم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلم حدث عنها بما

سمع قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراأقرع بين نسائه فأيتهن خرج

سهمها خرج بها معه ، فلما كان غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ،

فخرج سهمي عليهن معه ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وكان النساء

إذ ذاك يأكلن العلق (4) لم يهجهن اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رحل لي بعيري جلست

في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحلون لي فيحملونني ويأخذون بأسفل

الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس

البعير فينطلقون به .

* (هامش) * (1) ابن هشام : سعيد بن جبير . (2) الاصل : وعبدالله بن عبيد الله . وما أثبته عن ابن هشام .

(3) ابن هشام : لك الذي . (4) العلق : جمع علقة ، وهي كل مايتبلغ به من العيش . (*)

قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجه قافلا حتى إذا

كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ، ثم أذن مؤذن في الناس بالرحيل ،

فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جزع ظفار (1) فلما

فرغت انسل من عنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم

أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى

وجدته ، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته ،

فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدوه على البعير ولم

يشكوا أني فيه : ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به .

فرجعت إلى العسكر ومافيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلففت

بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني ، وعرفت أن لو افتقدت لرجع الناس إلي .

قالت : فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي وكان قد تخلف

عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف علي

وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون !

ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأنا متلففة في ثيابي . قال : ماخلفك يرحمك الله ؟

قالت : فما كلمته . ثم قرب إلي البعير فقال : اركبي . واستأخر عني .

قالت : فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس ، فوالله ماأدركنا

الناس وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي ،

فقال أهل الافك ماقالوا ، وارتج العسكر ووالله ماأعلم بشئ من ذلك .

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة لا يبلغني من ذلك شئ .

* (هامش) * (1) الجزع : الخرز . وظفار : مدينة باليمن . (*)

ـ 306 ـ

وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبوي ، لا يذكرون لي منه

قليلا ولا كثيرا ، إلا أني قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بي ،

كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي ذلك ،

فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل علي وعندي أمي تمرضني قال : كيف تيكم ؟

لا يزيد على ذلك .

قالت : حتى وجدت في نفسي فقلت : يارسول الله ، حين رأيت مارأيت من

جفائه لي : لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرضتني . قال : لاعليك . قالت : فانقلبت

إلى أمي ولا علم لي بشئ مما كان ، حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة ،

وكنا قوما عربا لانتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الاعاجم نعافها ونكرهها ،

إنما كنا نخرج في فسح المدينة وإنما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حوائجهن ،

فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مسطح ابنة أبي رهم بن المطلب ، قالت : فوالله إنها

لتمشي معي إذ عثرت في مرطها فقالت : تعس مسطح . ومسطح لقب واسمه عوف .

قالت : فقلت : بئس لعمرو الله ماقلت لرجل من المهاجرين ، وقد شهد بدرا . قالت :

أو مابلغك الخبر يابنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : ومالخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من

قول أهل الافك . قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم . والله لقد كان . قالت : فوالله

ماقدرت على أن أقضى حاجتي ، ورجعت ، فوالله مازلت أبكي حتى ظننت أن البكاء

سيصدع كبدي . قالت : وقلت لامي : يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به

ولا تذكرين لي من ذلك شيئا ! قالت : أي بنية خففي (1) عليك الشأن

فوالله لقل ماكانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر

الناس عليها .

* (هامش) * (1) ابن هشام : خفضي . (*)

ـ 307 ـ

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبهم ، ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى

عليه ثم قال : أيها الناس مابال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق ، والله

ماعلمت عليهم إلا خيرا ، ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه إلا خيرا : ولا يدخل

بيتا من بيوتي إلا وهو معي .

قالت : وكان كبر ذلك عند عبدالله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع

الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن امرأة من نسائه تناصبني في المنزلة عنده غيرها .

فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيرا ، وأما حمنة فأشاعت من ذلك ماأشاعت

تضارني لاختها فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيد بن حضير : يارسول الله

إن يكونوا من الاوس نكفيكهم وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا أمرك ،

فو الله إنهم لاهل أن تضرب أعناقهم .

قالت : فقام سعد بن عبادة ، وكان قبل ذلك يرى رجلا صالحا فقال : كذبت لعمر

الله ماتضرب أعناقهم ، أما والله ماقلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج

ولو كانوا من قومك ماقلت هذا . فقال أسيد بن حضير : كذبت لعمر الله ، ولكنك

منافق تجادل عن المنافقين .

قالت : وتساور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الاوس

والخزرج شر . ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علي فدعا علي بن أبي طالب وأسامة

ابن زيد ف استشارهما ، فأما أسامة فأثنى خيرا وقاله ، ثم قال : يارسول الله أهلك ومانعلم

منهم إلا خيرا ، وهذا الكذب والباطل . وأما علي فإنه قال : يارسول الله إن النساء

لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف ، وسل الجارية فإنها ستصدقك . فدعا

رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة يسألها . قالت : فقام إليها علي فضربها ضربا شديدا

ويقول : أصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : فتقول : والله ماأعلم إلا خيرا ،

وماكنت أعيب على عائشة شيئا إلا أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه

فتأتي الشاة فتأكله .

قالت : ثم دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أبواي وعندي امرأة

من الانصار وأنا أبكي وهي تبكي ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ياعائشة إنه

قد كان مابلغك من قول الناس ، فاتقي الله ، وإن كنت قد فارقت سوءاممما يقول الناس

فتوبي إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده . قالت : فوالله إن هو إلا أن قال لي ذلك

فقلص (1) دمعي حتى ماأحس منه شيئا ، وانتظرت أبوي أن يجيبا عني رسول الله صلى

الله عليه وسلم فلم يتكلما .

قالت : وايم الله لانا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأنا من أن ينزل الله في

قرآنا يقرأ به ويصلى به ، ولكني كنت أرجو أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه

شيئا يكذب الله به عني لمايعلم من براءتي ويخبر خبرا ، وأما قرآنا ينزل في فو الله

لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوي يتكلمان قلت لهما : ألا تجيبان

رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالا : والله ماندري بما نجيبه . قالت : ووالله ما أعلم

أهل بيت دخل عليهم مادخل على آل أبي بكر في تلك الايام . قالت : فلما استعجما علي

استعبرت فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مماذكرت أبدا ، والله إني لاعلم لئن

أقررت بما يقول الناس والله يعلم أني منه بريئة لاقولن مالم يكن ، ولئن أنا أنكرت

* (هامش) * (1) قلص : ارتفع . (*)

ـ309ـ

مايقولون لاتصدقونني . قالت : ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره فقلت : ولكن

سأقول كما قال ابويوسف : " فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون " قالت : فوالله

مابرح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ماكان يتغشاه ، فسجى

بثوبه ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت فوالله

مافزعت ومابالیت ، قد عرفت أني بريئة وأن الله غير ظالمي ، وأما أبواي فوالذي نفس

عائشة بيده ماسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما

فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ماقال الناس .

قالت : ثم سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وإنه ليتحدر من وجهه

مثل الجمان في يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : أبشري ياعائشة ، قد

أنزل الله عزوجل براءتك . قالت : قلت : الحمد لله .

ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ماأنزل الله عزوجل من القرآن في ذلك ،

ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة

فضربوا حدهم .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين عن الزهري ، وهذا السياق فيه فوائد جمة .

وذكر حد القذف لحسان ومن معه ، رواه أبوداود في سننه .

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه :

- لقد ذاق حسان الذي كان أهله * وحمنة إذ قالوا هجيرا ومسطح (1) -

- تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم * وسخطة ذي العرش الكريم فأترحوا (2) -

وآذوا رسول الله فيها فجللوا * مخازي تبقى عممومها وفضحوا

* (هامش) * (1) الهجير : الفاحش من القول . (2) أترحوا : أحزنوا ، من الترح . (*)

ـ 310 ـ

وصبت عليهم محصدات كأنها * شآبيب قطرا في ذرا المزن تسفح (1)

وقد ذكر ابن إسحاق أن حسان بن ثابت قال شعرا يهجو فيه صفوان بن المعطل

وجماعة من قريش ممن تخاصم على الماء (2) من أصحاب جهجهاه كما تقدم أوله هي :

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا * وابن الفريعة أمسى بيضة البلد (3) -

- قد ثكلت أمه من كنت صاحبه * أو كان منتشبا في برثن الاسد -

- مالقتيلى الذي أغدوا فآخذه * من دية فيه يعطاها ولاقود -

- ماالبحر حين تهب الريح شامية * فيغطئل ويرمى العبر بالزبد (4) -

- يوما بأغلب مني حين تبصرني * ملغيظ أفرى كفري العارض البرد (5) -

- أما قريش فإني لاأسالمها * حتى ينيبوا من الغياث للرشد

ويتركوا اللات والعزى بمعزلة * ويسجدوا كلهم للواحد الصمد -

- ويشهدوا أن ماقال الرسول لهم * حق فيوفوا بحق الله والوكد (6) -

- قال : فاعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف وهو يقول :

- تلق ذباب السيف عني فإنني * غلام إذا هو جيت لست بشاعر

- وذكر أن ثابت بن قيس بن شماس أخذ صفوان حين ضرب حسان فشده وثاقا ،

فلقيه عبدالله بن رواحة فقال ؟ ماهذا ؟ فقال : ضرب حسان بالسيف . فقال عبدالله :

هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ من ذلك ؟ قال : لا . فأطلقه ثم أتوا كلهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن المطل : يارسول الله آذاني وهجاني فاحتملني

* (هامش) * (1) المحصدات : السياط الشديدة الفتل . والشآبيب : جمع شؤبوب وهي الدفعة من المطر . والمزن : السحاب

(2) ابن هشام : يعرض بابن المعطل فيه ، وبمن أسلم من العرب من مضر .

(3) الجلابيب : الغرباء . (4) يغطئل : يركب بعضه بعضا . والعبر : جانب البحر . (5) أفرى : أقطع . والعارض : السحاب .

(6) الوكد : العهود والمواثيق . (*)

الغضب فضربته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياحسان أتشوهت على قومي

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 311 سطر 1 الى ص 320 سطر 21

الغضب فضربته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياحسان أتشوهت على قومي

إذ هداهم الله . ثم قال : أحسن ياحسان فيما أصابك . فقال : هي لك يارسول الله .

فعوضه منها بيرحاء (1) التي تصدق بها أبوطلحة وجارية قبطية يقال لها سيرين جاءه

منها ابنه عبدالرحمن .

قال : وكانت عائشة تقول : سئل عن ابن المعطل فوجد رجلا حصورا مايأتي

النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيدا رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة :

- حصان رزان ماتزن برببة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل (2) -

- عقيلة حي من لؤي بن غالب * كرام المساعي مجدهم غير زائل -

- وأن الذي قد قيل ليس بلائط * بك الدهر بل قيل امرئ بي ماحل - (3)

- فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم * فلا رفعت سوطي إلي أناملي -

- فكيف وودي ماحييت ونصرتي * لآل رسول الله زين المحافل

- وإن لهم عزا ترى الناس دونه * قصارا وطال العز كل التطاول -

ولتكتب هاهنا الآيات من سورة النور ، وهي من قوله : " إن الذين جاءوا بالافك

عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم مااكتسب

من الاثم " إلى : " مغفرة ورزق كريم " وما أوردناه هنالك من الاحاديث والطرق

والآثار عن السلف والخلف وبالله التوفيق .

* (هامش) * (1) جاء : اسم رجل أضيفت إليه البئر وفي ابن هشام : وهي قصربني جديلة اليوم بالمدينة .

(2) تزن : تتهم والغرثى : الجائعة . (3) لائط : لاصق . والماحل : الواشي . (*)

ـ 312 ـ

غزوة الحديبية

وقد كانت في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف . وممن نص على ذلك الزهري ،

ونافع مولى ابن عمر ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق بن يسار وغيرهم .

وهو الذي رواه ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة ، أنها كانت في ذي القعدة

سنة ست .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إسماعيل بن الخليل ، عن علي بن مسهر ، أخبرني

هشام بن عروة ، عن أبيه : قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية في رمضان ،

وكانت الحديبية في شوال .

وهذا غريب جدا عن عروة .

وقد روى البخاري ومسلم جميعا عن هدبة ، عن همام ، عن قتادة ، أن أنس بن

مالك أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر في ذي القعدة إلا العمرة التي

مع حجته ، عمرة من االحديبية في ذي القعدة ، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة ، ومن

الجعرانة في ذي القعدة حيث قسم غنائم حنين ، وعمرة مع حجته .

وهذا لفظ البخاري .

وقال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة رمضان وشوالا

وخرج في ذي القعدة معتمرا لا يريد حربا . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نميلة

ابن عبدالله الليثي .

قال ابن إسحاق : واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الاعراب ليخرجوا

معه ، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير

من الاعراب .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق به من

العرب ، وساق معه الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه * وليعلم الناس أنه

إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عروة بن الزبير ،

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله صلى الله

عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لايريد قتالا ، وساق معه الهدي سبعين

بدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، وكانت كل بدنة عن عشرة نفر : وكان جابر

ابن عبدالله فيما بلغني يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة .

قال الزهري : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعسفان لقيه

بشر (1) بن سفيان الكعبي ، فقال : يارسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا

معهم العوذ المطافيل (2) ، قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي طوى ، يعاهدون الله

لاتدخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا إلى كراع الغميم .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياويح قريش ! قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم

لو خلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني

الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ فوالله

لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة . (3) ثم

* (هامش) * (1) ويقال له : بسر . كما قال ابن هشام .

(2) العوذ المطافيل : النوق ذوات اللبن معها أولادها . وهى كناية عن النساء معها الاطفال .

(3) السالفة : صفحة العنق . وأراد بذلك الموت . (*)

ـ 314 ـ

قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟

قال ابن إسحاق : فحدثني عبدالله بن أبي بكر أن رجلا من أسلم قال : أنا يارسول

الله . فسلك بهم طريقا وعرا أجرل (1) بين شعاب ، فلما خرجوا منه وقد شق ذلك

على المسلمين فأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي ، قال رسول الله : قولوا : نستغفر

الله ونتوب إليه . فقالوا ذلك . فقال : والله إنها للحطة التي عرضت على بني إسرائيل

فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله صلى عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا

ذات اليمين بين ظهرى الحمض . في طريق يخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية

من أسفل مكة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا

عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك في ثنية المرار بركت ناقته

فقال الناس : خلات (2) فقال : ماخلات وماهو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس

الفيل عن مكة ، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا

أعطيتهم إياها .

ثم قال للناس : انزلوا . قيل له : يارسول الله مابالوادي ماء ينزل عليه . فأخرج

سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل به في قليب من تلك القلب ، فغرزه في

جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن (3) .

* (هامش) * (1) الاجرل : الكثير الحجارة .

(2) خلات : حرنت وبركت من غير علة . (3) ضرب الناس بعطن : أناخوا حول الماء بعد السقي (*) .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم أن الذي نزل في

القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جندب (1) ، سائق بدن رسول

الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب

كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله أعلم أي ذلك

كان . ثم استدل ابن إسحاق للاول أن جارية من الانصار جاءت البئر وناجية أسفله

يميح (3) فقالت : ياأيها المائح دلوي دونكا * إني رأيت الناس يحمدونكا -

يثنون خيرا ويمجدونكا -

فأجابها فقال :

- قد علمت جارية يمانية * أني أنا المائح واسمي ناجيه -

- وطعنة ذات رشاش واهيه * طعنتها عند صدور العاديه -

قال الزهري في حديثه : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بديل بن

ورقاء في رجال من خزاعة ، فكلموه وسألوه ماالذي جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد

حربا وإنما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته . ثم قال لهم نحو ماقال لبشر بن سفيان ،

فرجعوا إلى قريش فقالوا : يامعشر قريش إنكم تعجلون على محمد ، وإن محمدا لم يأت

للقتال إنما جاء زائرا لهذا البيت . فاتهموهم وجبهوهم وقالوا : وإن جاء ولايريد قتالا ،

فوالله لايدخلها علينا عنوة ولاتحدث بذلك عنا العرب .

قال الزهري : وكانت خزاعة عيبة (3) نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمها

ومشركها لايخفون عنه شيئا كان بمكة .

* (هامش) * (1) ذكر ابن هشام بقية نسبه . (2) يميح : يملا الدلاء .

(3) العيبة : موضع السر والخاصة . (*) .

قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الاخيف أخا بني عامر بن لؤي ، فلما رآه

رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال : هذا رجل غادر . فلما انتهى إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل

وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم بعثوا

بحليس بن علقمة أو ابن زبان وكان يومئذ سيد الاحابيش ، وهو أحد بني الحارث بن

عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذامن قوم

يتألهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي

في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس

فإنما أنت أعرابي لا علم لك . .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبدالله بن أبي بكر أن الحليس غضب عند ذلك وقال :

يامعشر قريش والله ماعلى هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم ، أيصد عن بيت الله

من جاء ه معظما له ؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ماجاء له أو

لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مه كف عنا حتى نأخذ لانفسنا

مانرضى به .

قال الزهري في حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود

الثقفي فقال : يامعشر قريش إني قد رأيت مايلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم

من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد ، وكان عروة لسبيعة بنت

عبد شمس ، وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئتكم حتى

آسيتكم بنفسي . قالوا : صدقت ماأنت عندنا بمتهم .

ـ 317ـ

فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال : يامحمد أجمعت

أو شاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ إنها قريش قد خرجت معها

العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله لاتدخلها عليهم عنوة أبدا ، وأيم الله

لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك عذا .

قال : وأبوبكر الصديق رضى الله عنه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

امصص بظر اللات ! أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يامحمد ؟ قال : هذا ابن أبي

قحافة . قال : أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بهذه .

قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ، والمغيرة

ابن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد ، قال : فجعل

يقرع يده إذ يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : اكفف يدك عن

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألا تصل أليك . قال : فيقول عروة : ويحك

ماأفظك وأغلظك ! .

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عروة : من هذا يامحمد ؟ قال :

هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . قال : أي غدر وهل غسلت سوأتك إلا بالامس !

قال الزهري : فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كلم به أصحابه ،

وأخبره أنه لم يأت يريد حربا ، فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى

مايصنع به أصحابه ، لايتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولايبصق بصاقا إلا ابتدروه

ولايسقط من شعره شئ إلا أخذوه ، فرجع إلى قريش فقال : يامعشر قريش إني

قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه ، وإني والله مارأيت

ملكا في قومه قط مثل محمد في أصحابه ! ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشئ أبدا ،

فروا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا

خراش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب : ليبلغ

أشرافهم عنه ماجاء له ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله علبيه وسلم وأرادوا قتله ،

فمنعه الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن اسحاق : وحدثني بعض من لاأتهم عن عكرمة عن ابن عباس ، أن قريشا

كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين ، أمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى

الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا فأخذوا ، فأتى بهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم ، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه

وسلم بالحجارة والنبل .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ماجاء له ، فقال :

يارسول الله إني أخاف قريش على نفسي وليس بمكة من بني عدى أحد يمنعني ، وقد

عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني .

عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش

يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته .

فخرج عثمان إلي مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن

يدخلها ، فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق

عثمان حتى أتى أباسفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأرسله

به ، فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن تطوف

بالبيت فطف . قال : ماكنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واحتبسته قريش عندها . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد

قتل . قال ابن إسحاق : فحدثني عبدالله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لانبرح حتى نناجز القوم .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة ، وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة

وكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت . وكان جابر بن

عبدالله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا

على ألا نفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها

إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة ، وكان جابر بن عبدالله يقول : والله لكأني أنظر

إليه لاصقا بإبط ناقته قد ضبأ (1) إليها يستتر من الناس .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكرمن أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : وذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، أن أول من

بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبوسنان الاسدي .

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به عمن حدثه بإسناد له عن ابن أبي ملكية ،

عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان فضرب بإحدى

يديه الاخرى .

وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الاسناد ضعيف ، لكنه ثابت

في الصحيحين .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن

لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : ائت محمدا وصالحه ، ولا يكن في صلحه

* (هامش) * (1) ضبأ : لصق . (*)

إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لاتتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبدا .

فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال : قد أراد

القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل .

فلما انتهى سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا

ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الامر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال : ياأبابكر أليس

برسو ل الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمشركين ؟

قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أبوبكر : ياعمر الزم غرزه (1)

فإني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ألست برسول الله ؟ قال :

بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال :

فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني

وكان عمر رضى الله عنه يقول : مازلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي

صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلمته يومئذ ، حتى رجوت أن يكون خيرا .

قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضى الله عنه فقال :

اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب :

باسمك اللهم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم . فكتبها .

ثم قال : اكتب : " هذا ماصالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو " . قال :

فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك .

* (هامش) * (1) الغرز : ركاب من جلد توضع فيه الرجل . والمراد : اتبع أمره ولا تخالفه . (*)

ـ 321 ـ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : " هذا ماصالح عليه محمد بن

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 321 سطر 1 الى ص 330 سطر 21

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : " هذا ماصالح عليه محمد بن

عبدالله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن

الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده

عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبة (1) مكفوفة ، وأنه

لا إسلال (2) ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن

أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه " .

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن

في عقد قريش وعهدهم . وإنك ترجع عامك هذا فلاتدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا

عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب : السيوف في القرب

لاتدخلها بغيرها .

قال : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو

إذ جاء أبوجندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا مارأوا من الصلح والرجوع وماتحمل

عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى

كادوا يهلكون .

فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه وقال : يامحمد قد

لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت . فجعل ينتره بتلبيبه ويجره

* (هامش) * (1) العيبة : موضع السر ومكفوفة : مطوية . (2) الاسلال : السرقة الخفية . والاغلال : الخيانة . (*)

ـ 322ـ

يعني يرده (1) إلى قريش ، وجعل أبوجندل يصرخ بأعلى صوته : يامعشر المسلمين أرد

إلى المشركين يفتنونني في ديني .

فزاد ذلك الناس إلى مابهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ياأبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل

لك ولمن معك من ا لمستضعفين فرجا ومخرجا . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا

وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم " .

قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : اصبر

أبا جندل ، فإنما هم المشركونن وإنما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدنى قائم السيف منه .

قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه ! قال : فضن الرجل

بأبيه ، ونفذت القضية .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب اشهد على الصلح رجالا من

المسليمين ورجالا من المشركين : ابوبكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، و عبدالرحمن

ابن عوف ، وعبدالله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة

ومكرز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلي بن ابي طالب ، وكتب ، وكان هو

كاتب الصحيفة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربا في الحل (2) ، وكان يصلي في الحرم ،

فما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذي حلقه في ذلك

اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناس أن رسول الله وسلم قد نحر

وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون .

* (هامش) * (1) ابن هشام : ليرده . (2) مضطربا : كانت خيامه مقامه في الحل . (*)

ـ323ـ

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ،

قال : حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

" يرحم الله المحلقين " قالوال . : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : " يرحم الله المحلقين "

قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : " يرحم الله المحلقين " قالوا : والمقصرين يارسول

الله ؟ قال : " والمقصرين " .

قالوا : يارسول الله فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال :

لم يشكوا .

وقال عبدالله بن أبي نجيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية في هداياه جملا لابي جهل في رأسه برة من فضة

ليغيظ بذلك المشركين .

هذا سياق محمد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصة ، وفي سياق البحاري كما سيأتي

مخالفة في بعض الاماكن لهذا السياق كما ستراها إن شاء الله وبه الثقة . ولنوردها

بتمامها ، ونذكر في الاحاديث الصحاح والحسان مافيه ـ غناء ـ . إن شاء الله تعالى

وعليه التكلان وهو المستعان .

قال البخاري : حدثنا خالدبن مخلد ، حدثنا سليمان بن بلال ، حدثناصالح بن

كيسان ، عن عبيد الله بن عبدالله ، عن زيد بن خالد ، قا ل : خرجنا مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم الصبح ، ثم قبل علينا بوجهه فقال : " أتدرون ماذا قال ربكم " ؟ فقلنا : الله

ورسوله أعلم . فقال : قا ل الله تعالى : " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ، فأما من

قال : مطرنا برحمة وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا

بنجم كذا فهو مؤمن بالكواكب كافر بي " .

وهكذا رواه في غير موضع من صحيحه ، . ومسلم من طرق عن الزهري ، وقد روى

عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله عن أبي هريرة .

وقال البخاري : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن

البراء قال : تعدون الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحا ، ونحن نعد الفتح بيعة

الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر

فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على

شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد

ثم إنها أصدرتنا ماشئنا نحن وركابنا .

انفرد به البخاري .

وقال ابن إسحاق في قوله تعالى : " فجعل من دون ذلك فتحا قريبا " : صلح

الحديبية . قال الزهري : فما فتح في الاسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال

حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلم بعضهم

بعضا والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد في الاسلام يعقل شيئا إلا

دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الاسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : والدليل على ماقاله الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة رجل في قول جابر ، ثم خرج عام فتح مكة بعد

ذلك بسنتين في عشرة آلاف .

وقال البخاري : حدثنا يوسف بن عيسى ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا حصين ،

عن سالم ، عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صسلى الله عليه وسلم بين

يديه ركوة فتوضأ منها ، ثم أقبل الناس نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

مالكم ؟ قالوا : يارسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشرب إلا مافي ركوتك .

فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال

العيون . قال : فشربنا وتوضأنا . فقلنا لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف

لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .

وقد رواه البخاري أيضا ومسلم من طرق ، عن حصين عن سالم بن أبي الجعد

عن جابر به .

وقال البخاري : حدثنا الصلت بن محمد ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن

قتادة قلت لسعيد بن المسيب : بلغني أن جابر بن عبدالله كان يقول : كانوا أربع

عشرة مائة . فقال لي سعيد : حدثني جابر : كانواخمس عشرة مائة الذين بايعوا النبي

صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية .

تابعه أبوداود ، حدثنا قرة عن قتادة . تفرد به البخاري .

ثم قال البخاري : حدثنا علي بن عبدالله ، حدثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابرا

قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية : " أنتم خير أهل الارض "

وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت أبصراليوم لاريتكم مكان الشجرة .

وقد روى البخاري أيضا ومسلم من طرق ، عن سفيان بن عيينة به . وهكذا رواه

الليث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : إن عبدا لحاطب جاء يشكوه فقال :

يارسول الله ليدخلن حاطب النار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كذبت

لايدخلها ، شهد بدرا والحديبية " .

رواه مسلم .

وعند مسلم أيضا من طرق ـ عن ـ ابن جريج ، أخبرني أبوالزبير ، أنه سمع جابرا

يقول : أخبرتني أم ميسر أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة :

" لايدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها " فقالت حفصة :

بلى يارسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة " وإن منكم إلا واردها " فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : قد قال تعالى : " ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " .

قال البخاري : وقال عبيد الله بن معاذ : حدثنا أبي ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ،

حدثني عبدالله بن أبي أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفا وثلاثمائة وكانت أسلم

ثمن المهاجرين .

تابعه محمد بن بشار ، حدثنا أبوداود ، حدثنا شعبة .

هكذا رواه البخاري معلقا عن عبدالله . وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ ، عن

أبيه عن شعبة به . وعن محمد بن المثنى ، عن أبى داود ، عن إسحق بن إبراهيم ، عن النضر .

ابن شميل كلاهما عن شعبة به .

ثم قال البخاري : حدثنا علي بن عبدالله ، حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن عروة ،

عن مروان والمسور بن مخرمة ، قالا : خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع

عشرة مائة من أصحابه ، فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي وأشعر وأحرم منها .

تفرد به البخاري وسيأتي هذا السياق بتمامه .

والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب إليه ابن إسحاق من أن أصحاب

الحديبية كانوا سبع مائة .

وهو والله أعلم إنما قال ذلك تفقها من تلقاء نفسه من حيث إن البدن كن سبعين

بدنة ، وكل منها عن عشرة على اختياره ، فيكون المهلون سبعمائة .

ولايلزم أن يهدى كلهم ولا أن يحرم كلهم أيضا ، فقد ثبت أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم بعث طائفة منهعم فيهم أبوقتادة ولم يحرم أبوقتادة حتى قتل ذلك الحمار الوحشي

فأكل منه هو وأصحابه ، وحملوا منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الطريق

فقال : هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها ؟ قالوا : لا . قال : فكلوا

مابقى من الحمار .

وقد قال البخاري : حدثنا شعبة بن الربيع ، حدثنا على بن المبارك ، عن يحيى

عن عبدالله بن أبي قتادة أن أباه حدثه قال : انطلقنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عام

الحديبية فأحرم أصحابي ولم أحرم .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا شبابة بن سوار الفزارى ، حدثنا شعبة ،

عن قتادة عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ثم أتيتهابعد فلم أعرفها .

حدثنا موسى ، حدثنا أبوعوانة ، حدثنا طارق ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه

أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة فرجعنا إليها العام المقبل فعميت علينا .

وقال البخاري أيضا : حدثنا محمود ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن طارق بن

عبد لرحمن ، قال : انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون ، فقلت : ماهذا المسجد ؟ قالوا :

هذه الشجرة حيث بايع النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان . فأتيت سعيد بن المسيب

فأخبرته فقال سعيد : حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت

الشجرة ، قال : فلما كان من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها .

ثم قال سعيد : إن أصحاب محمد لم يعلموها ، وعلمتموها أنتم ! فأنتم أعلم ؟ ورواه البخاري ومسلم من حديث الثوري وأبي عوانه وشبابة عن طارق .

وقال البخاري : حدثنا سعيد ، حدثني أخي ، عن سليمان ، عن عمرو بن يحيى ، عن

عباد بن تميم قال : لما كان يوم الحرة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة ، فقال ابن

زيد : على ما يبايع ابن حنظلة الناس ؟ قيل له : على الموت . فقال : لا أبايع على ذلك أحدا

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شهد معه الحديبية .

وقد رواه البخاري أيضا ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به .

وقال البخاري : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثا حاتم ، عن يزيد بن أبي عبيد قلت

لسلمة بن الاكوع : على أي شئ بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ؟

قال : على الموت .

ورواه مسلم من حديث يزيد بن أبي عبيد .

وفي صحيح مسلم عن سلمة أنه بايع ثلاث مرات في أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم .

وفي الصحيح عن معقل بن يسار أنه كن آخذا بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو يبايع الناس ، وكان أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم

يومئذ أبوسنان ، وهو وهب بن محصن أخو عكاشة بن محصن ، وقيل سنان

ابن أبي سنان .

وقال البخاري : حدثني شجاع بن الوليد ، سمع النضر بن محمد ، حدثنا صخر بن

الربيع ، عن نافع قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ،

ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبدالله إلى فرس له عند رجل من الانصار أن يأتي به

ليقاتل عليه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع عند الشجرة ، وعمر لايدري بذلك ،

فبايعه عبدالله ، فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي التي

تحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

وقال هشام بن عمار : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عمر بن محمد العمري ، أخبرني

نافع ، عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا

في ظلال الشجرة ، فإذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال : ياعبدالله انظر

ـ329ـ

ماشأن الناس قد أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم يبايعون ، فبايع ثم رجع

إلى عمر فخرج فبايع .

تفرد به البخاري من هذين الوجهين .

ذكرى سياق البخاري لعمرة الحديبية

قال في كتاب المغازي : حدثنا عبدالله بن محمد ، حدثنا سفيان ، سمعت الزهري حين

حدث هذا الحديث حفظت بعضه وثبتني معمر ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة

ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا : خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام

الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره (1) وأحرم

منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا ان بغدير الاشطاط أتاه عينه قال : إن قريشا

جمعوا لك جموعا ، وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك .

فقال : أشيروا أيها الناس علي ، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون

أن يصدونا عن البيت ، فإن يأتونا كان الله قد قطع عينا من االمشركين وإلا تركناهم

محروبين . قال أبوبكر : يارسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لاتريد قتل أحد

ولاحرب أحد ، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه . قال : امضوا على اسم الله .

هكذا رواه هاهنا ووقف ولم يزد شيئا على هذا .

وقال في كتاب الشهادات (2) : حدثني عبدالله بن محمد ، حدثنا عبدالرزاق ، أنبأنا

معمر ، أخبرني الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن

الحكم ، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه

* (هامش) * (1) أشعره : ألبسه الشعار تمييزا له . (2) هوفي كتاب الشروط صحيح البخاري 2 / 10 (*)

ـ 330ـ

وسلم زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن حالد

ابن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين . فوالله ماشعر بهم خالد حتى

إذا هم بقترة الجيش ، فانطلق يركض نذيرا لقريش .

وسارالنبي صلى الله عليه وسلم حتاى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به

راحلته ، فقال الناس : حل حل (1) ، فألحت ، فقالوا : خلات القصواء خلات

القصواء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماخلات القصواء وماذاك لها بخلق ،

ولكن حبسها حابس الفيل . ثم قال : والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون

فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها . ثم زجرها فوثبت .

فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه (2) ـ الناس (3) ـ

تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه ، وشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش ،

فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله مازال يجيش لهم بالري حتى

صدروا عنه .

فبينما هم كذلك إذا جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة -

وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة - فقال : إني تركت

كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل ، وهم

مقاتلوك وصادوك عن البيت .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين ،

وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم ، فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني

وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جموا ،

* (هامش) * (1) حل : كلمة تقال للناقة إذا بركت . (2) يتبرضه : يأخذونه قليلا قليلا . (3) من صحيح البخاري 2 / 10 (*)

ـ 331 ـ

وإن هم أبوا فو الذي نفسي بيده لاقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، ولينفذن

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 331 سطر 1 الى ص 340 سطر 21

وإن هم أبوا فو الذي نفسي بيده لاقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، ولينفذن

أمر الله .

قال بديل : سأبلغهم ماتقول . فانطلق حتى أتى قريشا فقال : إنا قد جئناكم من

عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم :

لاحاجة لنا أن تخبرنا عنه بشئ . وقال ذوو الرأي منهم : هات ماسمعته يقول . قال :

سمعته يقول كذا وكذا . فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقام عروة بن مسعود فقال : أي قوم ، ألست بالوالد ؟ قالوا : بلى . قال : أو لستم

بالولد ؟ قالوا بلى . قال : فهل تتهموني ؟ قالوا : لا . قال : ألستم تعلمون أني استنفرت

أهل عكاظ فلما بلحوا (1) علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا : بلى . قال :

فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتيه ، فقالوا : ائته .

فأتاه ، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله

لبديل فقال عروة عند ذلك : أي محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت

بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الاخرى فإني والله لا أرى وجوها

وإني لارى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك .

فقال له أبوبكر : امصص بظر اللات ! أنحن نفر عنه وندعه ؟ ! قال : من ذا ؟

قالوا : أبوبكر . قال : أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك

بها لاجبتك .

قال : وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فكلما تكلم أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة

قائم على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى

عروة بيده إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال له : أخر

* (هامش) * (1) بلحوا : أبطأوا . (*)

يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرفع عروة رأسه فقال . من هذا ؟ قالوا :

المغيرة بن شعبة . فقال : أي غدر ألست أسعى في غدرتك !

وكان المغيرة بن شعبة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ،

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما الاسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شئ .

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينيه ، قال : فو الله

ماتنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها

وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا

تكلم خفضوا أصواتهم عنده ومايحدون إليه النظر تعظيما له .

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، وفدت على

قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه مايعظم أصحاب

محمد محمدا ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده (1) .

وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا

أصواتهم عنده ومايحدون النظر إليه تعظيما له ، وإنه قد عرض عليكم

خطة رشد فاقبلوها .

فقال رجل من بني كنانة : دعوني آتيه . فقالوا : ائته . فلما أشرف على النبي صلى الله

عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا فلان وهو من قوم يعظمون

البدن فابعثوها له . فبعثت له واستقبله الناس يلبون . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله

ماينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت . فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلدت

وأشعرت ، فما أرى أن يصدوا عن البيت .

* (هامش) * (1) لعل هذا الوصف مبالغة في الحب والتعظيم ، كان فيه مخالفة لمبادئ الاسلام التي تدعو إلى النظافة

وتحث على التطهر ، ولعل هذا لا يتناسب مع ماكان عليه المسلمون من وضاءة وطهر . ونحن لاننكر

الرواية ولكننا نحملها على المبالغة والتجوز . (*)

فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال : دعوني آتيه . قالوا : ائته . فلما

أشرف عليهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا مكرز وهو رجل فاجر . فجعل

يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو .

قال معمر : فأخبرني أيوب ، عن عكرمة ، أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : " لقد سهل لكم من أمركم " .

قال معمر : قال الزهري في حديثه : فجأء سهيل فقال : هات فاكتب بيننا وبينكم

كتابا . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب

بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ماأدري ماهو ، ولكن اكتب

باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن

الرحيم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم .

ثم قال : هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك

رسول الله ماصددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبدالله . فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إني لرسول الله وإن كذبتموني ، اكتب محمد

ابن عبدالله .

قال الزهري : وذلك لقوله : لايسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله ،

إلا أعطيتهم إياها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به .

قال سهيل : والله لاتتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل .

فكتب . فقال سهيل : وعلى أنه لايأتيك منا رجل وأن كان على دينك إلا

رددته إلينا .

قال المسلمون : سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما . (*)

ـ 334ـ

فبينما هم كذلك إذ جاء أبوجندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج

من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يامحمد أول من

أقاضيك عليه أن ترده إلي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا لم نقض الكتاب بعد .

قال : فوالله إذا لم أصالحك على شئ أبدا . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأجزه لي .

قال : ماأنا بمجيزه لك . قال : بلى فافعل . قال : ماأنا بفاعل . قال مكرز : بلى

قد أجزناه لك .

قال أبوجندل : أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما ، ألا ترون

ماقد لقيت ؟ وكان قد عذب عذابا شديدا في الله . فقال عمر رضى الله عنه : فأتيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : ألست نبي الله حقا ؟ قا ل : بلى . قلت : ألسنا

على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطي الدنية ؟ في ديننا إذن ؟ .

قال : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري .

قلت : أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : " بلى ، فأخبرتك

أنا نأتيه العام " ؟ قال : قلت : لا . قال : " فإنك آتيه ومطوف به " .

قال : فأتيت أبا بكر فقلت : ياأبابكر أليس هذا نبي الله حقا . قال بلى . قلت :

ألسنا على الحق وعدونا على الباطل . قال : بلى . قال : قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا

إذن . قال : أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه

فوالله إن على الحق .

قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك

تأتيه العام . فقلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوف به .

قال الزهري : قال عمر : فعملت لذلك أعمالا .

قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه :

قوموا فانحروا ثم احلقوا .

ـ 335ـ

قال : فوالله ماقام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد

دخل على أم سلمة فذكر لها مالقى من الناس ، فقالت أم سلمة : يانبي الله أتحب ذلك ؟

اخرج ثم لاتكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك .

فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك : نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا

ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما .

ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات

مهاجرات فامتحنوهن " حتى بلغ " بعصم الكوافر " فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له

في الشرك . فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية .

ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فجاءه أبوبصير ، رجل من قريش ، وهو

مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا

به حتي بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبوبصير لاحد الرجلين : والله

إني لارى سيفك هذا يافلان جيدا . فاستله الآخر فقال : أجل والله إنه لجيد لقد جربت

به ثم جربت . فقال أبوبصير : أرني أنظر إليه . فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر

الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه :

" لقد رأى هذا ذعرا " . فلماانتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : قتل والله صاحبي وإني لمقتول . فجاء

أبوبصير فقال : يانبى الله قد والله أوفى الله ذمتك ، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ويل أمه ! مسعر حرب لو كان له أحد !

فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر .

قال : وينفلت منهم أبوجندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبي بصير ، فجعل لايخرج

من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله مايسمعون

ـ336ـ

بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم .

فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده بالله والرحم لما أرسل إليهم فمن

أتاه فهو آمن ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم . فأنزل الله تعالى : " وهو الذي كف

أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم " حتى

بلغ : " الحمية حمية الجاهلية " .

وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم ،

وحالوا بينهم وبين البيت .

فهذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهري ، فقد

رواه عن الزهري عن جماعة منهم سفيان بن عيينة ومعمر ومحمد بن إسحاق ، كلهم عن

الزهري عن عروة عن مروان ومسور ، فذكر القصة .

وقد رواه البخاري في أول كتاب الشروط عن يحيى بن بكير ، عن الليث بن سعد ،

عن عقيل عن الزهري عن عروة عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ، عن

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر القصة .

وهذا هو الاشبة ، فإن مروان ومسورا كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما

أخذاه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

وقال البخاري : حدثنا الحسن بن إسحاق ، حدثنا محمد بن سابق ، حدثنا مالك

ابن مغول ، سمعت أبا حصين قال : قال أبووائل ، : لما قدم سهيل بن حنيف من صفين

أتيناه نستخبره فقال : اتهموا الرأي ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد

على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره لرددت ، والله ورسوله أعلم : ، وماوضعنا أسيافنا

ـ 337 ـ

عن عواتقنا لامر يفظعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه ، قبل هذا الامر مانسد منها خصما

إلا انفجر علينا خصم (1) ماندري كيف نأتي له .

وقال البخاري : حدثنا عبدالله بن يوسف : أخبرنا مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن

أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب

يسير معه ليلا ، فسأله عمر بن الخطاب عن شئ فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم

سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب : ثكلتك أمك ياعمر ، نزرت (2)

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لايجيبك .

قال عمر : فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين ، وخشيت أن ينزل في قرآن ،

فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بي ، قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن .

فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال : " لقد أنزلت علي الليلة

سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس " ثم قرأ : " إنا فتحنا لك فتحا مبينا " .

قلت : وقد تكلمنا على سورة الفتح بكمالها في كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد

والمنة ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليفعل .

* (هامش) * (1) الخصم : الجانب . ويريد بهذا الامر : الفتنة التي حدثت بين على ومعاوية .

(2) نزرت : ألححت عليه . (*)

ـ 338 ـ

فصل في ذكر السرايا والبعوث

التي كانت في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ماأورده الحافظ البيهقي عن الواقدي :

في ربيع الاول منها أو الآخر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن

محصن في أربعين رجلا إلى ـ غرو مرزوق ـ (1) فهربوا منه ونزل على مياهم وبعث في

آثارهم وأخذ منهم مائتي بعير فاستاقها إلى المدينة .

وفيها كان بعث أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة بأربعين رجلا أيضا ، فساروا

إليهم مشاة حتى أتوها في عماية الصبح ، فهربوا منه في رءوس الجبال ، فأسر منهم

رجلا فقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه محمد بن مسلمة في عشرة نفر وكمن

القوم لهم حتى باتوا ـ فقتل (2) ـ أصحاب محمد بن مسلمة كلهم وأفلت هو جريحا .

وفيها كان بعث زيد بن حارثة بالجموم (3) فأصاب امرأة من مزينة يقال لهاحليمة ،

فدلتهم على محله من محال بني سليم فأصابوا منها نعما وشاء وأسروا ـ جماعة من

المشركين ـ (4) وكان فيهم زوج حليمة هذه فوهبه رسول الله صلى عليه وسلم

لزوجها وأطلقهما .

وفيها كان بعث زيد بن حارثة أيضا في جمادي الاولى إلى بني ثعلبة في خمسة

عشر رجلا ، فهربت منه الاعراب ، فأصاب من نعمهم عشرين بعيرا ثم رجع بعد

أربع ليال .

* (هامش) * (1) سقطت من الاصل وأثبتها من المواهب . (2) سقطت من الاصل .

(3) الاصل : الحموم . ومأأثبته من المواهب . (4) سقطت من الاصل وأثبتها من المواهب . (*)

وفيها خرج زيد بن حارثة في جمادي الاولى إلى العيص .

قال : وفيها أخذت الاموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ، فاستجار بزينب

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجارته .

وقد ذكر ابن إسحاق قصته حين أخذت العير التي كانت معه وقتل أصحابه وفر

هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد هاجرت بعد بدر ، فلما جاء المدينة استجار بها فأجارته بعد صلاة الصبح ، فأجاره

لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس برد ماأخذوا من عيره ، فردوا كل شئ

كانوا أخذوه منه حتى لم يفقد منه شيئا ، فلما رجع بها إلى مكة وأدى إلى أهلها ماكان

لهم معه من الودائع أسلم ، وخرج من مكة راجعا إلى المدينة ، فرد عليه رسول الله صلى الله

عليه وسلم زوجته بالنكاح الاول ولم يحدث نكاحا ولاعقدا كماتقدم بيان ذلك .

وكان بين إسلامه وهجرتها ست سنين ، ويروى سنتين .

وقد بينا أنه لامنافاة بين الروايتين ، وأن إسلامه تأخر عن وقت تحريم المؤمنات

على الكفار بسنتين ، وكان إسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح لا كما تقدم في كلام الواقدي

من أنه سنة ست . فالله أعلم .

وذكر الواقدي في هذه السنة أن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر ،

قد أجازه بأموال وخلع ، فلما كان بحسمى لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق فلم

يتركوا معه شيئا ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة أيضا رضى

الله عنه .

قال الواقدي : حدثني عبدالله بن جعفر ، عن يعقوب بن عتبة ، قال : خرج علي

رضى الله عنه في مائة رجل إلى أن نزل إلى حي من بني أسد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول

الله صلى الله عليه وسلم أن لهم جمها يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فسار إليهم بالليل

وكمن بالنهار وأصاب عينا لهم ، فأقر له أنه بعث إلى خيبر يعرض عليهم على أن يجعلوا

لهم تمر خيبر .

قال الواقدي رحمه الله تعالى : وفي سنة ست في شعبان كانت سرية عبدالرحمن بن

عوف إلى دومة الجندل وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هم أطاعوا فتزوج بنت

ملكهم ، فأسلم القوم وتزوج عبدالرحمن بنت ملكهم تماضر بنت الاصبع الكلبية ،

وهي أم أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف

قال الواقدي : في شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين

الذين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم ، فبعث رسول الله صلى الله

عليه وسلم في آثارهم كرز بن جابر في عشرين فارسا فردوهم .

وكان من أمرهم ماأخرجه البخاري ومسلم ، من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن

قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رهطا من عكل وعرينة - وفي رواية : من عكل أو

عرينة - أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله إنا أناس أهل ضرع ،

ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة . فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود (1)

وراع ، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فانطلقوا حتى إذا

كانوا بناحية الحرة قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود

وكفروا بعد إسلامهم ، فبعث النبى صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، فأمر بهم فقطع

أيديهم وأرجلهم وسمر (2) أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا وهم كذلك .

قال قتادة : فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب بعد ذلك حض

على الصدقة ونهى عن المثلة .

* (هامش) * (1) الذود : القطيع من الابل بين الثلاث إلى العشر . (2) سمر : فقأ . (*)

وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن أنس بن مالك .

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 341 سطر 1 الى ص 350 سطر 21

وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن أنس بن مالك .

وفي رواية مسلم عن معاوية بن قرة عن أنس ، أن نفرا من عرينة أتوا رسول الله صلى

الله عليه وسلم فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع في المدينة الموم - وهو البرسام (1) - فقالوا :

هذا الموم قد وقع يارسول ، لو أذنت لنا فرجعنا إلى الابل . قال : نعم فاخرجوا فكونوا

فيها . فخرجوا فقتلوا الراعيين وذهبوا بالابل .

وعنده : سار من الانصار قريب عشرين فأرسلهم إليهم وبعث معهم قائفا يقتص

أثرهم ، فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم .

وفي صحيح البخاري من طريق أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس ، أنه قال :

قدم رهط من عكل فأسلموا واجتووا المدينة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فذكروا ذلك له فقال : الحقوا بالابل واشربوا من أبوالها وألبانها . فذهبوا وكانوا فيها

ماشاء الله ، فقتلوا الراعي واستاقوا الابل فجاء الصريخ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فلم ترتفع الشمس حتى أتى بهم فأمر بمسامير فأحميت فكواهم بها وقطع أيديهم وأرجلهم ،

وألقاهم في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا ولم يحمهم .

وفي رواية عن أنس قال : فلقد رأيت أحدهم يكدم الارض بفيه من العطش .

قال أبوقلابة : فهؤلاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله

صلى الله عليه وسلم .

وقد روى البيهقي من طريق عثمان بن أبي شيبة ، عن عبدالرحمن بن سليمان ، عن

محمد بن عبيد الله ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث

في آثارهم قال : اللهم عم عليهم الطريق ، واجعلها عليهم أضيق من مسك جمل ،

قال : فعمى الله عليهم السبيل : فأدركوا فأتى بهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم .

وفي صحيح مسلم : إنما سملهم لانهم سملوا أعين الرعاء .

* (هامش) * (1) البرسام : ذات الجنب . وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة . (*)

ـ 342ـ

فصل فيما وقع من الحوادث في هذه السنة

أعنى سنة ست من الهجرة .

فيها نزل فرض الحج ، كما قرره الشافعي رحمه الله زمن الحديبية في قوله تعالى

" وأتموا الحج والعمرة لله " .

ولهذا ذهب إلى أن الحج على التراخي لا على الفور ، لانه صلى الله عليه وسلم لم يحج

إلا في سنة عشر .

وخالفه الثلاثة مالك وأبوحنيفة وأحمد ، فعندهم أن الحج يجب على كل من استطاعه

على الفور ، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفادا من قوله تعالى : " وأتموا الحج

والعمرة لله " وإنما في هذه الآية الامر بالاتمام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد

أوردنا كثيرا منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير ولله الحمد والمنة بما

فيه كفاية .

وفي هذه السنة حرمت المسلمات على المشركين ، تخصيصا لعموم ماوقع به الصلح

عام الحديبية على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته علينا ، فنزل

قوله تعالى " ياأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم

بإيمانهن ، فإن علمتموهن مؤمنات فلاترجعوهن إلى الكفار ، لاهن حل لهم ولاهم

يحلون لهن " الآية .

وفي هذه السنة كانت غزوة المريسيع التي كان فيها قصة الافك ونزول براءة

أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كما تقدم .

وفيها كانت عمرة الحديبية ، وما كان من صد المشركين رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأمن الناس فيهن

ـ 343ـ

بعضهم بعضا ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال . وقد تقدم كل ذلك مبسوطا في أماكنه

ولله الحمد والمنة . وولى الحج في هذه السنة المشركون .

قال الواقدي : وفيها في ذي الحجة منها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة

نفر مصطحبين حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الاسكندرية . وشجاع بن وهب

ابن أسد بن جذيمة شهد بدرا إلى الحارث بن أبي شمر الغساني يعني ملك عرب النصارى ،

ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، وهو هرقل ملك الروم ، وعبدالله بن حذافة

السهمي إلى كسرى ملك الفرس ، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي ،

وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة وهو أصحمة بن الحر .

ـ 344ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة سبع من الهجرة

غزوة خيبر في أولها

قال شعبة عن الحاكم ، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى في قوله : " وأثابهم فتحا

قريبا " قال : خيبر .

وقال موسى بن عقبة : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية مكث

عشرين يوما أو قريبا من ذلك ثم خرج إلى خيبر ، وهي التي وعده الله إياها .

وحكى موسى عن الزهري أن افتتاح خيبر في سنة ست والصحيح أن ذلك في أول

سنة سبع . كما قدمنا .

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من

الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن الزهري ، عن عروة عن مروان

والمسور قالا : انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فنزلت عليه

سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى

خيبر فنزل بالرجيع : واد بين ـ خيبر و ـ عطفان فتخوف أن تمدهم عطفان ، حتى أصبح

فغدا عليهم .

قال البيهقي : وبمعناه رواه الواقدي عن شيوخه في خروجه أول سنة سبع

من الهجرة .

ـ 345ـ

وقال عبدالله بن إدريس : عن إسحاق ، حدثني عبدالله بن أبي بكر ، قال : لما

كان افتتاح خيبر في عقيب المحرم ، وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في آخر صفر .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نميلة بن عبدالله الليثي .

وقد قال الامام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا خثيم يعني ابن عراك ،

عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه والنبي صلى الله عليه وسلم في خيبر وقد

استخلف سباع بن عرفطة يعني الغطفاني على المدينة . قال : فانتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة

الصبح في الركعة الاولى كهيعص وفي الثانية ويل للمطففين ، فقلت في نفسي : ويل لفلان

إذا اكتال ـ اكتال ـ بالوافي وإذا كال كال بالناقص .

قال : فلما صلى رددنا شيئا حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر ،

قال : فكلم المسلمين فأشركونا في سهامهم .

وقد رواه البيهقي من حديث سليمان بن حرب ، عن وهيب ، عن خثيم بن عراك ،

عن أبيه عن نفر من بني غفار قال : إن أبا هريرة قدم المدينة فذكره .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر

سلك على عصر وبنى له فيها مسجدا ثم على الصهباء ، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد

يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ،

كانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغني أن غطفان لماسمعوا

بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في

أموالهم وأهليهم حسا ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في

أموالهم وأهليهم وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وقال البخاري : حدثنا عبدالله بن مسلمة ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن

بشير أن سويد بن النعمان أخبره أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر حتى

إذا كانوا بالصهباء - وهي من أدنى خيبر - صلى العصر ثم دعا بالازواد فلم يؤت

إلا بالسويق فأمر به فثرى فأكل وأكلنا ثم قام إلى المغرب فمضمض ثم صلى ولم يتوضأ .

وقال البخاري : حدثنا عبدالله بن مسلمة ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن زيد بن

أبي عبيد ، عن سلمة بن الاكوع قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر : ياعامر ألا تسمعنا من هنيهاتك ؟ وكان عامر

رجلا شاعرا . فنزل يحدوا بالقوم يقول :

لا هم لولا أنت مااهتدينا * ولاتصدقنا ولاصلينا -

فاغفر فداء لك ماأبقينا * وألقين سكينة علينا -

وثبت الاقدام إن لاقينا * إنا إذا صيح بنا أبينا -

- وبالصياح عولوا علينا -

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا السائق ؟ قالوا : عامر بن الاكوع

قال : يرحمه الله ! فقال رجل من القوم : وجبت يانبي الله لولا أمتعتنا به !

فأتينا خيبر فناصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة . ثم إن الله فتحها عليهم فلما أمسى

الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم أوقدوا نيرانا كثيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم ماهذه النيران علي أي شئ توقدون ؟ قالوا : على لحم . قال : علي أي لحم ؟ قالوا : لحم

الحمر الانسية . قال النبي صلى الله عليه وسلم : أهريقوها واكسروها . فقال رجل : يارسول الله

أو نهريقها ونغسلها ؟ فقال : أو ذاك . فلما تصاف الناس كان سيف عامر قصيرا فتناول به

ساق يهودي ليضربه فيرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه ، فلما قفلوا قال

سلمة : رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيدي قال : مالك ؟ قلت : فداك أبي وأمي

زعموا أن عامرا حبط عمله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : كذب من قاله ، إن له لاجرين

- وجمع بين إصبعيه - إنه لجاهد مجاهد قل عربي مشى بها مثله .

ورواه مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل وغيره عن يزيد بن أبى عبيد مثله . ويكون

ـ مثله ـ منصوبا على الحالية من نكرة ، وهو سائغ إذا دلت على تصحيح معنى ، كما جاء في

الحديث (فصلى وراءه رجال قياما) .

وقد روى ابن إسحاق قصة عامر بن الاكوع من وجه آخر فقال : حدثني محمد بن

إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر الاسلمي ، أن أباه حدثه أنه

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الاكوع ، وهو عم

سلمة بن عمرو بن الاكوع : " انزل يابن الاكوع فخذ لنا من هناتك " . قال : فنزل يرتجز

لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

والله لولا الله ماهتدينا * ولاتصدقنا ولاصلينا -

- إنا إذا قوم بغوا علينا * وإن أرادو فتنة أبينا -

- فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام إن لاقينا -

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك ربك . فقال عمر بن الخطاب :

وجبت يارسول الله لو أمتعتنا به . فقتل يوم خيبر شهيدا . ثم ذكر صفة قتله كنحو

ما ذكره البخاري .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي مروان الاسلمي ، عن أبيه

عن أبي معتب بن عمرو ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لاصحابه

وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : " اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ،

ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وماأذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية

ـ348ـ

وخير أهلها وخير مافيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر مافيها ، أقدموا

بسم الله " .

وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه .

وقد رواه الحافظ البيهقي ، عن الحاكم ، عن الاصم ، عن العطاردي ، عن يونس

ابن بكير ، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ، عن صالح بن كيسان ، عن أبي مروان

الاسلمي ، عن أبيه عن جده قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر حتى

إذا كنا قريبا وأشرفنا عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : ، قفوا . فوقف الناس

فقال : " اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الارضين السبع ومأقللن ، ورب

الشياطين وما أظللن ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من

شر هذه القرية وشر أهلها وشر مافيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم " .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لاأتهم ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذانا أمسك وإن لم

يسمع أذانا ، فركب وركبنا معه وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ، فلمارأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمد والخميس معه ! فأدبروا هرابا ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خرجت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم

فساء صباح المنذرين .

قال ابن إسحاق : حدثناهرون عن حميد عن أنس بمثله .

وقال البخاري : حدثنا عبدالله بن يوسف ، حدثنا مالك ، عن حميد الطويل ، عن

أنس بن مالك أن رسول الله أتى خيبر ليلا وكان إذا أتى قوما بليل لم يغربهم حتى

يصبح ، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم ، فلما رأوه قالوا : محمد والله ، محمد

والخميس ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرجت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم

فساء صباح المنذرين .

تفرد به دون مسلم .

وقال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا أبوعيينة ، حدثنا أيوب ، عن

محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، قال : صبحنا خيبر بكرة فخرج أهلها بالمساحي ،

فلما بصروا بالنبي صلى الله عليه وسلم قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خرجت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

قال : فأصبنا من لحوم الحمر فنادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله ينهيانكم

عن لحوم الحمر فإنها رجس .

تفرد به البخاري دون مسلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبدالرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، قال :

لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر فوجدهم حين خرجوا إلى زرعهم ومساحيهم ، فلما رأوه

ومعه الجيش نكصوا فرجعوا إلى حصنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الله أكبر

خرجت خيبر ، إناإذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

تفرد به أحمد وهو على شرط الصحيحين .

وقال البخاري : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن

أنس بن مالك قال صلى رسول الله عليه وسلم الصبح قريبا من خيبر بغلس ، ثم قال :

الله أكبر خرجت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

فخرجوا يسعون بالسكك فقتل النبي صلى الله عليه وسلم المقاتلة وسبى الذرية

ـ 350ـ

وكان في السبي صفية ، فصارت إلى دحية الكلبي ، ثم صارت إلى النبي صلى الله عليه

وسلم فجعل عتقها صداقها .

قال عبدالعزيز بن صهيب لثابت : ياأبامحمد ، أأنت قلت لانس : ماأصدقها ؟

فحرك ثابت رأسه تصديقا له . تفرد به دون مسلم . وقد أورد البخاري ومسلم النهي عن

لحوم الحمر الاهلية من طرق تذكر في كتاب الاحكام .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبوطاهر الفقيه ، أنبأنا خطاب بن أحمد الطوسي ،

حدثنا محمد بن حميد الابيوردي ، حدثنا محمد بن الفضل ، عن مسلم الاعور الملائي ، عن

أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز

ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم بني قريظة والنضير على حمار ، ويوم خيبر

على حمار مخطوم برسن ليف وتحته إكاف من ليف .

وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذي ، عن علي بن حجر ، عن علي بن مسهر ،

وابن ماجة ، عن محمد بن الصباح ، عن سفيان ، وعن عمر بن رافع عن جرير ، كلهم عن

مسلم ، وهو ابن كيسان الملائي الاعور الكوفي ، عن أنس به . وقال الترمذي : لا نعرفه

إلا من حديثه وهو يضعف

قلت : والذي ثبت في الصحيح عند البخاري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم أجرى في رفاق خيبر حتى انحسر الازار عن فخذه ، فالظاهر أنه كان يومئذ على

فرس لا على حمار .

ولعل هذا الحديث إن كان صحيحا محمول على أنه ركبه في بعض الايام وهو

محاصرها . والله أعلم .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن سعيد الخزاعي ، حدثنا زياد بن الربيع ، عن

ـ 351ـ

أبى عمران الجوني ، قال : نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة فرأى طيالسة فقال : كأنهم

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 351 سطر 1 الى ص 360 سطر 21

أبى عمران الجوني ، قال : نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة فرأى طيالسة فقال : كأنهم

الساعة يهود خيبر .

وقال البخاري : حدثنا عبدالله بن مسلمة ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عبيد ،

عن سلمة بن الاكوع قال : كان علي بن أبي طالب تخلف عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم في خيبر وكان رمدا ، فقال : أنا أتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟

فلحق به .

فلما بتنا الليلة التي فتحت خيبر قال : لاعطين الراية غدا ، أو ليأخذن الراية

غذا رجل يحبه الله ورسوله يفتح عليه . فنحن نرجوها ، فقيل : هذا علي . فأعطاه

ففتح عليه .

وروى البخاري أيضا ومسلم عن قتيبة عن حاتم به .

ثم قال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن ، عن أبي حازم

قال : أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لاعطين هذه

الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . قال : فبات الناس

يدوكون (1) ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على النبي صلى الله عليه وسلم كلهم

يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : هو يارسول الله يشتكي

عينيه . قال : فأرسل إليه فأتى ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له ،

فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي : يارسول الله أقاتلهم حتى

يكونوا مثلنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم

إلى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لان يهدي الله بك

رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم .

* (هامش) * (1) يدوكون : يختلفون ويسألون . (*)

ـ 352ـ

وقد رواه مسلم والنسائي جميعا عن قتيبة به .

وفي صحيح مسلم والبيهقي من حديث سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله

ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه " . قال عمر : فما أحببت الامارة إلا يومئذ !

فدعا عليا فبعثه ثم قال : " اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولاتلتفت " قال

علي : على ماأقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا

عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منا دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم

على الله " .

لفظ البخاري .

وقال الامام أحمد : حدثنا مصعب بن المقدام وجحش بن المثنى ، قالا : حدثنا

إسرائيل ، حدثنا عبدالله بن عصمة العجلي ، سمعت أبا سعيد الخدري رضى الله

عنه يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الراية فهزها ثم قال : من يأخذها

بحقها ؟ فجاء فلان فقال : أنا . قال : امض . ثم جاء رجل آخر فقال : امض . ثم قال

النبي صلى الله عليه وسلم : " والذي كرم وجه محمد لاعطينها رجلا لايفر " فقال :

هاك ياعلي .

فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدها .

تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به ، وفيه غرابة .

وعبدالله به عصمة ، ويقال ابن أعصم ، وهكذاا يكنى بأبى علوان العجلي ، وأصله

من اليمامة سكن الكوفة ، وقد وثقه ابن معين ، وقال أبوزرعة : لا بأس به ، وقال

أبوحاتم : شيخ . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : يخطئ كثيرا . وذكره في

الضعفاء ، وقال : يحدث عن الاثبات مما لايشبه حديث الثقات حتى يسبق إلى القلب

أنها موهومة أوموضوعة .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثني بريدة بن سفيان بن فروة

الاسلمي ، عن أبيه ، عن سلمة بن عمرو بن الاكوع رضى الله عنه قال : بعث النبي صلى

الله عليه وسلم أبابكر رضى الله عنه إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ثم رجع ولم يكن

فتح وقد جهد .

ثم بعث عمر رضى الله عنه فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح . فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، يفتح الله

على يديه ، وليس بفرار .

قال سلمة : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضى الله

عنه ، وهو يومئذ أرمد ، فتفل في عيينة ثم قال : " خذ الراية وامض بها حتى يفتح

الله عليك " . فخرج بها والله يأنح (1) يهرول هرولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره ، حتى ركز رايته في

رضم (2) من حجارة تحت الحصن ، فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال : من أنت ؟

قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال اليهودي : غلبتم ومأأنزل على موسى . فما رجع حتى

فتح الله على يديه .

وقال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الاصم ، أنبأنا العطاردي ، عن يونس بن بكير ، عن

الحسين بن واقد ، عن عبدالله بن بريدة ، أخبرني أبي ، قال : لما كان يوم خيبر أخذ اللواء

* (هامش) * (1) يأنح : من لانيح وهو علو النفس من شدة العدو . وتروى : يصول .

(2) الرضم : حجارة بعضها فوق بعض ، من غير بناء . (*)

أبوبكر ، فرجع ولم يفتح له ، وقتل محمود بن مسلمة ورجع الناس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لادفعن لوائي غدا إلى رجل يحب الله ورسوله

ويحبه الله ورسوله ، لن يرجع حتى يفتح الله له " فبتنا طيبة نفوسنا أن الفتح غدا ، فصلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة ، ثم دعا باللواء وقام قائما ، فما منا من رجل له

منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل ، حتى

تطاولت أنا لها ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه ، فدعا علي بن أبي طالب وهو يشتكي

عينيه . قال : فمسحها ثم دفع إليه اللواء ففتح له ، فسمعت عبدالله بن بريدة يقول :

حدثني أبي أنه كان صاحب مرحب .

قال يونس : قال ابن إسحاق : كان أول حصون خيبر فتحا حصن ناعم ، وعنده قتل

محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحى منه فقتلته .

ثم روى البيهقي ، عن يونس بن بكير ، عن المسيب بن مسلمة الازدي ، حدثنا

عبدالله بن بريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشقيقة (1)

فلبث اليوم واليومين لايخرج ، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس ، وإن

أبا بكر أخذ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فأخذها عمر

فقاتل قتالا شديدا هوأشد من القتال الاول ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال : " لاعطينها غدا ـ رجلا ـ يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة " وليس

ثم علي ، فتطاولت لهاقريش ، : ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك ، فأصبح

وجاء علي بن أبي طالب على بعير له حتى أناخ قريبا وهو أرمد قد عصب عينه بشقة برد

* (هامش) * (3) الشقيقة : وجع يأخذ نصف الرأس والوجه . (*)

ـ 355ـ

قطرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ قال : رمدت بعدك . قال : ادن

مني . فتفل في عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله .

ثم أعطاه الراية فنهض بها جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها ، فأتى مدينة

خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يماني وحجر قد ثقبه مثل البيضة على

رأسه وهو يرتجز ويقول :

- قد علمت خيبر أني مرحب * شاك سلاحي بطل مجرب -

- إذا الليوث أقبلت تلهب * وأحجمت عن صولة المغلب -

فقال على رضى الله عنه :

- أناالذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات شديد القسوره -

- أكليكهم بالصاع كيل السندره - (1)

قال : فاختلفا ضربتين ، فبدره علي بضربة فقد الحجر والمغفر ورأسه ، ورقع في

الاضراس ، وأخذ المدينة .

وقد روى الحافظ البزار عن عباد بن يعقوب ، عن عبدالله بن بكر ، عن حكيم

ابن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قصة بعث أبي بكر ثم عمر يوم خيبر ثم

بعث علي فكان الفتح على يديه . وفي سياقه غرابة ونكارة وفي إسناده من هو متهم

بالتشيع . والله أعلم .

وقد روى مسلم والبيهقي واللفظ له ، من طريق عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة

ابن الاكوع عن أبيه ، فذكر حديثا طويلا وذكر فيه رجوعهم عن غزوة بني فزارة : قال :

فلم نمكث إلا ثلاثا حتى خرجنا إلى خيبر . قال : وخرج عامر فجعل يقول :

* (هامش) * (1) السندرة : ضرب من الكيل غراف جراف . (*)

ـ 356 ـ

- والله لولا أنت مااهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا -

- ونحن من فضلك ما استغنينا * فأنزلن سكينة علينا -

- وثبت الاقدام إن لاقينا -

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا القائل ؟ فقالوا : عامر . فقال :

غفر لك ربك . قال : وماخص رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أحدا به إلا استشهد .

فقال عمر وهو على جمل : لولا متعتنا بعامر !

قال : فقدمنا خيبر فخرج مرحب وهويخطر بسيفه ويقول :

- قد عملت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب -

إذا الحروب أقبلت تلهب -

قال : فبرز له عامر رضى الله عنه وهو يقول :

- قد علمت خيبر أني عامر * شاكي السلاح بطل مغامر -

قال : فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب في ترس عامر فذهب يسعل له (1) ، فرجع

على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه .

قال سلمة : فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : بطل

عمل عامر قتل نفسه !

قال : ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأناأبكي فقال : مالك ؟ فقلت :

قالوا : أن عامرا بطل عمله . فقال : من قال ذلك ؟ فقلت : نفرمن أصحابك . فقال :

كذب أولئك ، بل له الاجر مرتين .

قال : وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي رضى الله عنه يدعوه وهو

أرمد وقال : لاعطين الراية اليوم رجلا يحبه الله ورسوله . قال : فجئت به أقوده . قال :

فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينه فبرأ . فأعطاه الراية ، فبرز مرحب وهويقول : ،

* (هامش) * (إ) يسعل : ينشط . (*)

ـ 357ـ

- قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب -

إذا الحروب أقبلت تلهب -

قال : فبرز له علي وهويقول :

- أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره -

- أوفيهم بالصاع كيل السندره -

قال : فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح .

هكذا وقع في هذا السياق أن عليا هوالذي قتل مرحبا اليهودي لعنه الله .

وقال أحمد : ، حدثنا حسين بن حسن الاشقر ، حدثني قابوس بن أبي ظبيان ، عن

أبيه عن جده عن علي قال : لماقتلت مرحبا جئت برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري ، أن الذي قتل مرحبا هو محمد بن مسلمة .

وكذلك قال محمد بن إسحاق : حدثني عبدالله بن سهل أحد بني حارثة ، عن

جابر بن عبدالله ، قال : خرج مرحب اليهودي من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول :

- قد علمت خيبرأني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب -

- أطعن أحيانا وحينا أضرب * إذا الليوث أقبلت تلهب -

إن حماي للحمى لايقرب -

قال : فأجابه كعب بن مالك ، :

قد علمت خيبر أني كعب * مفرج الغماء جرى صلب -

- إذ شبت الحرب وثار (1) الحرب * معي حسام كالعقيق عضب -

- يأطأكم حتى يذل الصعب * بكف ماض ليس فيه عيب -

قال : وجعل مرحب يرتجز ويقول : هل من مبارز ؟ فقال رسول الله صلى لله

* (هامش) * (1) ابن هشام : تلتها الحرب (*)

ـ 358 ـ

عليه وسلم : من لهذا ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا له يارسول الله ، أنا والله الموتور والثائر ،

قتلوا أخي بالامس . فقال : قم إليه اللهم أعنه عليه .

قال : فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عمرية (1) من شجر العشر (2)

المسد (3) ، فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها ، كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه

مادونه ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم مافيها فنن ،

ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع فيها فعضت ـ به ـ ، فاستله

وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

وقد رواه الامام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه عن ابن إسحاق بنحوه .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن محمدا ارتجز حين ضربه وقال :

- قد علمت خيبر أني ماض * حلو إذا شئت وسم قاض -

وهكذا رواه الواقدي عن جابر وغيره من السلف ، أن محمد بن مسلمة هو

الذي قتل مرحبا .

ثم ذكر الواقدي أن محمدا قطع رجلي مرحب فقال له : أجهز علي . فقال : لا ، ذق

الموت كما ذاقه محمود بن سلمة . فمر به علي وقطع رأسه ، فاختصما في سلبه إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره

وبيضته . قال : وكان مكتوبا على سيفه :

- هذا سيف مرحب * من يقذفه يعطب -

* (هامش) * (1) العمرية : القديمة .

(2) العشر : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس في أجود منه .

(3) المسد : الشديد القتل . ولم ترد هذه الكلمة في ابن هشام . (*)

ـ 359 ـ

ثم ذكر ابن إسحاق أن أخا مرحب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول : هل

من مبارز ؟

فزعم هشام بن عروة أن الزبير خرج له ، فقالت أم صفية بنت ع بدالمطلب : يقتل

ابني يارسول الله . فقال : بل ابنك يقتله إن شاء الله فالتقيا فقتله الزبير .

قال : فكان الزبير إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ صار مايقول : والله

ماكان بصارم ولكني أكرهته .

وقال يونس عن ابن اسحاق ، عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال : خرجنا مع علي إلى خيبر ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته ، فلما

دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده ،

فتساول علي باب الحصن فترس به عن نفسه ، : فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله

عليه ثم ألقاه من يده ، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك

الباب فما استطعنا أن نقلبه .

وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر .

ولكن روى الحافظ البيهقي والحاكم من طريق مطلب بن زياد ، عن ليث بن أبي

سليم ، عن أبي جعفر الباقر ، عن جابر ، أن عليا حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون

عليه فافتتحوها ، وإنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا !

وفيه ضعف أيضا . وفي رواية ضعيفة عن جابر : ثم اجتمع عليه سبعون رجلا وكان

جهدهم أن أعادوا الباب .

وقال البخاري : حدثنا مكي بن إبراهيم ، حدثنا يزيد بن أبي عبيد ، قال : رأيت

أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت : ياأبامسلم ماهذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتني

ـ 360ـ

يوم خيبر فقال الناس : أصيب سلمة . فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث

نفثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة .

ثم قال البخاري : حدثنا عبدالله بن مسلمة ، حدثنا ابن أبي حازم ، عن أبيه عن

سهل ، قا ل : التقى النبي صلى الله عليه وسلم والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا ، فمال

كل يوم إلى عسكرهم ، وفي المسلمين رجل لايدع من المشركين شاذة ولافاذة إلا اتبعها

فضربها بسيفه ، فقيل : يارسول الله ما أجزا منا أحد ماأجزا فلان . قال : إنه من أهل

النار . فقالوا : أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ ! فقال رجل من القوم :

لاتبعنه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه ، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه

بالارض وذبابة بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه .

فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أشهد أنك رسول الله قال : وماذلك ؟

فأخبره فقال : " إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار ،

ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه من أهل الجنة .

رواه أيضا عن قتيبة عن يعقوب ، عن أبي حازم ، عن سهل . فذكره

مثله أو نحوه .

ثم قال البخاري : حدثنا أبواليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني سعيد

ابن المسيب أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى لله عليه وسلم لرجل ممن

معه يدعي الاسلام : هذا من أهل النار . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى

كثرت به الجراحة ، حتى كاد بعض الناس يرتاب . فوجد الرجل ألم جراحه فأهوى بيده

إلى كنانته فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه ، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا : يارسول

الله صدق الله حديثك ، انتحر فلان فقتل نفسه . فقال ، : قم يافلان فأذن : إنه لايدخل

ـ 361ـ

الجنة إلا مؤمن ، وإن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ! "

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 361 سطر 1 الى ص 370 سطر 11

الجنة إلا مؤمن ، وإن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ! "

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري قصة العبد الاسود الذي رزقه الله الايمان

والشهادة في ساعة واحدة . وكذلك رواها ابن لهيعة عن أبي الاسود ، عن عروة قالا :

وجاءعبد حبشي أسود من أهل خيبر كان في غنم لسيده ، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا

السلاح سألهم قال : ماتريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي .

فوقع في نفسه ذكر النبي فأقبل بغنمه حتى عمد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

إلى ماتدعو ؟ قال ، : فقال أدعوك إلى الاسلام ، إلى أن تشهدأن لا إله إلا الله وأني رسول الله

وألاتعبد إلا الله . قال : فقال العبد : فماذا يكون لي إن شهدت بذلك وآمنت بالله ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجنة إن مت على ذلك .

فأسلم العبد فقال : يانبي الله إن هذ ه الغنم عندي أمانة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصا ، فإن الله سيؤدي عنك أمانتك . ففعل فرجعت الغنم

إلى سيدها ، فعرف اليهودي أن غلامه قد أسلم .

فقام رسو ل الله صلى الله عليه وسلم فوعظ الناس فذكر الحديث في إعطائه الراية عليا

ودنوه من حصن اليهود وقتله مرحبا ، وقتل مع علي ذلك العبد الاسود ، فاحتمله المسلمون

إلى عسكرهم فأدخل في الفسطاط ، فزعموا أن رسو ل الله صلى الله عليه وسلم اطلع في الفسطاط

ثم اطلع على أصحابه فقال : " لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير ، قد كان الاسلام في قلبه حقا ، وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين ! " .

وقد روى الحافظ البيهقي من طريق ابن وهب ، عن حيوة بن شريح عن ابن الهاد ،

عن شرحبيل بن سعد ، عن جابر بن عبدالله ، قال : كنامع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في غزوة خيبر ، قخرجت سرية فأخذوا إنسانا معه غنم يرعاها فذكر نحوقصة هذا العبد

الاسود وقال فيه : قتل شهيدا وماسجد لله سجد ة !

ثم قال البيهقي : حدثنا محمد بن محمد بن محمد الفقيه ، حدثنا أبوبكر القطان ، حدثنا

أبوالازهر * ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس أن رجلا

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أني رجل أسود اللون قبيح الوجه

لامال لي ، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة ؟ قال : نعم .

فتقدم فقاتل حتى قتل : ، فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مقتول فقال :

لقد حسن الله وجهك وطيب ريحك وكثر مالك وقال : " لقد رأيت زوجتيه من

الحور العين يتنازعان جبته عليه ، يدخلان فيما بين جلده وجبته " .

ثم روى البيهقي من طريق ابن جريج ، أخبرني عكرمة بن خالد ، عن ابن أبي

عمار ، عن شداد بن الهاد ، أن رجلا من الاعراب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

فآمن به واتبعه فقال : أهاجر معك . فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض

أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه وقسم له ،

فأعطى أصحابه ماقسم له وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاء دفعوه إليه فقال : ماهذا ؟ قالوا :

قسم قسمه لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماعلى هذا اتبعتك ولكني اتبعتك

على أن أرمى هاهنا ، وأشار إلى حلقه بسهم ، فأموت فأدخل الجنة . فقال : " إن تصدق

الله يصدقك " .

ثم نهضوا إلى قتال العدو ، فأتى به رسول الله صلى عليه وسلم يحمل وقد أصابه

سهم حيث أشار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هو هو ؟ قالوا : نعم . قال : " صدق

الله فصدقه " .

وكفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قدمه فصلى

عليه وكان مما ظهرمن صلاته : " اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك قتل شهيدا

وأنا عليه شهيد " .

وقد رواه النسائي عن سويد بن نصر ، عن عبدالله بن المبارك عن ابن

جريج به نحوه .

فصل

قال ابن إسحاق ، وتدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاموال بأخذها مالا مالا

ويفتتحها حصنا حصنا ، وكان أول حصونهم فتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن

مسلمة ، ألقيت عليه رحى منه فقتلته . ثم القموص حصن بني أبي الحقيق .

أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا ، منهم صفية بنت حيى بن أخطب ،

وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وبنتي عم لها ، فاصطفى رسول الله صلى الله

عليه وسلم صفية لنفسه ، وكان دحية بن خليفة قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم

صفية ، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها .

قال : وفشت السبايا من خيبر في المسلمين ، وأكل الناس لحوم الحمر فذكر نهى

رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم عن أكلها .

وقداعتنى البخاري بهذا الفصل ، فأورد النهي عنها من طرق جيدة .

وتحريمها مذهب جمهور العلماء سلفا وخلفا وهومذهب الائمة الاربعة .

وقد ذهب بعض السلف ، منهم ابن عباس إلى إباحتها ، وتنوعت أجوبتهم عن

الاحاديث الواردة في النهي عنها .

فقيل : لانها كانت ظهرا يستعينون بها في الحمولة . وقيل : لانها لم تكن خمست

بعد . وقيل : لانها كانت تأكل الغدرة ، يعني جلالة .

ـ 364ـ

والصحيح أنه نهى عنها لذاتها ، فإن في الاثر الصحيح أنه نادى منادي رسول الله

صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر ، فإنها رجس .

فأكفأوها والقدور تفور بها .

وموضع تقرير ذلك في كتاب الاحكام .

قال ابن إسحاق : حدثني سلام بن كركرة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن

عبدالله ، ولم يشهد جابر خيبر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن

أكل لحوم الحمر أذن لهم في لحوم الخيل .

وهذا الحديث أصله ثابت في الصحيحين ، من حديث حماد بن زيد ، عن عمرو بن

دينار ، عن محمد بن علي ، عن جابر رضى الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه

وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في الخيل .

لفظ البخاري .

قال ابن إسحاق : وحدثنا عبدالله بن أبي نجيح ، عن مكحول ، أن النبي صلى الله

عليه وسلم نهاهم يومئذ عن أربع : عن إتيان الحبالى من النساء ، وعن أكل الحمار

الاهلي ، وعن أكل كل ذي ناب من السباع ، وعن بيع المغانم حتى تقسم .

وهذا مرسل .

وقال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى تجيب ،

عن حنش الصنعاني ، قال ، غزونا مع رويفع بن ثابت الانصاري المغرب : فافتتح قرية

من قرى المغرب يقال لهاجربة ، فقام فينا خطيبا فقال : أيها الناس إني لاأقول فيكم

إلا ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فينا يوم خيبر ، قام فينا رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال : لايحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع

ـ 365 ـ

غيره ، يعني إتيان الحبالى من السبي ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب

أمرأة من السبي حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنما

حتى يقسم ، ولا يحل لا مرئ يؤمن بالله واليوم الآخرأن يركب دابة من فئ المسلمين

حتى إذا أعجفها ردها فيه ، ولايحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس يوما من فئ

المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه .

وهكذا روى الحديث أبوداود من طريق محمد بن إسحاق . ورواه الترمذي

عن حفص بن عمرو الشيباني ، عن ابن وهب ، عن يحيى بن أيوب ، عن ربيعة بن سليم ،

عن بشر بن عبيدالله ، عن رويفع بن ثابت مختصرا . وقال : حسن .

وفي صحيح البخاري عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الاهلية وعن أكل الثوم .

وقد حكى ابن حزم عن علي وشريك بن الحنبل أنهما ذهبا إلى تحريم البصل والثوم

النئ والذي نقله الترمذي عنهما الكراهة . فالله أعلم .

وقد تكلم الناس في الحديث الوارد في الصحيحين من طريق الزهري ، عن عبد

الله والحسن ابني محمد بن الحنفية ، عن أبيهما ، عن أبيه علي بن أبي طالب رضى الله عنه ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم

الحمر الاهلية .

هذا لفظ الصحيحين من طريق مالك وغيره ، عن الزهري وهو يقتضي تقييد

تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر .

وهو مشكل من وجهين : أحدهما أن يوم خيبر لم يكن ثم نساء يتمتعون بهن ،

إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسباء عن نكاح المتعة .

الثاني : أنه قد ثبت في صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة ، عن معبد عن أبيه ، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لهم في المتعة زمن الفتح ، ثم لم يخرج من مكة حتى

نهى عنها وقال : إن الله قد حرمها إلى يوم القيامة .

فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها ثم حرمت ، فيلزم النسخ مرتين

وهوبعيد .

ومع هذا فقد نص الشافعي على أنه لايعلم شيئا أبيح ثم حرم ، ثم أبيح ثم حرم ،

غير نكاح المتعة . وماحداه على هذا رحمه الله إلا اعتماده على هذين الحديثين كما

قدمناه (1) .

وقد حكى السهيلي وغيره عن بعضهم أنه ادعى أنها أبيحت ثلاث مرات ، وحرمت

ثلاث مرات . وقال آخرون : أربع مرات . وهذا بعيد جدا . والله أعلم .

واختلفوا أي وقت أول ماحرمت ، فقيل : في خيبر . وقيل : في عمرة القضاء .

وقيل : في عام الفتح . وهذا يظهر . وقيل : في أوطاس . وهو قريب من الذي قبله . وقيل :

في تبوك . وقيل : في حجة الوداع .

رواه أبوداود .

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث علي رضى الله عنه بأنه وقع فيه

تقديم وتأخير .

وإنما المحفوظ فيه مارواه الامام أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن الحسن

وعبدالله ابني محمد عن أبيهما ، وكان حسن أرضاهما في أنفسهما ، أن عليا قال لابن

عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية

زمن خيبر .

* (هامش) * (1) بالاصل بياض بمقدار سطر . (*)

ـ 367 ـ

قالوا : فاعتقد الراوي أن قوله خيبر ظرف للمنهى عنهما ، وليس كذلك إنما هو

ظرف للنهى عن لحوم الحمر ، فأما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفا ، وإنما جمعه معه لان عليا

رضى الله عنه بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ولحوم الحمر الاهلية كماهو المشهور عنه ،

فقال له أمير المؤمنين علي : إنك امرؤ تائه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن

نكاح المتعة ولحوم الحمر الاهلية يوم خيبر .

فجمع له النهي ليرجع عما كما يعتقده في ذلك من الاباحة .

وإلى هذا التقرير كان ميل شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي تغمده الله برحمته آمين .

ومع هذا مارجع ابن عباس عما كان يذهب ـ إليه ـ من ـ إباحة ـ الحمر والمتعة .

أما النهي عن الحمر فتأوله بأنها كانت حمولتهم ، وأما المتعة فإنما كان يبيحها عند

الضرورة في الاسفار ، وحمل النهي على ذلك في حال الرفاهية والوجدان ، وقد

تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ، ولم يزل ذلك مشهورا عن علماء الحجاز إلى

زمن ابن جريج وبعده .

وقدحكى عن الامام أحمد بن حنبل رواية كمذهب ابن عباس ، وهي ضعيفة .

وحاول بعض من صنف في الحلال نقل رواية عن الامام بمثل ذلك . ولايصح أيضا

والله أعلم . وموضع تحرير ذلك في كتاب الاحكام . وبالله المستعان .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى الحصون والاموال .

فحدثني عبدالله بن أبي بكر ، أنه حدثه بعض من أسلم (1) أن بني سليم من أسلم أتوارسول

الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا شئ فلم يجدوا عند

رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يعطيهم إياه ، فقال : " اللهم إنك قدعرفت حالهم وأن

ليست لهم قوة وأن ليس بيدي شئ أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء (2)

* (هامش) * (1) ابن هشام : بعض أسلم (2) الاصل : غنى . وما أثبته من ابن هشام . (*)

وأكثرها طعاما وودكا " . فغدا الناس ففتح عليهم حصن الصعب بن معاذ ، وما بخيبر

حصن كان أكثر طعاما وودكا منه .

قال ابن إسحاق : ولماافتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ماافتتح

وحاز من الاموال ماحاز انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسلالم ، وكان آخر حصون خيبر

افتتاحا ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر : يامنصور أمت أمت .

قال ابن إسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان الاسدي الاسلمي ، عن بعض رجال بني

سلمة ، عن أبى اليسر كعب بن عمرو ، قال : إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر

ذات عشية إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : من رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ قال أبواليسر : فقلت : أنا

يارسول الله . قال : فافعل .

قال : فخرجت أشتد مثل الظليم ، فلما نظر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا

قال : اللهم أمتعنا به . قال : فأدركت الغنم وقد دخلت أولها الحصن ، فأخذت

شاتين من أخراها ف إحتضنتهما تحت يدي ، ثم جئت بهما أشتد كأنه ليس معي شئ ،

حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوها فأكلوهما .

فكان أبواليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موتا . وكان إذا

حدث هذا الحديث بكى ثم قال : أمتعوا بي لعمري ! حتى كنت من آخرهم .

وقال الحافظ البيهقى في الدلائل : أخبرنا أبومحمد عبدالله بن يوسف الاصبهاني ،

حدثنا أبوسعيد بن الاعرابي ، حدثنا سعدان بن نصر ، حدثنا أبومعاوية ، عن عاصم

الاحول ، عن أبي عثمان النهدي ، أو عن أبي قلابة ، قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم

خيبر قدم والثمرة خضرة ، قال : فأسرع الناس إليها فحموا فشكوا ذلك إليه . فأمرهم

ـ 369 ـ

أن يقرسوا الماء في الشنان (1) ثم يجرونه عليهم إذا أتى الفجر ويذكرون اسم الله عليه ،

ففعلوا ذلك فكأنما نشطوا من عقل .

قال البيهقي : ورويناه عن عبدالرحمن بن رافع ، موصولا ، وعنه : بين صلاتي

المغرب والعشاء .

وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى وبهز ، قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد بن

هلال ، حدثنا عبدالله بن مغفل ، قال : دلى جراب من شحم يوم خيبر فالتزمته فقلت :

لاأعطي أحدا منه شيئا . قال : فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا شعبة ، عن حميد بن هلال ، عن عبدالله بن مغفل ،

قال : كنا نحاصر قصر خيبر ، فألقى إلينا جراب فيه شحم ، فذهبت فأخذته فرأيت

النبي صلى الله عليه وسلم فاستحييت .

وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة . ورواه مسلم أيضا عن شيبان بن

فروخ ، عن عثمان بن المغيرة .

وقال ابن إسحق : ، وحدثني من لاأتهم عن عبدالله بن مغفل المزني قال : أصبت من

فئ خيبر جراب شحم ، قال : فاحتملته على عنقي إلى رحلي وأصحابي . قال : فلقيني

صاحب المغانم الذي جعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هلم حتى تقسمه بين المسلمين .

قال : وقلت : لاوالله لاأعطيكه . قال : وجعل يجاذبني الجراب ، قال : فرآنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغانم : خل بينه وبينه .

قال : فأرسله فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه .

* (هامش) * (1) يقرسوا : يبردوا . والشنان : القرب . (*)

ـ 370 ـ

وقداستدل الجمهور بهذا الحديث على الامام مالك في تحريمه شحوم ذبائح اليهود

وماكان غلبهم عليه غيرهم من المسلمين ، لان الله تعالى قال : " وطعام الذين أوتوا

الكتاب حل لكم " قال : " لكم " قال : وليس هذا من طعامهم . فاستدلوا عليه بهذا

الحديث وفيه نظر . وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالا لهم والله أعلم .

وقد استدلوا بهذا الحديث على أن طعام لايخمس ، ويعضد ذلك مارواه الامام

أبوداود : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبومعاوية ، حدثنا إسحاق الشيباني ، عن

محمد بن أبي مجالد ، عن عبدالله بن أبي أوفى قال : قلت : كنتم تخمسون الطعام

في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أصبنا طعاما يوم خيبر ، وكان الرجل يجئ

فيأخذ منه قدر مايكفيه ثم ينصرف و

تفرد به أبوداود وهو حسن .

ـ 371ـ

ذكر قصة صفية بنت حيى بن أخطب النضرية

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 371 سطر 1 الى ص 380 سطر 22

ذكر قصة صفية بنت حيى بن أخطب النضرية

رضى الله عنها

كان من شأنها أنه لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود بني النضير من المدينة

كما تقدم ، فذهب عامتهم إلى خيبر وفيهم حيى بن أخطب وبنو أبي الحقيق ، وكانوا

ذوى أموال وشرف في قومهم ، وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ ، ثم لما تأهلت

للتزويج تزوجها بعض بني عمها ، فلما زفت إليه وأدخلت إليه بنى بها ومضى على ذلك

ليال ، رأت في منامها كأن قمر السماء قد سقط في حجرها ، فقصت رؤياها على ابن

عمها فلطم وجهها وقال : أتتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك ! .

فما كان إلا مجئ رسول الله صلى عليه وسلم وحصاره إياهم ، فكانت صفية في

جملة السبي ، وكان زوجها في جملة القتلى .

ولما اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت في حوزه وملكه كماسيأتي ،

وبنى بها بعد استبرائها وحلها وجد أثر تلك اللطمة في خدها ، فسألها ماشأنها فذكرت له

ماكانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضى الله عنها وأرضاها .

قال البخاري : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن

أنس بن مالك ، قال : صلى الله عليه وسلم الصبح قريبامن خربغلس ثم

قال : " الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين " .

فخرجوا يسعون في السكك ، فقتل النبي صلى الله عليه وسلم المقاتلة وسبى الذرية ، وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي ، ثم صارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فجعل عتقها صداقها .

ورواه مسلم أيضا من حديث حماد بن زيد ، وله طرق عن أنس .

وقال البخاري : حدثنا آدم ، عن شعبة ، عن عبدالعزيز بن صهيب قال : سمعت

أنس بن مالك يقول : سبى النبي صلى الله عليه وسلم صفية فأعتقها وتزوجها . قال ثابت

لانس : ماأصدقها ؟ قال : أصدقها نفسها فأعتقها .

تفرد به البخاري من هذا الوجة .

قال البخاري : حدثنا عبدالغفار بن داود ، حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن ح .

وحدثنا أحمد بن عيسى ، حدثنا وهب ، أخبرني يعقوب بن عبدالرحمن الزرهري ، عن

عمرو مولى المطلب ، عن أنس بن مالك قال : قدمنا خيبر فلما فتح صلى الله عليه وسلم

الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيى بن أخطب ، وقد قتل زوجها وكانت عروسا ،

فاصطفاها النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه ، فخرج بها حتى بلغ بها سد الصهباء (1) حلت

فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صنع حيسا في نطع (2) صغير ثم قال لي :

آذن من حولك . فكانت تلك وليمته على صفية . ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي

صلى الله عليه وسلم يحوي لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره ، فيضع ركبته وتضع صفية

رجلها على ركبته حتى تركب .

تفرد به دون مسلم .

وقال البخاري : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ،

أخبرني حميد ، أنه سمع أنسا يقول : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خيبر والمد

ثلاث ليال يبنى عليه بصفية ، فدعوت المسلمين إلى وليمته وماكان فيها من خبز ولحم ،

وماكان فيها إلا أن أمر بلالا بالانطاع فبسطت فألقى عليها التمر والاقط والسمن ، فقال

المسلمون : إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه ؟ فقالوا : إن حجبها فهي إحدى

* (هامش) * (1) الصهباء : موضع بينه وبين خيبر مرحلة . والسد : الحاجز .

(2) النطع : بساط من الاديم . (*)

أمهات المومنين ، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه ، فلما ارتحل وطأ لها

خلفه ومد الحجاب .

انفرد به البخاري .

وقال أبوداود : حدثنا مسدد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عبدالعزيز بن صهيب ،

عن أنس بن مالك ، قال : صارت صفية لدحية الكلبي ، ثم صارت لرسول الله صلى

الله عليه وسلم .

وقال أبوداود : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية ، عن عبد

العزيز بن صهيب ، عن أنس قال : جمع السبى - يعني بخيبر - فجاء دحية فقال : يارسول

الله أعطني جارية من السبي قال : اذهب فخذ جارية . فأخذ صفية بنت حيى ، فجاء رجل

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يانبي الله أعطيت دحية . قال يعقوب : صفية

بنت حيى سيدة قريظة والنضير ، ماتصلح إلا لك ، قال : ادعوا بها . فلما نظر إليها النبي

صلى الله عليه وسلم قال : خذ جارية من السبي غيرها . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أعتقها وتزوجها .

وأخرجاه من حديث ابن علية .

وقال أبوداود : حدثنا محمد بن خلاد الباهلي ، حدثنا بهز بن أسد ، حدثنا حماد بن

سلمة : حدثنا ثابت عن أنس ، قال : وقع في سهم دحية جارية جميلة ، فاشتراها رسول

الله صلى الله عليه وسلم بسبعة أرؤس ، ثم دفعها إلى أم سلمة تصنعها وتهيئها . قال حماد :

وأحسبه قال : وتعتد في بيتها ، صفية بنت حيى .

تفرد به أبوداود .

قال ابن إسحاق : فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموص حصن بني أبي

الحقيق أتى بصفية بنت حيى بن أخطب وأخرى معها ، فمر بها بلال - وهو الذي جاء

بهما - على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت

التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعزبوا (1) عني هذه

الشيطانة . وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغني ، حين رأى بتلك اليهودية مارأى :

أنزعت منك الرحمة يابلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ! .

وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق

أن قمرا وقع في حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها فقال : ماهذا إلا أنك تمنين ملك

الحجاز محمدا . فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها . فأتى بها رسول الله صلى الله عليه

وسلم وبها أثر منه ، فسألها ماهذا ، فأخبرته الخبر .

قال ابن إسحاق ، وأتى رسول الله بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنزبني النضير ،

فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه . فأتى رسول لله صلى الله عليه وسلم رجل

من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة

كل غداة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة ، أرأيت إن وجدناه عندك

أقتلك ؟ قال : نعم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها

بعض كنزهم ، ثم سأله عمابقى فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم

الزبير بن العوام فقال : عذبه حتى تستأصل ماعنده ، وكان الزبير يقدح بزنده (2) في

صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه

محمود بن مسلمة .

* (هامش) * (1) أعزبوا : أبعدوا . (2) ابن هشام : زند . (*)

ـ 375 ـ

فصل

قال ابن إسحاق : وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر في حصنيهم

الوطيح والسلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم . ففعل ،

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الاموال كلها الشق والنطاة والكتيبة وجميع

حصونهم ، إلاماكان من ذينك الحصنين ، فلما سمع ـ بهم ـ أهل فدك قد صنعوا ماصنعوا

بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الاموال ففعل .

وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود

أخو بني حارثة .

فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في

الاموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأعمر لها . فصالحهم رسول الله صلى

الله عليه وسلم على النصف على أنا إذاشئنا أن نخرجكم وعامل أهل فدك .

بمثل ذلك .

فصل في فتح حصونها وقسمة أرضها .

قال الواقدي : لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ إلى قلعة

الزبير حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ، فجاء رجل من اليهود يقال

له عزال فقال : ياأبا القاسم تؤمنني على أن أدلك على ماتستريح به من أهل النطاة وتخرج

إلى أهل الشق ، فإن أهل الشق قدهلكوا رعبا منك ؟

قال : فأمنه رسول الله على أهله وماله فقال له اليهودي : إنك لو أقمت شهرا

تحاصرهم ماباليوا بك : ، إن لهم تحت الارض دبولا (1) يخرجون بالليل فيشربون منها ثم

يرجعون إلى قلعتهم .

* (هامش) * (1) الدبول : الجداول . (*)

ـ 376 ـ

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع دبولهم ، فخرجوا فقاتلوا أشد القتال ، وقتل

من المسلمين يومئذ نفر وأصيب من اليهود عشرة ، وافتتحه رسول الله صل صلى الله عليه وسلم

وكان آخر حصون النطاة . وتحول إلى الشق ، وكان به حصون ذوات عدد ، فكان

أول حصن بدأ به منها حصن أبي ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلعة يقال لها

سموان فقاتل عليها أشد القتال ، فخرج منهم رجل يقال له عزول فدعا إلى البراز فبرز إليه

الحباب بن المنذر ، فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ووقع السيف من يده ، وفر اليهودي

راجعا فاتبعه الحباب فقطع عرقوبه . وبزر منهم آخر فقام إليه رجل من المسلمين فقتله

اليهودي ، فنهض إليه أبودجانة فقتله وأخذ سلبه ، وأحجموا عن البراز فكبر المسلون ،

ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه وأمامهم أبودجانة ، فوجدوا فيه أثاثا ومتاعا وغنما وطعاما ،

وهرب من كان فيه من المقاتلة وتقحموا الجرز كأنهم الضباب حتى صاروا إلى حصن

البزاة بالشق ، وتمنعوا أشد الامتناع ، فزحف إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

فتراموا ورمى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة ، حتى أصاب نبلهم

بنانة عليه الصلاة والسلام فأخذ عليه السلام كفا من الحصا فرمى حصنهم بها فرجف بهم

حتى ساخ في الارض وأخذهم المسلمون أخذا باليد .

قال الواقدي : ثم تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الاخبية والوطيح

والسلالم ، حصني أبي الحقيق ، وتحصنوا أشد التحصن وجاء إليهم كل من كان انهزم

من النطاة إلى الشق : ، فتحصنوا معهم في القموص وفي الكتيبة ، وكان حصنا منيعا

وفي الوطيح والسلالم وجعلوا لا يطلعون من حصونهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصب المنجنيق عليهم .

فلما يقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر يوما نزل إليه

ابن أبي الحقيق فصالحه على حقن دمائهم ويسيرهم ويخلون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبين ماكان لهم من الارض والاموال والصفراء والبيضاء والكراع والحلقة وعلى البز ،

إلا ماكان على ظهر إنسان ، يعني لباسهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وبرئت

منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتم شيئا . فصالحوه على ذلك .

قلت : ولهذا لما كتموا وكذبوا وأخفوا ذلك المسك الذي كان فيه أموال جزيلة ،

تبين أنه لاعهد لهم ، فقتل ابني أبي الحقيق وطائفة من أهله ، بسبب نقض العهود

منهم والمواثيق .

وقال الحافظ البيهقي : حدثنا أبوالحسن علي بن محمد المقري ا لاسفراييني ، حدثنا

الحسن بن محمد بن إسحاق ، حدثنا يوسف بن يعقوب ، حدثنا عبدالواحد بن غياث ،

حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا عبيدالله بن عمر ، فيما يحسب أبوسلمة ، عن نافع عن ابن عمر ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم ، فغلب على الارض

والزرع والنخل ، فصالحوه على أن يجلوا منها ولهم ماحملت ركابهم ولرسول الله صلى الله عليه

وسلم الصفراء والبيضاء ، ويخرجون منها ، واشترط عليهم ألا يكتموا ولايغيبوا شيئا ،

فإن فعلوافلا ذمة لهم ولا عهد .

فغيبوا مسكا (1) فيه مال وحلي لحيى بن أخطب ، وكان احتمله معه إلى خيبر حين

أجليت النضير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ : مافعل مسك حيى الذي جاء

به من النضير ؟ فقال : أذهبته النفقات والحروب . فقال : العهد قريب والمال أكثر من ذلك

فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير فمسه بعذاب ، وقد كان حيى قبل ذلك

دخل خربة ، فقال : قد رأيت حييا يطوف في خربة هاهنا . فذهبوا فطافوا فوجدوا

المسك في الخربة .

قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابني أبي الحقيق ، وأحدهما زوج صفية بنت

* (هامش) * (1) المسك : الجلد . (*)

حيى بن أخطب ، وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم

بالنكث الذي نكثوا .

وأراد إجلاءهم منها ، فقالوا : يامحمد دعنا نكون في هذه الارض نصلحها ونقوم

عليها . ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لاصحابه غلال يقومون عليها ، وكانوا

لايفرغون أن يقوموا عليها ، : فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل وشئ ،

ما بد الرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان عبدالله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرجها عليهم ، ثم يضمنهم الشطر ،

فشكوا إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه ، وأرادوا أن يرشوه فقال : ياأعداء

الله تطمعوني السحت ! والله لقد جئتكم من عندأحب الناس إلي ، ولانتم أبغض إلي من

عدتكم من القردة والخنازير ، ولايحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن

لاأعدل عليكم .

فقالوا : بهذاقامت السموات والارض !

قال : فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين صفية خضرة ، فقال : ياصفية ماهذه

الخضرة ؟ فقالت : كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة ، فرأيت كأن قمرا وقع

في حجري ، فأخبرته بذلك فلطمني وقال : تتمنين ملك يثرب .

قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبغض الناس إلى ، قتل زوجي

وأبي ، فما زال يعتذر إلي ويقول : إن أباك ألب علي العرب وفعل مافعل ، حتى ذهب

ذلك من نفسي .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقا من

تمر كل عام وعشرين وسقا من شعير ، فلما كان في زمان عمر غشوا المسلمين وألقوا ابن

عمر من فوق بيت ففدعوا (1) يديه ، فقال عمر : من كان له سهم بخيبر فليحضر حتى

نقسمها . فقسمها . بينهم . فقال رئيسهم : لا تخرجنا دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأبوبكر . فقال عمر : أتراني سقط علي قول رسول الله صلى الله عليه

وسلم : " كيف بك إذا وقصت (2) بك راحلتك نحو الشام يوما ثم يوما ثم يوما " .

وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحديبية .

وقد رواه أبوداود مختصرا من حديث حماد بن سلمة .

قال البيهقي : وعلقه البخاري في كتابه فقال : ورواه حماد بن سلمة . قلت : ولم أره

في الاطراف فالله أعلم .

وقال أبوداود : حدثنا سليمان بن داود المهري ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني أسامة

ابن زيد الليثي ، عن نافع ، عن عبدالله بن عمر ، قال : لمافتحت خيبر سألت يهود رسول

الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم على أن يعملوا على النصف مماخرج منها فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : أقركم فيها على ذلك ماشئنا .

فكانوا على ذلك ، وكان التمر يقسم على السهمان من نصف خيبر ويأخذ رسول الله

صلى الله عليه وسلم الخمس ، وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق من

تمر وعشرين وسقا من شعير .

فلماأراد عمر إخراج اليهود أرسل إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهن :

من أحب منكن أن أقسم لها مائة وسق فيكون لها أصلها وأرضها وماؤها ، ومن

الزرع مزرعة عشرين وسقا من شعير فعلنا ، ومن أحب أن نعزل الذي لها في الخمس

كما هو فعلنا .

* (هامش) * (1) الفدع : اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل . (2) وقصت : أسرعت . (*)

ـ 380 ـ

وقد روى أبوداود من حديث محمد بن إسحاق حدثني نافع ، عن عبدالله بن

عمر ، أن عمر قال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل يهود خيبر على أن

يخرجهم إذا شاء ، فمن كان له مال فليلحق به ، فإني مخرج يهود . فأخرجهم .

وقال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن

شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، أن جبير بن مطعم أخبره قال : مشيت أنا وعثمان بن

عفان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : أعطيت بني المطلب من خمس خيبر

وتركتنا ، ونحن وهم بمنزلة واحدة منك . فقال : " إنما بنو هاشم وبنو المطلب شئ

واحد " . قال جبير بن مطعم ، : ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس

وبني نوقل شيئا .

تفرد به دون مسلم .

وفي لفظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن بني هاشم وبني عبد المطلب

شئ واحد ، إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام " .

قال الشافعي : دخلوا معهم في الشعب وناصروهم في إسلامهم وجاهليتهم .

قلت : وقد ذم أبوطالب بني عبد شمس ونوفلا حيث يقول :

- جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل -

وقال البخاري : حدثنا الحسن بن إسحاق ، حدثنا محمد بن ثابت ، حدثنا زائدة ،

عن عبدالله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم خيبر للفرس سهمين وللرجل سهما .

قال : فسره نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس له فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن

معه فرس فله سهم .

وقال البخاري : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرني زيد ،

ـ 381ـ

عن أبيه ، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 381 سطر 1 الى ص 390 سطر 22

عن أبيه ، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر

الناس ببانا (1) ليس لهم شئ مافتحت على قرية إلا قسمتها كما قسم النبي صلى الله عليه

وسلم خيبر ، ولكني أتركها خزانة لهم يقتسمونها .

وقد رواه البخاري أيضا من حديث مالك ، وأبوداود عن أحمد بن حنبل ، عن ابن

مهدي ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن عمر به .

وهذا السياق يقتضي أن خيبر بكمالها قسمت بين الغانمين .

وقد قال أبوداود : حدثنا ابن السرح ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن

ابن شهاب قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال

وترك من ترك من أهلها بعد القتال .

وبهذا قال الزهري : خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ثم قسم سائرها على

من شهدها .

وفيما قاله الزهري نظر ، فإن الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم ، وإنما قسم نصفها

بين الناس كما سيأتي بيانه .

وقد احتج بهذا مالك ومن تابعه على أن الامام مخير في الاراضي المغنومة ، إن

شاء قسمها وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين ، وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما

ينوبه في الحاجات والمصالح (2) .

قال أبوداود : حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا يحيى

ابن زكريا ، حدثني سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن بشيربن يسار ، عن سهل بن أبي

حثمة قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر نصفين ، نصفا لنوائبه ، ونصفا بين

المسلمين : قسمها بينهم على ثمانية عشر سهما .

* (هامش) * (1) ببانا : أي على طريقة واحدة ، وهي كلمة غير عربية .

(2) ت : " إن شاء قسمها ، وإن شاء قسم بعضها ، كمافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر ،

فإنه خمسها ثم قسم نصفها في الغانمين ، وأرصد نصفها لما ينوبه في الحاجات والمصالح " . (*)

تفرد به أبوداود . ثم رواه أبوداود من حديث بشير بن يسارمرسلا ، فعين

نصف النوائب الوطيح والكتيبة والسلالم وماحيز معها ، ونصف المسلمين الشق

والنطاة وماحيز معهما ، وسهم رسو ل الله صلى الله عليه وسلم فيما حيزمعهما .

وقال أيضا : حدثنا حسين بن علي ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ،

عن بشير بن يسار مولى الانصار ، عن رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر فقسمها على ستة وثلاثين سهما ، جمع

كل سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين النصف من ذلك ،

وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والامور ونوائب الناس .

تفرد به أبوداود .

قال أبوداود : حدثنا محمد بن عيسى ، حدثنا مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد

الانصاري ، سمعت أبي يعقوب بن مجمع يقول عن عمه عبدالرحمن بن زيد الانصاري ،

عن عمه مجمع بن حارثة الانصاري - وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن - قال : قسمت

خيبر على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثمانية عشر سهما ،

وكان الجيش ألفا وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس ، فأعطى الفارس ، سهمين وأعطى

الراجل سهما .

تفرد به أبوداود .

وقال مالك عن الزهري ، أن سعيد بن المسيب أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم

افتتح بعض خيبر عنوة .

. ورواه أبوداود . ثم قال أبوداود : قرئ على الحارث ين مسكين وأنا شاهد ،

أخبركم ابن وهب ، حدثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب أن خيبر بعضها كان عنوة

وبعضها صلحا ، والكتيبة أكثرها عنوة وفيها صلح ، قلت لمالك : وما الكتيبة ؟

ـ383ـ

قال : أرض خيبر ، وهي أربعون ألف عذق . قال أبوداود : والعذق : النخلة .

والعذق العرجون .

ولهذا قال البخاري : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا حرمى ، حدثنا شعبة ، حدثنا عمارة ،

عن عكرمة ، عن عائشة قالت : لمافتحت خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر .

حدثنا الحسن ، حدثنا قرة بن حبيب ، حدثنا عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار ، عن

أبيه ، عن ابن عمر قال : ماشبعنا - يعني من التمر - حتى فتحنا خيبر .

وقال محمد بن إسحاق : كانت الشق والنطاة في سهمان المسلمين ، الشق ، : ثلاثة عشر

سهما ونطاة خمسة أسهم ، قسم الجميع على ألف وثمانمائة سهم ، ودفع ذلك إلى من شهد

الحديبية من حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغب عن خيبر ممن شهد الحديبية إلا جابر

ابن عبدالله فضرب له بسهمه .

قال : وكان أهل الحديبية ألفا وأربعمائة ، وكان معهم مائتا فرس لكل فرس

سهمان ، فصرف إلى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهما ، وزيد المائتا فارس

أربعمائة سهم لخيولهم .

وهكذا رواه البيهقي من طريق سفيان بن عيينة ، عن يحيى بن سعيد ، عن صالح بن

كيسان أنهم كانوا ألفا وأربعمائة معهم مائتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهم وكان أول سهم من سهمان

الشق مع

عاصم بن عدي .

قال ابن إسحاق : وكانت الكتيبة خمسا لله تعالى (1) ، وسهم النبي صلى الله عليه وسلم ،

وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وطعمة أزواج النبي صلى الله عليه

وسلم ، وطعمة أقوام مشوا في صلح أهل فدك ، منهم محيصة بن مسعود أقطعه رسول الله

* (هامش) * (1) ابن هشام : خمس الله . (*)

صلى الله عليه وسلم ثلاثين وسقا من تمر وثلاثين وسقا من شعير . قال : وكان وادياها

اللذان قسمت عليه يقال لهما وادي السرير ووادي خاص .

ثم ذكر ابن إسحاق تفاصيل الاقطاعات منها ، فأجاد وأفاد رحمه الله .

قال : وكان الذي ولى قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أمية بن خنساء أخو بنى

سلمة وزيد بن ثابت رضى الله عنهما .

قلت : وكان الامير على خرص نخيل خيبر عبدالله بن رواحة فخرصها سنتين ، ثم

لما قتل رضى الله عنه في يوم مؤته ولى بعده جبار بن صخر رضى الله عنه .

وقد قال البخاري : حدثنا إسماعيل ، حدثني مالك ، عن عبدالمجيد بن سهيل ، عن

سعيد بن المسيب عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

استعمل رجلا على خيبر بتمر جنيب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أكل

تمر خيبر هكذا ؟ قال : لا والله يارسول الله ، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين ،

والصاعين بالثلاثة ، فقال : " لاتفعل بع الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا " .

قال البخاري : وقال الدراوردي ، عن عبدالمجيد ، عن سعيد بن المسيب ، أن أبا سعيد

وأبا هريرة حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أخا بنى عدى من الانصار

إلى خيبر وأمرة عليها . وعن عبدالمجيد عن أبي صالح السمان ، عن أبي سعيد وأبي

هريرة مثله .

قلت : كان سهم النبي صلى الله عليه وسلم الذي أصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر

وفدك بكمالها ، وهي طائفة كبيرة من أرض خيبر ، نزلوا من شدة رعبهم منه صلوات

الله وسلامه عليه فصالحوه ، وأموال بني النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجب المسلمون عليه

بخيل ولا ركاب .

فكانت هذه الاموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، وكان يعزل منها نفقة

أهله لسنة ، ثم يجعل مابقى مجعل مال الله يصرفه في الكراع والسلاح ومصالح المسلمين .

فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتقدت فاطمة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم

- أو أكثرهن - أن هذه الاراضي تكون موروثة عنه ، ولم يبلغهن ماثبت عنه من

قوله صلى الله عليه وسلم : " نحن معشر الانبياء لانورث ، ماتركناه فهو صدقة " .

ولما طلبت فاطمة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم والعباس نصيبهم من ذلك وسألوا

الصديق أن يسلمه إليهم ، ذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لانورث

ماتركنا صدقة " . وقال : أنا أعول من كان يعول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله

لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي .

وصدق رضى الله عنه وأرضاه ، فإنه البار الراشد في ذلك التابع للحق .

وطلب العباس وعلي على لسان فاطمة ، إذ قد فاتهم الميراث ، أن ينظرا في هذه الصدقة

وأن يصرفا ذلك في المصارف التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصرفها فيها ، فأبى عليهم

الصديق ذلك ، ورأى أن حقا عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله صلى الله عليه

وسلم وألا يخرج من مسلكه ولاعن سننه .

فتغضبت فاطمة رضى الله عنها عليه في ذلك ووجدت في نفسها بعض الموجدة .

ولم يكن لها ذلك ، والصديق من قد عرفت هي والمسلمون محله ومنزلته من رسول

الله صلى الله عليه وسلم وقيامه في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته ،

فجزاه الله عن نبيه وعن الاسلام وأهله خيرا .

وتوفيت فاطمة رضى الله عنها بعد ستة أشهر ثم جدد علي البيعة بعد ذلك ، فلما

كان أيام عمر بن الخطاب سألوه أن يفوض أمر هذه الصدقة إلى علي والعباس ، وثقلوا

عليه بجماعة من سادات الصحابة ، ففعل عمر رضى الله عنه ذلك ، وذلك لكثرة أشغاله

واتساع مملكته وامتداد رعيته .

فتغلب علي على عمه العباس فيها ، ثم تساوقا يختصمان إلى عمر ، وقدما بين أيديهما

جماعة من الصحابة وسألا منه أن يقسمها بينهما فينظر كل منهما فيما لاينظر فيه الآخر .

فامتنع عمر من ذلك أشد الامتناع وخشى أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة المواريث

وقال : انظرا فيها وأنتما جميع ، فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي ، والذي تقوم السماء والارض

بأمره لأقضى فيها قضاء غير هذا .

فاستمرا فيها ومن بعدهما إلى ولدهما إلى أيام بني العباس : تصرف في المصارف التي

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرفها فيها ، أموال بني النضير وفدك وسهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم من خيبر .

فصل

وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء فرضخ (1) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

شيئا من الغنيمة ولم يسهم لهم .

قال أبوداود : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا بشر بن المفضل ، عن محمد بن زيد ،

حدثني عمير مولى آبى اللحم قال : شهدت خيبر مع ساداتي ، فكلموا في رسول الله صلى

الله عليه وسلم فأمر بي فقلدت سيفا ، فإذا أنا أجره ، فأخبر أني مملوك ، فأمر لي بشئ

من طريق المتاع .

ورواه الترمذي والنسائي جمعيا ، عن قتيبة ، عن بشربن المفضل به وقال الترمذي :

* (هامش) * (1) الرضخ : عطاء من الغنيمة غير محدد . (*)

ـ 387 ـ

حسن صحيح . ورواه ابن ماجة عن علي بن محمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن محمد بن

زيد بن المهاجر ، عن منقذ عن عمير به .

وقال محمد بن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء فرضخ

لهن ـ من الفئ (1) ـ ولم يضرب لهن بسهم .

حدثني سليمان بن سحيم ، عن أمية بنت أبي الصلت ، عن امرأة من بني غار قد

سماها لي ، قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من بني عفار ، فقلنا :

يارسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا - وهو يسير إلى خيبر - فنداوي

الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال : " على بركة الله " .

قالت : ، فخرجنا معه ، قالت : وكنت جارية حدثة السن ، فأردفني رسول الله صلى

الله عليه وسلم على حقيبة رحله ، قالت : ـ فوالله لنزل رسول صلى الله عليه وسلم إلى

الصبح ونزلت عن حقيبة رحله (1) ـ قالت : وإذا بها دم مني وكانت أول حيضة حضتها ،

قالت : فتقبضت إلى الناقة واستحييت . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مابي

ورأى الدم قال : " مالك ؟ لعلك نفست " قالت : قلت : نعم ، قال : " فأصلحي من

نفسك ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحا ثم اغسلي ماأصاب الحقيبة من الدم ، ثم

عودي لمركبك " .

قالت : فلما فتح الله خيبر رضخ لنا من الفئ ، وأخذ هذه القلادة التي ترين في

عنقي فأعطانيها وعلقها بيده في عنقي ، فوالله لاتفارقني أبدا . وكانت في عنقها حتى

ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها .

قالت : وكانت لا تطهر من حيضها إلا جعلت في طهورها ملحا ، وأوصت به أن

يجعل في غسلها حين ماتت .

وهكذا رواه الامام أحمد وأبوداود من حديث محمد بن إسحاق به .

* (هامش) * (1) من ابن هشام . (*)

قال شيخنا أبوالحجاج المزي في أطرافه : ورواه الواقدي ، عن أبي بكر بن أبي

سبرة ، عن سليمان بن سحيم ، عن أم علي بنت أبي الحكم ، عن أمية بنت أبي الصلت

عن النبي صلى الله عليه وسلم به .

وقال الامام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا رافع بن سلمة الاشجعي ، حدثني

حشرج بن زياد ، عن جدته أم أبيه ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في

غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت : فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن معه نساء ،

قالت : فأرسل إلينا فدعانا ، قالت : فرأينا في وجهه الغضب فقال : " ماأخرجكن وبأمر

من خرجتن ؟ " قلنا : خرجنا نناول السهام ونسقي السويق ، ومعنا دواء للجرحى

ونغزل الشعر فنعين به في سبيل الله . قال : فمرن فانصرفن .

قالت : فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاما كسهام الرجال ، فقلت لها : ياجدة

ومالذي أخرج لكن ؟ قالت : تمرا .

قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأما أنه أسهم لهن في الارض كسهام الرجال

فلا ! والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : وفي كتابي عن أبي عبدالله الحافظ ، أن عبدالله الاصبهاني

أخبره ، حدثنا الحسين بن الجهم ، حدثنا الحسين بن الفرج ، حدثنا الواقدي ، حدثني

عبدالسلام بن موسى بن جبير ، عن أبيه عن جده ، عن عبدالله بن أنيس قال :

خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر . ومعي زوجتي وهي حبلى فنفست

في الطريق ، فأخبرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : " انقع لها تمرا فإذا انغمر

فأمر به لتشربه " ففعلت فما رأت شيئا تكرهه ، فلما فتحنا خيبر أجدى (1) النساء ولم

يسهم لهن ، فأجدي زوجتي وولدي الذي ولد . قال عبدالسلام : لست أدري

غلام أو جارية .

* (هامش) * (1) أجدى : أعطى . (*)

ـ 389ـ

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ومن كان بقى بالحبشة

ممن هاجر إليها من المسلمين ، ومن انضم إليهم من أهل اليمن

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مخيم بخيبر .

قال البخاري : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبوأسامة ، حدثنا بريد بن عبدالله بن

أبي بردة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن

باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم ، أحدهما أبوبردة والآخر أبورهم ،

إما قال : في بضع ، وإما قال : في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومي .

فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفربن أبي طالب ،

فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا ، فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ، فكان

أناس من الناس يقولون لنا - يعني لاهل السفينة - : سبقناكم بالهجرة .

ودخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا - على حفصة زوج النبي صلى الله عليه

وسلم زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة وأسماء

عندها فقال حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء ابنة عميس . قال عمر : آلحبشية هذه ؟

البحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم . قال سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه

وسلم منكم . فغضبت وقالت : كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ،

ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار - أو في أرض - البعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك في الله

وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وايم الله لاأطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر

ماقلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأسأله ، ووالله لا أكذب ولاأزيع ولا أزيد عليه .

فلما جاءالنبي صلى الله عليه وسلم قالت : يانبي الله إن عمر قال كذاوكذا . قالت : قال :

" فما قلت له ؟ " قالت : قلت كذاوكذا . قال : " ليس بأحق بي منكم ، وله ولاصحابه

هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان " .

قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني أرسالا يسألوني عن هذا

الحديث ، مامن الدنيا شئ هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي صلى

الله عليه وسلم .

قال أبوبردة : قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني .

وقال أبوبردة عن أبي موسى : قال النبي صلى الله عليه وسلم " إني لاعرف أصوات

رفقة الاشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن

بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم بن حزام إذا لقى العدو

- أو قال الخيل - قال لهم : إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم " .

وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وعبدالله بن براد عن أبي أسامة به .

ثم قال البخاري : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا بريد

ـ ابن عبدالله (1) ـ عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، قال : قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم

بعد أن افتتح خيبر ، فقسم لنا ولم يقسم لاحد لم يشهد الفتح غيرنا .

تفرد به البخاري دون مسلم ورواه أبوداود والترمذي وصححه من حديث بريد به

وقد ذكر محمد بن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية

الضمري إلى النجاشي يطلب منه من بقى من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبة جعفر وقد

فتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر .

قال : وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الاجلح عن الشعبي ، أن جعفر بن أبي طالب

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين عيينه والتزمه وقال : " ماأدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر " . * (هامش) * (1) من صحيح البخاري . (*)

ـ 391 ـ

وهكذا رواه سفيان الثوري عن الاجلح ، عن الشعبي مرسلا .

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 391 سطر 1 الى ص 400 سطر 21

وهكذا رواه سفيان الثوري عن الاجلح ، عن الشعبي مرسلا .

وأسند البيهقي من طريق حسن بن حسين العرزمي ، عن الاجلح ، عن الشعبي عن

جابر قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قدم جعفر من الحبشة ،

فتلقاه وقبل جبهته وقال : " والله ما أدري بأيهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر " .

ثم قال البيهقي ، حدثنا أ بوعبدالله الحافظ ، حدثنا الحسين بن أبي إسماعيل العلوي ،

حدثنا أحمد بن محمد البيروتي ، حدثنا محمد بن أحمد بن أبي طيبة ، حدثني مكي بن إبراهيم

الرعيني ، حدثنا سفيان الثوري ، عن أبي الزبير ، عن جابرقال : لما قدم جعفر بن أبي

طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نظر جعفر إليه - حجل -

قال مكي : يعني مشى على رجل واحدة - إعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل

رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه .

ثم قال البيهقي : في إسناده من لايعرف إلى الثوري .

قال ابن إسحاق : وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة إلى أن قدموا معه

خيبر ستة عشر رجلا . وسرد أسماؤهم وأسماء نسائهم وهم : جعفر بن أبي طالب الهاشمي ،

وأمرأته أسماء بنت عميس ، وابنه عبدالله ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن

أمية بن عبد شمس ، وأمرأته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وولداه سعيد ، وأمة بنت خالد

ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، ومعيقيب بن أبي فاطمة ، وكان

إلى آل سعيد بن العاص .

قال : وأبوموسى الاشعري عبدالله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، وأسود

ابن نوفل بن خويلد بن أسد الاسدي ، وجهم بن قيس بن عبد شرحبيل العبدري ،

وقد ماتت امرأته أم حرملة بنت عبد الاسود بأرض الحبشة ، وابنه عمرو ، وابنته خزيمة

ماتا بها رحمهم الله ، وعامر بن أبي وقاص الزهري ، وعتبة بن مسعود حليف لهم من

ـ 392ـ

هذيل ، والحارث بن خالد بن صخر التيمي ، وقد هلكت بها أمرأته ريطة بنت الحارث

رحمها الله ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان الجمحي ، ومحمية بن جزء الزبيدي حليف بني سهم ،

ومعمر بن عبدالله بن نضلة العدوي ، وأبوحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك

ابن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عمرة بنت السعدي ،

والحارث بن عبد شمس بن لقيط الفهري .

قلت : ولم يذكر ابن إسحاق أسماء الاشعريين الذين كانوا مع أبي موسى الاشعري

وأخويه أبا بردة وأبا رهم وعمه أبا عامر ، بل لم يذكر من الاشعريين غير أبي موسى ولم

يتعرض لذكر أخويه وهما أسن منه كما تقدم في صحيح البخاري .

وكأن ابن إسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبي موسى في ذلك . والله أعلم .

قال : وقد كان معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك وقد

حرر هاهنا شيئا كثيرا حسنا .

قال البخاري : حدثنا علي بن عبدالله ، حدثنا سفيان ، سمعت الزهري ، وسأله

إسماعيل بن أمية قال : أخبرني عنبسة بن سعيد ، أن أبا هريرة أتى رسول الله صلى الله

عليه وسلم وسأله - يعني أن يقسم له - فقال بعض بني سعيد بن العاص : لانعطه . فقال

أبوهريرة : هذا قاتل ابن قوقل . فقال : واعجبا لوبر تدلى من قدوم الضأن (1) .

تفرد به دون مسلم .

قال البخاري : ويذكرعن الزبيدي عن الزهري ، أخبرني عنبسة بن سعيد ، أنه

* (هامش) * (1) الوبر : دويبة تشبه السنور ، وتسمى غنم بني إسرائيل . وتدلى : أنحدر . وقدوم الضأن :

جبل بأرض دوس قوم أبي هريرة . أراد بذلك تحقيره . ورواية صحيح البخاري : قدوم الضأل باللام .

وماهنا رواية الاصل وأبى ذر . (*)

سمع أباهريرة يخبر سعيد بن العاص قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبانا على

سرية من المدينة قبل نجد .

قال أبوهريرة : فقدم أبان وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر بعد

ماافتتحها ، وإن حزم خيلهم لليف .

قال أبوهريرة : فقلت : يارسول الله لاتقسم لهم . فقال أبان : وأنت بهذا ياوبر تحدر

من رأس ضأل . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ياأبان اجلس " ولم يقسم لهم .

وقد أسند أبوداود هذا الحديث ، عن سعيد بن منصور ، عن إسماعيل بن عياش ،

عن محمد بن الوليد الزبيدي به نحوه .

ثم قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد ،

أخبرني جدي وهوسعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي

صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، فقال أبوهريرة : يارسول الله هذا قاتل ابن قوقل .

فقال أبان لابي هريرة : واعجبا لك ياوبر (1) تردى من قدوم ضأن ، تنعى علي امرءا

أكرمه الله بيدي ، ومنعه أن يهيننني بيده ؟

هكذا رواه منفردا به هاهنا (2) . وقال في الجهاد بعد حديث الحميدي ، عن سفيان ،

عن الزهري عن عنبسة بن سعيد ، عن أبي هريرة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه

وسلم وهو بخيبر بعد ماافتتحها ، فقلت : يارسول الله أسهم لي . فقال بعض آل سعيد

ابن العاص : لاتقسم له . فقلت : يارسول الله هذا قاتل ابن قوقل . الحديث .

قال سفيان : حدثنيه السعيدي - يعني عمرو بن يحيى بن سعيد - عن جده عن

أبي هريرة بهذا .

ففي هذا الحديث التصريح من أبي هريرة بأنه لم يشهد خيبر وتقدم في أول هذه

* (هامش) * (1) صحيح البخاري : واعجبا لك وبر تدأتدأ .

(2) من هنا إلى أول خبر الحجاج علاط ساقطة من (أ) . (*)

ـ 394 ـ

الغزوة . رواه الامام أحمد من طريق عراك بن مالك ، عن أبي هريرة وأنه قدم على

رسول الله صلى عليه وسلم بعد ماافتتح خيبر فكلم المسلمين فأشركونا في أسهامهم .

وقال الامام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن يزيد ، عن

عمار بن أبي عمار ، قال : ماشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنما قط إلا قسم

لي ، إلا خيبر فإنها كانت لاهل الحديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبوموسى جاءا بين الحديبية وخيبر .

وقد قال البخاري : حدثنا عبدالله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو

إسحاق ، عن مالك بن أنس ، حدثني ثور ، حدثني سالم مولى ـ عبدالله ـ بن مطيع ،

أنه سمع أبا هريرة يقول : افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهبا ولافضة ، إنما غنمنا الابل والبقر

والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى ومعه

عبد له يقال له مدعم أهداه له بعض بني الضبيب ، فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى

الله عليه وسلم إذ جاءه سهم عاثر حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس : هنيئا له الشهادة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم

خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا " . فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراك أو شراكين

فقال : هذا شي ء كنت أصبته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " شراك أو

شراكين من نار " .

ذكر قصة الشاة المسمومة

وماكان من أمر البرهان الذي ظهر عندها والحجة البالغة فيها

قال البخاري : رواه عروة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

حدثنا عبدالله بن يوسف ، حدثنا الليث ، حدثني سعيد ، عن أبي هريرة قال : لما

فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم .

هكذا أورده هاهنا مختصرا .

وقد قال الامام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن

أبي هريرة قال : لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم ، فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : " اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود " فجمعوا له ، فقال النبي صلى

الله عليه وسلم : " إني سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقي عنه ؟ " قالوا : نعم ياأبا القاسم .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أبوكم ؟ " قالوا : أبونا فلان ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كذبتم بل أبوكم فلان " قالوا : صدقت وبررت .

فقال : " هل أنتم صادقي عن شئ إذا سألتكم عنه ؟ " قالوا : نعم يا أباالقاسم ، وإن

كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من

أهل النار ؟ " فقالوا : نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم " والله لانخلفكم فيها أبدا " .

ثم قال لهم : " هل أنتم صادقي عن شئ إذا سألتكم ؟ " فقالوا : نعم ياأبا القاسم

فقال : " هل جعلتم في هذه الشاة سما ؟ " فقالوا : نعم . قال : " ماحملكم على ذلك ؟ " .

قالوا أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك .

وقد رواه البخاري في الجزية عن عبدالله بن يوسف ، وفي المغازي أيضا عن قتيبة ، كلاهما

عن الليث به . وقال البيهقي : أنبأنا أ بوعبدالله الحافظ ، أبنأنا أ بوالعباس الاصم ، حدثنا

سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن سعيد بن

المسيب وأبي سلمة بن عبدالرحمن ، عن أبي هريرة ، أن امرأة من يهود أهدت لرسول

الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فقال لاصحابه : " أمسكوا فإنها مسمومة " وقال لها :

" ماحملك على ماصنعت ؟ " قالت : أردت أن أعلم إن كنت نبيا فسيطلعك الله عليه ،

وإن كنت كاذبا أريح الناس منك . قال : فما عرض لهارسول الله صلى الله

عليه وسلم .

رواه أبوداود عن هارون بن عبدالله ، عن سعيد بن سليمان به .

ثم روى البيهقي عن طريق عبدالملك بن أبي نضرة ، عن أبيه ، عن جابر بن

عبدالله نحو ذلك .

وقال الامام أحمد : حدثنا شريح ، حدثنا عباد ، عن هلال - هو ابن خباب - عن

عكرمة ، عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة

مسمومة ، فأرسل إليها فقال : " ماحملك على ماصنعت ؟ " قالت : أحببت - أو أردت -

إن كنت نبيا فإن الله سيطلعك عليه ، وإن لم تكن نبيا أريح الناس منك .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد من ذلك شيئا احتجم ، قال :

فسافر مرة فلما أحرم وجد من ذلك شيئا فاحتجم .

تفرد به أحمد وإسناده حسن .

وفي الصحيحين من حديث شعبة عن هشام بن زيد ، عن أنس بن مالك ، أن امرأة

يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها ، فجئ بها إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك ، قالت : أردت لاقتلك . فقال : " ماكان

الله ليسلطك علي " أو قال : " على ذلك " . قالوا : ألا تقتلها ؟ قال : " لا " .

قال أنس : فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبوداود : حدثنا سليمان بن داود المهري ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ،

عن ابن شهاب ، قال : كان جابر بن عبدالله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة

مصلية (1) ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذراع فأكل منها ، وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم : " ارفعوا أيديكم " .

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرأة فدعاها فقال لها " أسممت هذه

الشاة ؟ " قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال : " أخبرتني هذه التي في يدي " وهي الذراع ،

قالت : ـ نعم ـ . قال : " فما أردت بذلك ؟ " قالت : قلت : إن كنت نبيا فلن تضرك ،

وإن لم تكن نبيا استرحنا منك .

فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها ، وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا

من الشاة ، واحتجم النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة ،

حجمه أبوهند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضه من الانصار .

ثم قال أبوداود ، : حدثنا وهب بن بقية ، حدثنا خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي

سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية نحو حديث

جابر . قال : فمات بشر بن البراء بن معرور ، فأرسل إلى اليهودية فقال : " ماحملك

على الذي صنعت ؟ " فذكر نحو حديث جابر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت

ولم يذكر أمر الحجامة .

قال البيهقي : ورويناه من حديث حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ،

عن أبي هريرة .

قال : ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء ، ثم لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها .

وروى البيهقي من حديث عبدالرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبدالرحمن

* (هامش) * (1) مصلية : مشوية . (*)

ابن كعب بن مالك ، أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مصلية

بخيبر ، فقال : " ماهذه ؟ " قالت : هدية . وحذرت أن تقول صدقة فلا يأكل .

قال : فأكل وأصحابه ثم قال : " أمسكوا " ثم قال للمرأة : " هل سممت ؟ " قالت : من أخبرك هذا ؟ قال : " هذا العظم " لساقها وهو في يده ، قالت : نعم . قال :

" لم " قالت : أردت إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك . قال :

فاحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الكاهل وأمر أصحابه فاحتجموا .

ومات بعضهم .

قال الزهري : فأسلمت فتركها النبي صلى الله عليه وسلم .

قال البيهقي : هذا مرسل ، ولعله قد يكون عبدالرحمن حمله عن جابر بن عبدالله

رضى الله عنه .

وذكر ابن لهيعة عن أبي الاسود ، عن عروة ، وكذلك موسى بن عقبة عن

الزهري قالوا : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقتل منهم من قتل ، أهدت

زينب بنت الحارث اليهودية وهي ابنة أخي مرحب لصفية شاة مصلية وسمتها ، وأكثرت

في الكتف والذراع ، لانه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور ،

وهو أحد بني سلمة ، فقدمت إليهم الشاة المصلية ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم

الكتف وانتهش منها ، وتناول بشر عظما فانتهش منه ، فلما استرط (1) رسو ل الله صلى

الله عليه وسلم لقمته استرط بشر بن البراء ما في فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرني أني نعيت فيها " فقال بشر بن البراء :

* (هامش) * (1) استرط : ابتلع . (*)

ـ 399ـ

والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت ، فما منعني أن ألفظها إلا أني

أعظمتك أن أبغضك طعامك ، فلما أسغت مافي فيك لم أرغب بنفسي عن نفسك

ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعى . فلم يقم بشر من مكانه حتى عادلونه كالطيلسان

وماطله وجعه حتى كان لايتحول حتى يحول .

قال الزهري : قال جابر : واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، حجمه

مولى بني بياضه بالقرن والشفرة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ثلاث سنين

حتى كان وجعه الذي توفي فيه فقال : " مازلت أجد من الاكلة التي أكلت من الشاة

يوم خيبر عدادا (1) حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري " .

فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا .

وقال محمد بن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب

بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية ، وقد سألت أي عضو أحب إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع . فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر

الشاة ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه

بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما

بشر فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال : " إن هذا العظم يخبرني

أنه مسموم "

ثم دعا بها فاعترفت ، فقال : " ماحملك على ذلك " قالت : بلغت من قومي مالم يخف

عليك ، فقلت : إن كان كذابا استرحت منه ، وإن كان نبيا فسيخبر .

قال : فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بشر من أكلته التي أكل .

* (هامش) * (1) عدادا : معاودة للالم . (*)

ـ 400 ـ

قال ابن إسحاق : وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى ، قال : كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه الذي توفى فيه - ودخلت عليه أخت

بشر بن البراء بن معرور - : " ياأم بشر إن هذاالاوان وجدت ـ فيه ـ انقطاع أبهري

من الاكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر "

قال ابن هشام : الابهر : العرق المعلق بالقلب .

قال : فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع

ماأكرمه الله به من النبوة .

وقال الحافظ أبوبكر البزار : حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحراني ،

قالا : حدثنا أبوغياث سهل بن حماد ، حدثنا عبدالملك بن أبي نضرة عن أبيه ، عن أبي

سعيد الخدري ، أن يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة سميطا ، فلما

بسط القوم أيديهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمسكوا فإن عضوا من

أعضائها يخبرني أنها مسمومة " فأرسل إلى صاحبتها : " أسممت طعامك ؟ " قالت :

نعم . قال : " ماحملك على ذلك ؟ " قالت : إن كنت كذابا أن أريح الناس منك ، وإن

كنت صادقا علمت أن الله سيطلعك عليه .

فبسط يده وقال : " كلوا بسم الله " . قال : فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر

أحدا منا .

ثم قال : لايروى عن عبدالملك بن ابي نضرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة . والله أعلم .

وذكر الواقدي أن عيينة بن حصن قبل أن يعلم رأى في منامه رؤيا ورسول الله صلى

الله عليه وسلم محاصر خيبر ، فطمع من رؤياه أن يقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم

ـ401ـ

فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وجده قد افتتحها ، فقال :

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 401 سطر 1 الى ص 410 سطر 23

فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وجده قد افتتحها ، فقال :

يامحمد أعطني ماغنمت من حلفائي - يعني أهل خيبر - فقال له رسول الله صلى الله عليه

وسلم : " كذبت رؤياك " وأخبره بما رأى .

فرجع عيينة فلقيه الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع في غير شئ ، والله

ليظهرن محمد على مابين المشرق والمغرب ، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت

أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول : إنا لنحسد محمدا على النبوة حيث خرجت من بني

هارون ، إنه لمرسل ، ويهود لا تطاوعني على هذا . ولنا منه ذبحان ، واحد بيثرب وآخر

بخيبر . قال الحارث : قلت لسلام : يملك الارض ؟ قال : نعم والتوراة التي أنزلت على

موسى وماأحب أن تعلم يهود بقولي فيه .

فصل

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى

وادي القرى فحاصر أهلها ليالي ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

ثم ذكر من قصة مدعم وكيف جاءه سهم غارب فقتله ، وقال الناس : هنيئا له

الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي

أخذها يوم خيبر لم يصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا " .

وقد تقدم في صحيح البخاري نحو ماذكره ابن إسحاق والله أعلم .

وسيأتي ذكر قتاله عليه السلام بوادي القرى .

قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أبي

عمرة ، عن زيد بن خالد الجهني ، أن رجلا من أشجع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم توفى يوم خيبر ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " صلوا على صاحبكم "

فتغير وجوه الناس من ذلك ، فقال : " إن صاحبكم غل في سبيل الله " ففتشنا متاعه

فوجدنا خرزا من خرز يهود مايساوي درهمين .

وهكذا رواه أبوداود والنسائي من حديث يحيى بن سعيد القطان . ورواه أبو

داود وبشر بن المفضل وابن ماجة من حديث الليث بن سعد ثلاثتهم عن يحيى بن سعيد

الانصاري به . وقد ذكر البيهقي أن بني فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

مرجعه من خيبر وتجمعوا لذلك فبعث إليهم يواعدهم موضعا معينا فلما تحققوا ذلك

هربوا كل مهرب ، وذهبوا من طريقه كل مذهب .

وتقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلت صفية من استبرائها دخل بها

بمكان يقال له سد الصهباء في أثناء طريقه إلى المدينة ، وأولم عليها بحيس ، وأقام ثلاثة

أيام يبنى عليه بها ، وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتاقها صداقها ، وكانت إحدى

أمهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مد عليها الحجاب وهو مردفها وراءه رضى

الله عنها .

وذكر محمد بن إسحاق في السيرة قال : لما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم

بصفية بخيبر - أو ببعض الطريق - وكانت التي جملتها إلى رسول الله صلى عليه وسلم

ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك ، وبات بها رسول

الله صلى الله عليه وسلم في قبة له وبات أبوأيوب متوحشا بسيفه يحرس رسول الله صلى

الله عليه وسلم ويطيف بالقبة حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه

قال : " مالك ياأبا أيوب ؟ " قال : خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت

أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك . فزعموا أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال : " اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني " .

ـ403ـ

ثم قال : حدثني الزهري عن سعيد بن المسيب ، فذكر نومهم عن صلاة الصبح

مرجعهم من خيبر ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولهم استيقاظا فقال : " ماذا

صنعت بنا يابلال ؟ " قال : يارسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك . قال :

" صدقت " ثم اقتاد ناقته غير كثير ثم نزل فتوضأ وصلى كما كان يصليها قبل ذلك .

وهكذا رواه مالك عن الزهري عن سعيد مرسلا . وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال أبوداود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن

ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حين قفل من غزوة خيبر ، فسار ليلة حتى إذا أدركنا الكرى عرس وقال لبلال :

" اكلا لنا الليل " قال : فغلبت بلالا عيناه وهو مستند إلى راحلته فلم يستيقظ النبي

صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولاأحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، وكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم أولهم استيقاظا ، ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : " يابلال "

قال : أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك بأبي أنت وأمي يارسول الله . قال : فاقتادوا

رواحلهم شيئا ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بلالا فأقام الصلاة وصلى لهم

الصبح ، فلما أن قضى الصلاة قال : " من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله تعالى

يقول : " . وأقم الصلاة لذكري " .

قال يونس : وكان ابن شهاب يقرأها كذلك .

وهكذا رواه مسلم عن حرملة بن يحيى ، عن عبدالله بن وهب به ، وفيه أن ذلك

كان مرجعهم من خيبر .

وفي حديث شعبة عن جامع بن شداد ، عن عبدالرحمن بن أبي علقمة ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية ، ففي رواية عنه أن بلالا هو الذي كان

يكلؤهم ، وفي رواية عنه أنه هوالذي كان يكلؤهم .

قال الحافظ البيهقي : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال : وفي حديث عمران بن

حصين وأبي قتادة نومهم عن الصلاة ، وفيه حديث الميضأة ، فيحتمل أن ذلك إحدى

هاتين المرتين أو مرة ثالثة .

قال : وذكر الواقدي في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك .

قال ، : وروى زافر بن سليمان ، عن شعبة ، عن جامع بن شداد ، عن عبدالرحمن ، عن

ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك . فالله أعلم .

ثم أورد البيهقي مارواه صاحب الصحيح من قصة عوف الاعرابي ، عن أبي رجاء

عن عمران بن حصين ، في قصة نومهم عن الصلاة وقصة المرأة صاحبه السطيحتين وكيف

أخذوا منهما ماء روى الجيش بكماله ولم ينقص ذلك منهما شيئا .

ثم ذكر ماوراه مسلم من حديث ثابت البناني ، عن عبدالله بن رباح ، عن أبي قتادة ،

وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك الميضأة وقد رواه

عبدالرزاق عن معمر عن قتادة .

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبدالواحد ، عن عاصم عن

أبي عثمان ، عن أبي موسى الاشعري قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبرا ،

وقال : لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا

أصواتهم بالتكبير : الله أكبر لاإله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" اربعوا على أنفسكم إنكم لاتدعون أصم ولاغائبا إنكم تدعون سميعا قريبا وهو

معكم " . وأنا خلف دابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعني وأنا أقول : لاحول

ولاقوة إلا بالله . فقال : ياعبدالله بن قيس . قلت : لبيك يارسول الله . قال : " ألا أدلك

على كلمة من كنز الجنة ؟ " قلت : بلى يارسول الله فداك أبي وأمي . قال : " لاحول

ولا قوة إلا بالله " .

ـ405ـ

وقد رواه بقية الجماعة من طرق ، عن عبدالرحمن بن مل أبي عثمان النهدي ، عن

أبي موسى الاشعري .

والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر ، فإن أباموسى إنما قدم بعد فتح خيبر .

كماتقدم .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - قد أعطى

ابن لقيم العبسي حين افتتح خيبر مابها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر في صفر ،

فقال ابن لقيم في فتح خيبر :

- رميت نطاة من الرسول بفيلق * شهباء ذات مناكب وفقار (1) -

- واستيقنت بالذل لما شيعت * ورجال أسلم وسطها وغفار -

- صبحت بني عمرو بن زرعة عدوة * والشق أظلم أهله بنهار -

- جرت بأبطحها الذيول فلم تدع * إلا الدجاج تصيح بالاسحار -

- ولكل حصن شاغل من خيلهم * من عبد الاشهل أوبني النجار -

- ومهاجرين قد أعلموا سيماهم * فوق المغافر لم ينوا لفرار -

- ولقد علمت ليغلبن محمد * وليثوين بها إلى أصفار (2) -

- فرت يهود عند ذلك في الوغى * تحت العجاج غمائم الابصار (3)

* (هامش) * (1) نطاة : حصن بخيبر . والفيلق الكتيبة . والشهباء : الكثيرة السلاح وذات مناكب وفقار :

شديدة .

(2) أصفار : جمع صفر وهو الشهر المعروف .

(3) الغمائم : جفون العين . قال السهيلي : وهو بيت مشكل ، غيرأن في بعض النسخ وهي قليلة عن

ابن هشام أنه قال : فرت : فتحت ، من قولك : فرت الدابة ، إذا فتحت فاها ، وغمائم الابصار : هي

مفعول فرت ، وهي جفون أعينهم . انظر الروض الانف . (*)

فصل

في ذكرمن استشهد بخيبر من الصحابة رضى الله عنهم

على ماذكره ابن إسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي

فمن خير المهاجرين ربيعة بن أكتم بن سخبرة الاسدي مولى بني أمية ، وثقيف بن

عمرو ورفاعة بن مسروح حلفاء بني أمية ، وعبدالله بن الهيب بن أهيب بن سحيم بن

غيرة من بني سعد بن ليث حليف بني أسد وابن أختهم . ومن الانصار بشر بن البراء

ابن معرور من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كماتقدم ، وفضيل

ابن النعمان السلميان ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خالد بن عامر بن زريق الزرقي ،

ومحمود بن مسلمة الاشهلي ، وأبوضياح حارثة بن ثابت بن النعمان العمري ، والحارث بن

حاطب ، وعروة بن مرة بن سراقة ، وأوس ـ بن ـ الفائد (1) وأنيف بن حبيب ،

وثابت بن أثلة وطلحة ، وعمارة بن عقبة رمى بسهم فقتله ، وعامر بن الاكوع ثم سلمة

ابن عمرو بن الاكوع أصابه طرف سيفه في ركبته فقتله رحمه الله كماتقدم ، والاسود

الراعي . وقد أفرد ابن إسحاق هاهنا قصته وقد أسلفناها في أوائل الغزوة

ولله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : وممن استشهد بخيبر فيماذكره ابن شهاب من بني زهرة مسعود

ابن ربيعة حليف لهم من القارة ، ومن الانصار ثم من بني عمرو بن عوف أوس بن قتادة

رضى الله عنهم أجمعين .

* (هامش) * (1) الاصل : وأوس الفارض . وما أثبته عن الاصابة . (*)

ـ 407ـ

خبر الحجاج بن علاط البهزي رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : ولمافتحت خير كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج بن

علاط السلمي ثم البهزي فقال : يارسول الله إن لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة

بنت أبي طلحة - وكانت عنده له منها معرض بن الحجاج - ومالا متفرقا في تجار

أهل مكة ، فأذن لي يارسول الله . فأذن له ، فقال : إنه لابد لي يارسول الله من أن

أقول . قال : قل .

قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش

يستمعون الاخبار ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ابلغهم أنه قد

سار إلى خيبر قد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفا ومنعة ورجالا ، وهم يتجسسون الاخبار

من الركبان (1) .

فلما رأوني قالوا : الحجاج بن علاط - قال : ولم يكونوا علموا بإسلامي - عنده والله

الخبر ، أخبرنا ياأبا محمد فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر وهي بلديهود وريف

الحجاز . قال : قلت : قد بلغني ذلك وعندي من الخبر مايسركم . فالتبطوا (2) بجنبي

ناقتي يقولون : إنه ياحجاج ؟ قال : قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقد قتل

أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأسرمحمدا أسرا ، وقالوا : لانقتله ؟ نبعث به إلى

مكة ـ فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا صاحوا بمكة ـ (3)

وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل

بين أظهركم .

* (هامش) * (1) ابن هشام : يتحسسون الاخبار ويسألون الركبان .

(2) التبطوا : مشوا بجانبها ولازموها . (3) من ابن هشام . (*)

قال : قلت : أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي ، فإني أريد أن أقدم خيبر

فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك . قال : فقاموا

فجمعوا لي ماكان كأحث جمع سمعت به ، قال : وجئت صاحبتي فقلت : مالي ، وكان

ـ لي ـ (1) عندها مال موضوع ، فلعلي ألحق بخيبر فأصيب من فرض البيع قبل أن

يسبقني التجار .

قال : فلما سمع العباس بن ع بدالمطلب الخبر وماجاءه عني أقبل حتى وقف إلى

جنبي وأنا في خيمة من خيم التجار ، فقال : ياحجاج ماهذا الذي جئت به ؟ قال : قلت :

وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم . قال : قلت : فاستأخر حتى ألقاك

على خلاء ، فإني في جمع مالي كماترى ، فانصرف حتى أفرغ . قال : حتى إذا

فرغت من جمع كل شئ كان لي بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت : احفظ

علي حديثي يا أباالفضل ، فإني أخشى الطلب ثلاثا ثم قل ماشئت . قال : أفعل . قلت :

فإني والله تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم - يعني صفية بنت حيى - وقد

افتتح خيبر وانتثل مافيها وصارت له ولاصحابه . قال : ماتقول ياحجاج ؟ قال :

قلت : إي والله فاكتم عني ، ولقد أسلمت وماجئت إلا لآخذ مالي فرقا عليه من

أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ماتحب ، قال : حتى

إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق (2) وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى

الكعبة فطاف بها ، فلما رأوه قالوا : يا أباالفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة !

قال : كلا والله الذي حلفتم به ، لقد افتتح محمد خيبر ونزل عروسا على بنت ملكهم

وأحرز أموالهم ومافيها ، وأصبحت له ولاصحابه . قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذي

جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ أمواله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه

* (هامش) * (1) من ابن هشام . (2) تخلق : تطيب بالخلوق . (*)

ـ 409 ـ

فيكون معه ، فقالوا : يالعباد الله ! انفلت عدوالله ، أما والله لوعلمنا لكان لنا وله شأن .

قال : ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك .

وهكذا ذكر ابن إسحاق هذه القصة منقطعة .

وقد أسند ذلك الامام أحمد بن حنبل فقال : حدثنا عبدالرزاق ، حدثنا معمر ،

سمعت ثابتا يحدث عن أنس قا ل : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال الحجاج

ابن علاط : يارسول الله إن لي بمكة مالا وإن لي بها أهلا ، وإني أريد أن آتيهم ، أفأنا

في حل إن أنا نلت منك أو قلت شيئا ؟ فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

يقول ماشاء ، فأتى امرأته حين قدم فقال : اجمعي لي ماكان عندك ، فإني أريد أن

أشتري من عنائم محمد وأصحابه فإنهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم .

قال : وفشا ذلك بمكة ، فانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحا وسرورا .

قال : وبلغ الخبر العباس فعقر وجعل لا يستطيع أن يقوم . قال معمر : فأخبرني

عثمان الخزرجي عن مقسم قال : فأخذ ابنا يقال له قثم واستلقى ووضعه على صدره

وهويقول : - حسبي قثم * شبه ذي الانف الاشم -

- بنى ذي النعم * برغم من زعم -

قال ثابت بن أنس : ثم أرسل غلاماله إلى حجاج بن علاط فقال : ويلك ماجئت

به وماذا تقول ؟ فماوعد الله خير مما جئت به . فقال : حجاج بن علاط : اقرأ على

أبي الفضل السلام وقل له فليخل لي في بعض بيوته لآتيه ، فإن الخبر على مايسره . فجاء

غلامه فلما بلغ الدار قال : أبشر يا أباالفضل . قال : فوثب العباس فرحا حتى قبل بين

عينيه فأخبره ماقال حجاج فأعتقه .

قال : ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افتتح خيبر وغنم

أموالهم ، وجرت سهام الله في أموالهم ، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية

بنت حيى واتخذها لنفسه ، وخيرها أن يعتقها وتكون زوجه أو تلحق بأهلها ، فأختارت

أن يعتقها وتكون زوجته ، قال : ولكني جئت لمال كان هناهنا أردت أن أجمعه فأذهب

به ، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي أن أقول ماشئت ، فأخف على

ثلاثا ثم اذكر مابدا لك .

قال : فجمعت امرأته ماكان عندها من حلي أو متاع فجمعته ودفعته إليه ثم انشمر

به ، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال : مافعل زوجك ؟ فأخبرته أنه

ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت : لايحزنك الله ياأبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك ؟

قال : أجل لايحزنني الله ولم يكن بحمد الله إلا ماأحببنا ، فتح الله خيبر على رسوله

وجرت فيها سهام الله ، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه ، فإن كانت

لك حاجة في زوجك فالحقي به . قالت : أظنك والله صادقا ؟ قا ل : فإني صادق والامر

على ماأخبرتك ، ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم : لايصيبك

إلا خير ياأبا الفضل . قال : لم يصبني إلا خير بحمد الله ، أخبرني الحجاج بن علاط أن

خيبر فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألني

أن أخفي عنه ثلاثا ، وإنما جاء ليأخذ ماله وماكان له من شئ هاهنا ثم يذهب .

قال : فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان

دخل بيته مكتئبا حتى أتى العباس فأخبرهم الخبر ، فسر المسلمون ورد ماكان من كآبة

أو غيظ أو حزن على المشركين .

وهذا الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى

النسائي عن إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق به نحوه .

ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمود بن غيلان عن عبدالرزاق ، ورواه أيضا من

طريق يعقوب بن سفيان ، عن زيد بن المبارك ، عن محمد بن ثور عن معمر به نحوه .

ـ 411ـ

وكذلك ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أن قريشا كان بينهم تراهن عظيم

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 411 سطر 1 الى ص 420 سطر 21

وكذلك ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أن قريشا كان بينهم تراهن عظيم

وتبايع ، منهم من يقول : يظهر محمد وأصحابه . ومنهم من يقول ، : يظهر الحليفان

ويهود خيبر . وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي قد أسلم وشهد مع رسول

الله صلى الله عليه وسلم فتح خيبر ، وكان تحته أم شيبة أخت عبد الدار بن قصي ، وكان

الحجاج مكثرا من المال ، وكانت له معادن أرض بني سليم ، فلما ظهر رسول الله صلى

الله عليه وسلم على خيبر استأذن الحجاج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذهاب إلى مكة

يجمع أمواله ، فأذن له نحو ماتقدم . والله أعلم .

ـ قال السهيلي رحمه الله : روينا في سبب إسلام الحجاج هذا أمرا عجيبا مع الجن .

قال : وهو والد نصر بن حجاج الذي نفاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من المدينة

بسبب افتتان بعض جواري المدينة . وفيه تقول الفريعة بنت همام أم الحجاج بن

يوسف الثقفي :

- ألا سبيل إلى خمر فأشربها * ولا سبيل إلى نصر بن حجاج -

قال : فلماذهب إلى الشام فهوى امرأة أبي الاسود السلمي وأضنى من حبها ، وكان

يقال له الضني . ومات بذلك ـ (1) .

قال ابن إسحاق : ومما قيل من الشعر في غزوة خيبر قول حسان :

- بئس ماقاتلت خيابر عما * جمعوا من مزارع ونخيل -

- كرهوا الموت فاستبيح حماهم * وأقروا فعل الذميم الذليل -

- أمن الموت يهربون فإن المو * ت موت الهزال غير جميل -

وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن أبي زيد الانصاري :

- ونحن وردنا خيبرا وفروضه * بكل فتى عاري الاشاجع مذود (2)

* (هامش) * (1) سقط من المطبوعة . (2) الفروض : مواضع الشرب من الانهار . والاشاجع : عروق

ظاهر الكف . والمذود : ، الحامي المدافع . (*)

- جواد لدى الغايات لا واهن القوى * جرئ على الاعداء في كل مشهد -

- عظيم رماد القدر في كل شتوة * ضروب بنصل المشرفي المهند -

- يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة * من الله يرجوها وفوزا بأحمد -

- يذود ويحمى عن ذمار محمد * ويدفع عنه باللسان وباليد -

- وينصره من كل أمر يريبه * يجود بنفس دون نفس محمد -

- يصدق بالانباء بالغيب مخلصا -

- يريد بذاك العز والفوز في غد -

فصل

في مروره عليه السلام بوادي القرى ومحاصرته قوما من يهود ومصالحته

يهود على ماذكره الواقدي

قال الواقدي : حدثني عبدالرحمن بن عبد العزيز : عن الزهري ، عن أبي سلمة ،

عن أبي هريرة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى وادي

القرى ، وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي قد وهب لرسول الله صلى الله عليه

وسلم عبدا أسود يقال له مدعم ، فكان يرحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نزلنا

بوادي القرى انتهينا إلى يهود وقدم إليها ناس من العرب ، فبينا مدعم يحط رحل رسول

الله صلى الله عليه وسلم وقد استقبلنا يهود بالرمي حين نزلنا ولم نكن على تعبية ، وهم

يصيحون في آطامهم ، فيقبل سهم عائر فأصاب مدعما فقتله ، فقال الناس : هنيئا له الجنة .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم " كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من

المغانم لم تصبها المقاسم لتشتغل عليه نارا " فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم بشراك أو شراكين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " شراك من نار

أو شراكان من نار " وهذا الحديث في الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن يزيد

عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

قال الواقدي : فعبى رسول الله أصحابه للقتال وصفهم ، ودفع لواءه إلى سعد بن

عبادة وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عباد

ابن بشر ، ثم دعاهم إلى الاسلام وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم

وحسابهم على الله .

قال : فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزبير ن بن العوام فقتله ، ثم برز آخر فبرز إليه علي

فقتله ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا ، كلما قتل منهم رجلا دعى من بقى منهم

إلى الاسلام .

ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلى بأصحابه ثم يعود فيدعوهم إلى الاسلام

وإلى الله عزو وجل ورسوله ، وقاتلهم حتى أمسى (1) ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح

حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة وغنمهم الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي القرى أربعة أيام ، فقسم ماأصاب على

أصحابه ، وترك الارض والنخيل في أيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء

ماوطئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وفدك ووادي القرى صالحوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم .

فلما كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادى القرى لانهما

داخلتان في أرض الشام ، ويرى أن مادون وادي القرى إلى المدينة حجاز ، ومن وراء

ذلك من الشام .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة بعد أن فرغ من

خيبر ووادي القرى وغنمه الله غز وجل .

* (هامش) * (1) أ : أمسوا . (*)

قال الواقدي : حدثني يعقوب بن محمد ، عن عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي صعصعة ،

عن الحارث بن عبدالله بن كعب ، عن أم عمارة ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم بالجرف وهو يقول : " لاتطرقوا النساء بعد صلاة العشاء " قالت : فذهب

رجل من الحي فطرق أهله فوجد مايكره ، فخلى سبيلها ولم يهجر ، وضن بزوجته

أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فرأى مايكره .

فصل

ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر عامل يهودها

عليها على شطر مايخرج منها من تمر أو زرع .

وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملوها من أموالهم ، وفي بعضها : وقال

لهم النبي صلى الله عليه وسلم : " نقركم فيها ماشئنا " .

وفي السنن أنه كان يبعث عليهم عبدالله بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء

ثمارها ثم يضمنهم إياه ، فلما قتل عبدالله بن رواحة بمؤتة بعث جبار بن صخر كما

تقدم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طرقه كتاب المزارعة من كتاب الاحكام إن شاء

الله وبه الثقة .

وقال محمد بن إسحاق : سألت ابن شهاب كيف أعطى رسول الله صلى الله عليه

وسلم يهود خيبر نخلهم ؟ فأخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد

القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمسها وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من

أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " إن شئتم

دفعت إليكم هذه الاموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، فأقركم

ماأقركم الله " .

فقبلوا وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبدالله

ابن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص .

فلما توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أقرها أبوبكر بأيديهم على المعاملة التي عاملهم

عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب صدرا من

إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي قبضه الله فيه :

لايجتمعن بجزيرة العرب دينان " ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت ، فأرسل إلى

يهود فقال : إن الله أذن لي في إجلائكم . وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : " لايجتمعن في جزيرة العرب دينان " فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله

عليه وسلم فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهز للجلاء . فأجلى عمر من لم

يكن عنده عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : قد ادعى يهود خيبر في أزمان متأخرة بعد الثلاثمائة أن بأيديهم كتابا من

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أن وضع الجزية عنهم .

وقد اغتر بهذا الكتاب بعض العلماء حتى قال بإسقاط الجزية عنهم ، من الشافعية

الشيخ أبوعلى بن خيرون ، ، وهو كتاب مزور ـ مكذوب مفتعل لا أصل له ، وقد بينت

بطلانه من وجوه عديده في كتاب مفرد ـ (1)

وقد تعرض لذكره وإبطاله جماعة من الاصحاب في كتبهم كابن الصباغ في مسائله ،

والشيخ أبي حامد في تعليقته ، وصنف فيه ابن المسلمة جزءا منفردا للرد عليه ، وقد

تحركوا به بعد السبعمائة وأظهروا كتابا فيه نسخة ماذكره الاصحاب في كتبهم ، وقد

وقفت عليه فإذا هو مكذوب ، فإن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد كان مات قبل زمن

* (هامش) * (1) سقط من أ . (*)

خيبر ، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يومئذ ، وفي آخره : وكتبه علي

ابن أبي طالب . وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرعت بعد ، فإنها إنما

شرعت أول ماشرعت وأخذت من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة

تسع . والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع مولى عبدالله بن عمر ، عن ابن عمر قال :

خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا ، قال : فعدى علي تحت الليل وأنا نائم على فراشي ففدعت يداي من

مرفقي ، فلما استصرخ على صاحباي فأتياني فسألاني من صنع هذا بك ؟ فقلت : لاأدري ،

فأصلحا من يدي ، ثم قدما بي على عمر ، فقال : هذا عمل يهود خيبر .

ثم قام في الناس خطيبا فقال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبدالله بن عمر ففدعوا يديه

كما بلغكم مع عدوتهم على الانصاري قبله ، لانشك أنهم كانوا أصحابه ليس لناهناك عدو

غيرهم ، فمن كان له مال من خيبر فليلحق به فإني مخرج يهود . فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخيبر ، وقد كان وقفه في سبيل الله وشرط

في الوقف ماأشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم كماهو ثابت في الصحيحين ، وشرط

أن يكون النظر فيه للارشد فالارشد من بناته وبنيه .

قال الحافظ البيهقي في الدلائل : جماع أبواب السرايا التي تذكر بعد فتح خيبر وقبل

عمرة القضية ، وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازي .

ـ 417ـ

سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة

قال الامام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا إياس بن سلمة ،

حدثني أبي ، قال ، خرجنا مع أبي بكر ابن أبي قحافة وأمره رسول الله صلى الله عليه

وسلم علينا فغزونا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبوبكر فعرسنا ، فلما صلينا الصبح

أمرنا أبوبكر فشننا الغارة ، فقتلنا على الماء من مر قبلنا .

قال سلمة : ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو

في آثارهم ، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بسهم فرقع بينهم وبين الجبل ، قال :

فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيته على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع (1) من

أدم ومعها ابنة لها من أحسن العرب ، قال : فنفلني أبوبكر بنتها ، قال : فما كشفت لها

ثوبا حتى قدمت المدينة ، ثم بت فلم أكشف لها ثوبا ، قال : فلقيني رسول الله صلى الله

عليه وسلم في السوق فقال لي (ياسملة هب لي المرأة) قال : فقلت : والله يارسول الله

لقد أعجبتني وماكشفت لهاثوبا . قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ،

حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال : " ياسلمة

هب لي المرأة " . قال : فقلت : يارسول الله والله لقد أعجبتني وماكشفت لها ثوبا . قال :

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله

صلى الله عليه وسلم في السوق فقال : " ياسلمة هب لي المرأة لله أبوك " قال : قلت : يارسول

الله والله ماكشفت لها ثوبا وهي لك يارسول الله . قال : بعث بها رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم بتلك المرأة .

وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمار به .

* (هامش) * (1) القشع : الفرو الخلق . (*)

سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تربة من أرض هوازن

وراء مكة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقي من طريق الواقدي بأسانيده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث

عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ثلاثين راكبا ومعه دليل من بني هلال ، وكانوا

يسيرون الليل ويكمنون النهار ، فلما انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم وكر عمر راجعا إلى

المدينة ، فقيل له : هل لك في قتال خثعم ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمرني

إلا بقتال هوازن في أرضهم .

سرية عبدالله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي

ثم أورد من طريق إبراهيم بن لهيعة ، عن أبي الاسود ، عن عروة ، ومن طريق

موسى بن عقبة عن الزهري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبدالله بن رواحة في

ثلاثين راكبا فيهم عبدالله بن راحة إلى يسير بن رزام اليهودي حتى أتوه بخيبر ، وبلغ رسول الله

صلى الله عليه وسلم انه يجمع غطفان ليغزوه بهم ، فأتوه فقالوا : أرسلنا إليك رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليستعملك على خيبر . فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلا مع كل رجل منهم رديف

من المسلمين ، فلما بلغوا قرقرة نيار وهي من خيبر على ستة أميال ندم يسير بن رزام فأهوى بيده

إلى سيف عبدالله بن رواحة ، ففطن له عبدالله بن رواحة فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم ،

حتى استمكن من يسير ضرب رجله فقطعها ، واقتحم يسير وفي يده مخراش من شوحط (1)

فضرب به وجه عبدالله بن رواحة فشجه شجة مأمومة (2) . وانكفأ كل رجل من المسلمين

على رديفه فقتله ، غير رجل من اليهود أعجزهم شدا ولم يصب من المسلمين أحد ،

* (هامش) * (1) المخراش المجن ، وهو عصا معقوفة . والشوحط : شجر من النبع .

(2) مأمومة : في أم رأسه . (*)

ـ 419 ـ

وبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شجة عبدالله بن رواحة فلم تقيح ولم تؤذه

حتى مات .

سريد أخرى مع بشير بن سعد

روى من طريق الواقدي بإسناده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بشير بن

سعد في ثلاثين راكبا إلى بني مرة من أرض فدك فاستاق نعمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة

من معه وصبر هو يومئذ صبرا عظيما ، وقاتل قتالا شديدا ، ثم لجأ إلى فدك فبات بها عند

رجل من اليهود ، ثم كر راجعا إلى المدينة .

قال الواقدي : ثم بعث إليهم رسول لله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبدالله ،

ومعه جماعة من كبار الصحابة ، فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البدري ،

وكعب بن عجرة .

ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك حليف بني مرة ، وقوله حين علاه

بالسيف : لا إله إلا الله ، وأن الصحابة لاموه على ذلك حتى سقط يده وندم على مافعل .

وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيخ من بني سلمة ، عن

رجال من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غالب بن عبدالله الكلبي إلى

أرض بني مرة فأصاب مرداس بن نهيك ـ حليفا لهم من الحرقة فقتله أسامة . قال ابن

إسحاق : فحدثني محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد قال : أدركته

أنا ورجل من الانصار - يعني مرداس بن نهيك (1) ـ فلما شهرنا عليه السيف قا ل :

أشهد أن لا إله إلا الله ، فلم ننزع عنه حتى قتلناه .

* (هامش) * (1) من أ . (*)

فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه فقال (يا أسامة من لك

بلا إله إلا الله) فقلت : يارسول الله إنما قالها تعوذا من القتل . قال : (فمن لك ياأسامة

بلا إله إلا الله) .

فو الذي بعثه بالحق مازال يرددها علي حتى تمنيت أن مامضى من إسلامي لم يكن ،

وأني أسلمت يومئذ ولم أقتله . فقلت : إني أعطى الله عهدا ألا أقتل رجلا يقول لا إله إلا

الله أبدا . فقال : (بعدي ياأسامة) فقلت بعدك .

وقال الامام أحمد : حدثنا هشيم بن بشير ، أنبأنا حصين ، عن أبي ظبيان ، قال : سمعت

أسامة بن زيد يحدث قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة من جهينة ،

قال : فصبحناهم وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا ، وإذا أدبروا كان

حاميتهم ، قال : فغشيته أنا ورجل من الانصار ، فلما تغشيناه قال : لا إله إلا الله . فكف

عنه الانصاري وقتلته ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (ياأسامة أقتلته

بعد ماقال لا إله إلا الله ؟ !) قال : فقلت يارسول الله إنما كان متعوذا من القتل . قال :

فكررها علي ، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ .

وأخرجه البخاري ومسلم من حديث هشيم به نحوه .

وقال ابن اسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة ، عن مسلم بن عبدالله الجهني ، عن

جندب بن مكيث الجهني قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبدالله

الكلبي كلب ليث إلى بني الملوح بالكديد وأمره أن يغير عليهم ، وكنت في سريته ،

فمضينا حتى إذا كنا بالقديد (1) لقينا الحارث بن مالك بن البرصاء الليثي فأخذناه فقال :

إني إنما جئت لاسلم ، فقال له غالب بن عبدالله : إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضرك

* (هامش) * (1) ابن هشام : بقديد . (*)

رباط يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك .

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 421 سطر 1 الى ص 430 سطر 21

رباط يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك .

قال : فأوثقه رباطا وخلف عليه رويجلا أسود كان معنا ، وقال : امكث معه حتى

نمر عليك ، فإن نازعك فاحتز رأسه . ومضينا حتى أتينا بطن الكديد ، فنزلنا عشية بعد

العصر ، فبعثني أصحابي إليه فعمدت إلى تل يطلعني على الحاضر ، فانبطحت عليه وذلك

قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم فنظر فرآني منبطحا على التل فقال لامرأته : إني

لارى سوادا على هذا التل ما رأيته في أول النهار ، فانظري لاتكون الكلاب ، اجترت

بعض أوعيتك . فنظرت فقالت : والله ماأفقد منها شيئا ، قال : فناوليني قوسي وسهمين

من نبلي ، فناولته فرماني بسهم في جنبي أو قال في جبيني ، فنزعته فوضعته ولم أتحرك ، ثم

رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي فنزعته فوضعته ولم أتحرك ، فقال لامرأته : أما والله

لقد خالطه سهامي ولو كان ربيئة (1) لتحرك ، فإذا أصبحت فابتغي سهمي فخذيهما

لا تمضغهما علي الكلاب .

قال : فأملهنا حتى إذا راحت روائحهم وحتى احتلبوا وعطنوا وسكنوا وذهبت

عتمة من الليل : شننا عليهم الغارة ، فقتلنا واستقنا النعم ووجهنا قافلين به ، وخرج صريخ

القوم إلى قومهم بقربنا ، قال : وخرجنا سراعا حتى نمر بالحارث بن مالك بن البرصاء

وصاحبه ، فانطلقنا به معنا وأتانا صريخ الناس فجاءنا مالا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن

بيننا وبينهم إلا بطن الوادي من قديد بعث الله من حيث شاء ماء مارأينا قبل ذلك مطرا

ولا حالا ، وجاء بما لايقدر أحد أن يقدم عليه ، فلقد رأيتهم وقوفا ينظرون إلينا مايقدر

أحد منهم أن يقدم عليه ، ونحن نجذبها أونحدرها - شك النفيلي - فذهبنا سراعا حتى

أسندنا بها في المسلك ، ثم حدرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا .

وقد رواه أبوداود من حديث محمد بن إسحاق في روايته عبدالله بن غالب ،

والصواب غالب بن عبدالله كماتقدم .

* (هامش) * (1) الربيئة : طليعة القوم . وفي المطبوعة : ريبة . وهو تحريف . (*)

ـ 422 ـ

وذكر الواقدي هذه القصة بإسناد آخر وقال فيه : وكان معه من الصحابة مائة

وثلاثون رجلا .

ثم ذكر البيهقي من طريق الواقدي سرية بشير بن سعد أيضا إلى ناحية خيبر ،

فلقوا جمعا من العرب وغنموا نعما كثيرا ، وكان بعثه في هذه السرية بإشارة أبي بكر وعمر

رضى الله عنهما ، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل ودليله حسيل بن نويرة وهو الذي

كان دليل النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ، قاله الواقدي .

سرية أبي حدردإلى الغابة

قال يونس عن محمد بن إسحاق : كان من حديث قصة أبي حدرد وغزوته إلى الغابة

ماحدثني جعفر بن عبدالله بن أسلم عن أبي حدرد قال : تزوجتت امرأة من قومي

فأصدقتها مائتي درهم ، قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحي .

فقال (كم أصدقت ؟) فقلت : مائتي درهم ، فقال (سبحان الله والله لو كنتم تأخذونها

من واد مازدتم ، والله ماعندي ماأعينك به) فلبثت أياما ثم أقبل رجل من جشم بن

معاوية يقال له رفاعة بن قيس - أو قيس بن رفاعة - في بطن عظيم من جشم حتى نزل

بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيسا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان

ذا اسم وشرف في جشم ، قال : فدعاني رسول الله ورجلين من المسلمين

فقال : (اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم) . وقدم لنا شارفا عجفاء فحمل

عليه أحدنا ، فوالله ماقامت به ضعفا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت

وما كادت ، وقال : (تبلغوا على هذه) .

فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر مع غروب

الشمس فكمنت في ناحية وأمرت صاحبي فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم ،

وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كبرت وشددت في العسكر فكبرا وشدا معي .

فوالله إنا كذلك ننتظر أن نرى غرة أو نرى شيئا وقد غشينا الليل حتى ذهبت

فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم وتخوفوا عليه ، فقام

صاحبهم رفاعة بن قيس فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال : والله لاتيقنن أمر راعينا ولقد

أصابه شر ، فقال نفر ممن معه ، والله لاتذهب نحن نكفيك ، فقال : لا إلا أنا . قالوا :

نحن معك . فقال : والله لايتبعني منكم أحد . وخرج حتى مر بي ، فلما أمكنني نفحته

بسهم فوضعته في فؤاده ، فوالله ماتكلم فوثبت إليه فاحتززت رأسه ، ثم شددت ناحية

العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا ، فوالله ماكان إلا النجا ممن كان فيه عندك

بكل ماقدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وماخف معهم من أموالهم ، واستقنا إبلا عظيمة

وغنما كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه أحمله معي ، فأعطاني

من تلك الابل ثلاثة عشر بعيرا في صداقي فجمعت إلى أهلي .

السرية التي قتل فيهامحلم بن جثامة عامر بن الاضبط

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبدالله بن قسيط ، عن ابن عبدالله (1) بن أبي حدرد ،

عن أبيه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم في نفر من المسلمين منهم ،

أبوقتادة الحارث بن ربعي ومحلم بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم

مر بنا عامر بن الاضبط الاشجعي على قعود له معه متيع له ووطب (2) من لبن ، فسلم

علينا بتحية الاسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشئ كان بينه وبينه

وأخذ بعيره ومتيعه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه الخبر فنزل فينا

القرآن (ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم

* (هامش) * (1) ابن هشام : عن القعقاع بن عبدالله بن أبي حدرد .

(2) المتيع : المتاع القليل . والوطب وعاء اللبن . (*)

السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا ، فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم

من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا (1)) .

هكذا رواه الامام أحمد ، عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن

عبدالله بن قسيط ، عن القعقاع بن عبدالله بن أبي حدرد عن أبيه . فذكره .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر ، سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضمري (2)

يحدث عن عروة بن الزبير ، عن أبيه وعن جده قالا - وكانا شهدا حنينا - قال : فصلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم صلا ة الظهر فقام إلى ظل شجرة فقعد فيه فقام إليه عيينة بن

بدر فطلب بدم عامر بن الاضبط الاشجعي وهو سيد عامر : هل لكم أن تأخذوا منا

الآن خمسين بعيرا وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ فقال عيينة بن بدر : والله لا أدعه

حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ماأذاق نسائي . فقام رجل من بني ليث يقال له ابن

مكيل وهو قصير من الرجال ، فقال : يارسول الله ماأجد لهذا القتيل شبها في غرة

الاسلام إلا كغنم وردت فرميت (3) أولاها فنفرت أخراها ، اسنن (4) اليوم وغير غدا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيرا الآن

وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟) فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية ، فقال قوم محلم بن

جثامة : إيتوا به حتى يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال فجاء رجل طوال

ضرب (5) اللحم في حله قد تهيأ فيها للقتل ، فقام بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم لاتغفر لمحلم) قالها ثلاثا . فقام وإنه ليتلقى

دموعه بطرف ثوبه .

قال محمد بن إسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك .

* (هامش) * (1) سورة النساء 94 (2) ابن هشام : السلمي

(3) غير أ : فشربت . (4) اسنن : ضع الاحكام والسنن .

(5) ضرب اللحم : خفيفه . (*)

ـ 425 ـ

وهكذا رواه أبوداود من طريق حماد بن سلمة عن ابن إسحاق ، ورواه ابن ماجه

عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي خالد الاحمر عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ،

عن زيد بن ضميرة عن ابيه وعمه ، فذكر بعضه .

والصواب كما رواه ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة (1)

عن أبيه وعن جده . وهكذا رواه أبوداود من طريق ابن وهب ، عن عبدالرحمن بن

أبي الزناد ، وعن عبدالرحمن بن الحارث ، عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة

عن أبيه وجده بنحوه كما تقدم .

وقال ابن إسحاق : حدثني سالم أبوالنضر أنه قال (2) : لم يقبلوا الدية حتى قام

الاقرع بن حابس فخلا بهم وقال : يامعشر قيس ، سألكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قتيلا تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه ، أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله

صلى الله عليه وسلم فيغضب الله لغضبه ، ويلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلعنكم

الله بلعنته لكم ، لتسلمنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لآتين بخمسين من بني

تميم كلهم يشهدون أن القتيل كافر ماصلى قط فلايطلبن (3) دمه . فلما قال ذلك لهم

أخذوا الدية .

وهذا منقطع معضل .

وقد روى ابن إسحاق عمن لايتهم عن الحسن البصري ، أن محلما لما جلس بين

يديه عليه الصلاة والسلام قال له : (أمنته ثم قتلته ؟) ثم دعا عليه .

قال الحسن : فوالله ما مكث محلم إلا سبعا حتى مات فلفظته الارض ثم دفنوه

فلفظته الارض ثم دفنوه فلفظته الارض ، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه ، فبلغ

* (هامش) * (1) ابن هشام : زياد بن ضميرة بن سعد .

(2) ابن هشام : وأخبرنا سالم أبوالنضر أنه حدث أن عيينة بن حصن . . . (3) ابن هشام : فلاطلبن . (*)

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (إن الارض لتطابق على من هو شر منه ، ولكن

الله أراد أن يعظكم في حرم مابينكم لما أراكم منه)

. وقال ابن جرير : حدثنا وكيع ، حدثنا جرير ، عن ابن إسحاق ، عن نافع عن ابن

عمر ، قال : بعث رسول الله صلى عليه وسلم محلم بن جثامة مبعثا فلقيهم عامر بن الاضبط

فحياهم بتحية الاسلام - وكانت بينهم هنة في الجاهلية - فرماه محلم بسهم فقتله ، فجاء

الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم فيه عيينة والاقرع ، فقال الاقرع :

يارسول الله سن اليوم وغير غدا ، فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الثكل

ماذاق نسائي محلم في بردين فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاغفر الله لك) فذكروا ذلك له فقال : (إن

الارض لتقبل من هو شر من صاحبكم ، ولكن الله أراد أن يعظكم من حرمتكم) ثم

طرحوه في جبل فألقوا عليه من الحجارة ونزلت : (يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في

سبيل الله فتبينوا) . الآية .

وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهري ، ورواه شعيب عن الزهري عن عبدالله بن

وهب ، عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة ، إلا أنه لم يسم محلم بن جثامة ولاعامر بن

الاضبط ، وكذلك رواه البيهقي عن الحسن البصري بنحو هذه القصة وقال : وفيه نزل

قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية .

قلت : وقد تكلمنا في سبب نزول هذه الآية ومعناها في التفسير بما فيه الكفاية .

ولله الحمد والمنة .

سرية عبدالله بن حذافة السهمي

ثبت في الصحيحين من طريق الاعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن

ـ 427ـ

الحبلى ، عن علي بن أبي طالب قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من

الانصار على سرية بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، قال : فأغضبوه في شئ فقال :

اجمعوا لي حطبا . فجمعوا . فقال : أوقدوا نارا . فأوقدوا . ثم قال : ألم يأمركم رسول

الله صلى الله عليه وسلم أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا : بلى . قال : فادخلوها . قال :

فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار .

قال : فسكن غضبه وطفئت النار .

فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فقال : (لو دخلوها ماخرجوا

منها ، إنما الطاعة في المعروف) .

وهذه القصة ثابتة أيضا في الصحيحين من طريق يعلى بن مسلم ، عن سعيد

ابن جبير ، عن ابن عباس ، وقد تكلمنا على هذه بما فيه كفاية في التفسير ولله

الحمد والمنة .

ـ428ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

عمرة القضاء .

ويقال القصاص . ورجحه السهيلي . وقال عمرة القضية ، فالاولى قضاء عما كان

أحصر عام الحديبية والثاني من قوله تعالى (والحرمات قصاص) والثالث من المقاضاة

التي كان قاضاهم عليها على أن يرجع عنهم عامه هذا ثم يأتي في العام القابل ولايدخل

مكة إلا في جلبان (1) السلاح وألا يقيم أكثر من ثلاثة أيام .

وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة الفتح المباركة : (لقد صدق الله

رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم

ومقصرين لاتخافون) الآية . وقد تكلمنا عليها مستقصى في كتابنا التفسير بما

فيه كفاية .

وهي الموعود بها في قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له : ألم

تكن تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : (بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك

هذا ؟) قال : لا . قال : (فإنك آتية ومطوف به) .

وهي المشار إليها في قول عبدالله بن رواحة حين دخل بين يدي رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى مكة يوم عمرة القضاء وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تأويله

كما ضرباكم على تنزيله -

* (هامش) * (1) الجلبان : شبه الجراب من الجلد يوضع فيه السيف . (*)

ـ 429 ـ

أي هذا تأويل الرؤيا التي كان رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت مثل

فلق الصبح .

قال ابن إسحاق ، : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى المدينة

أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوالا ، يبعث فيما بين

ذلك سراياه .

ثم خرج من ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركين معتمرا عمرة القضاء

مكان عمرته التي صدوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عويف بن الاضبط الدؤلي .

ويقال لهاعمرة القصاص ، لانهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة

في الشهر الحرام من سنة ست ، فافتص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فدخل مكة

في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدوه من سنة سبع .

بلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله تعالى في ذلك (والحرمات قصاص) .

وقال معتمر بن سليمان عن أبيه في مغازيه : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

من خيبر أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذو القعدة ، فنادى في الناس : أن تجهزوا

للعمرة ، فتجهزوا وخرجوا إلى مكة .

وقال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه في عمرته تلك وهي

سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمدا في عسرة

وجهد وشدة .

قال إبن اسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن عبدالله بن عباس قال : صفوا له عند

دار الندوة لينظروا إليه وإلى اصحابه ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد

اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال : (رحم الله امرءا أراهم اليوم من

نفسه قوة) .

ثم استلم الركن ، ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت منهم

واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الاسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف

ومشى سائرها . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم ، وذلك

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم حتى

حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها .

وقال البخاري : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد - هوابن زيد - عن أيوب ،

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد وهنهم حمى يثرب . فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم

أن يرملوا الاشواط الثلاثة وأن يمشوا مابين الركنين ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا

الاشواط كلها إلا بقاء عليهم .

قال أ بوعبدالله : وزاد بن سلمة - يعني حماد بن سلمة - عن أيوب ، عن سعيد

عن ابن عباس قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم لعامهم الذي استأمن قال : (ارملوا

ليرى المشركون قوتهم ، والمشركون من قبل قعيقعان .

ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني ، عن حماد بن زيد . وأسنده البيهقي طريق

حماد بن سلمة .

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبدالله ، حدثنا سفيان ، حدثنا إسماعيل بن أبي

حالد ، سمع ابن أبي أوفى يقول : لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سترناه من غلمان

المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ 431ـ

وسيأتي بقية الكلام على هذا المقام .

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 431 سطر 1 الى ص 440 سطر 22

وسيأتي بقية الكلام على هذا المقام .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حين ذخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبدالله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير في رسوله

يارب إني مؤمن بقيلة * أعرف حق الله في قبوله

نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله -

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله -

قال ابن هشام : نخن قتلناكم على تأويله إلى آخر الابيات لعمار بن ياسر في غير هذا

اليوم - يعني يوم صفين - قاله السهيلي .

قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون

لم يقروا بالتنزيل ، وإنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل .

وفيما قاله ابن هشام نظر ، فإن الحافظ البهقي روى من غير وجه عن عبدالرزاق

عن معمر ، عن الزهري ، عن أنس قال : لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة

القضاء مشى عبدالله بن رواحة بين يديه ، وفي رواية وهو آخذ بغرزه وهو يقول :

- خلوا بني الكفار عن سبيله * قد نزل الرحمن في تنزيله

بأن خير القتل في سبيله * نحن قتلناكم على تأويله -

وفي رواية بهذا الاسناد بعينه :

خلوا بني الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله -

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله -

يارب إني مؤمن بقيله -

ـ 432ـ

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم دخل عام القضية مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن

بمحجنه . قال ابن هشام : من غير علة ، والمسلمون يشتدون حوله ، وعبدالله بن

رواحة يقول :

باسم الذي لادين إلا دينه * باسم الذي محمد رسوله -

- خلوا بني الكفار عن سبيله -

قا ل موسى بن عقبة عن الزهري : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام

القابل من عام الحديبية معتمرا في ذي القعدة سنة سبع ، وهو الشهر الذي صده

المشركون عن المسجد الحرام ، حتى إذابلغ يأجج وضع الاداة كلها الحجف والمجان

والرماح والنبل ، ودخلوا بسلاح الراكب السيوف ، وبعث رسول الله صلى الله عليه

وسلم بين يديه جعفر بن أبى طالب إلى ميمونة بنت الحارث العامرية فخطبها عليه ،

فجعلت أمرها إلى العباس وكان تحته أختها أم الفضل بنت الحارث ، فزوجها العباس

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه قال : (اكشفوا عن المناكب

واسعوا في الطواف) . ليرى المشركون جلدهم وقوتهم ، وكان يكايدهم بكل مااستطاع ،

فاستكف (1) أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأصحابه وهم يطوفون بالبيت ، وعبدالله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله صلى

عليه وسلم متوحشا بالسيف وهويقول :

- خلوا بني الكفار عن سبيله * أنا الشهيد أنه رسوله -

* (هامش) * (1) استكف : أحاطوابه . (*)

ـ 433 ـ

- قد أنزل الرحمن في تنزيله * في صحف تتلى على رسوله -

فاليوم نضربكم على تأويله * كما ضربناكم على تنزيله -

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله -

قال : وتغيب رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم غيظا وحنقا ، ونفاسة وحسدا . وخرجوا إلى الخندمة (1) ، فقام رسول الله صلى الله

عليه وسلم بمكة وأقام ثلاث ليال ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية .

فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبدالعزى ،

ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة ، فصاح

حويطب بن عبدالعزى : نناشدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا ، فقد مضت

الثلاث . فقال سعد بن عبادة : كذبت لاأم لك ليس بأرضك ولابأرض آبائك

والله لا يخرج . ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلا وحويطبا فقال : (إني قد

نكحت فيكم امرأة فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونصنع الطعام فنأكل

وتأكلون معنا) فقالوا : نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع فأذن بالرحيل ، وركب رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى نزل ببطن سرف وأقام المسلمون وخلف رسول الله صلى الله

عليه وسلم أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة ، وقد لقيت

ميمونة ومن معها عناء وأذى من سفهاء المشركين ومن صبيانهم ، فقدمت على رسول

الله صلى الله عليه وسلم بسرف فبنى بها ثم أدلج فسار حتى أتى المدينة .

وقدر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فماتت حيث بنى بها

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* (هامش) * (2) الخندمة : جبل بمكة (*)

ـ 434 ـ

ثم ذكر قصة ابنة حمزة إلى أن قال : وأنزل الله عزوجل في تلك العمرة (الشهر

الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص) فاعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في

الشهر الحرام الذي صد فيه .

وقد روى ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير نحوا من هذا السياق ،

ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة .

ففي صحيح البخارى من طريق فليح بن سليمان ، عن نافع عن ابن عمر أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا ، فحال كفار قريش بينه وبين البيت ، فنحر هديه

وحلق رأسه بالحديبية ، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولايحمل سلاحا إلا سيوفا ،

ولايقيم بها إلا ماأحبوا .

فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم ، فلما أن أقام بها ثلاثا أمروه أن

يخرج فخرج .

وقال الواقدي : حدثني عبدالله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : لم تكن

هذه عمرة قضاء وإنما كانت شرطا على المسلمين أن يعتمروا من قابل في الشهر الذي

صدهم فيه المشركون .

وقال أبوداود : حدثنا النفيلي ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن

عمرو بن ميمون ، سمعت أبا حاضر الحميري يحدث أن ميمون بن مهران قال : خرجت

معتمرا عام حاصر أهل الشام ابن الزبير بمكة ، وبعث معي رجال من قومي بهدي .

قال : فلما انتهينا إلى أهل الشام منعونا أن ندخل الحرم ، قال : فنحرت الهدي

مكاني ثم أحللت ثم رجعت ، فلما كان من العام المقبل خرجت لاقضي عمرتي ، فأتيت

بن عباس فسألته فقال : أبدل الهدي ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه

أن يبدلوا الهدي الذي نحروا عام الحديبية في عمرة القضاء .

تفرد به أبوداود من حديث أبي حاضر عثمان بن حاضر الحميري ، عن ابن عباس فذكره .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الاصم ، حدثنا أحمد بن عبدالجبار ،

حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني عمرو بن ميمون قال : كان أبي يسأل

كثيرا : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدل هديه الذي نحر حين صده المشركون

عن البيت ؟ ولا يجد في ذلك شيئا ، حتى سمعته يسأل أبا حاضر الحميري عن ذلك فقال له :

على الخبير سقطت ! حججت عام ابن الزبير في الحصر الاول ، فأهديت هديا فحالوا

بيننا وبين البيت ، فنحرت في الحرم ورجعت إلى اليمن وقلت : لي برسول الله صلى الله

عليه وسلم أسوة ، فلما كان العام المقبل حججت فلقيت ابن عباس فسألته عما نحرت علي

بدله أم لا ؟ قال : نعم فأبدل ، فإن رسول الله صلى عليه وسلم وأصحابه قد أبدلوا

الهدي الذي نحروا عام صدهم المشركون فأبدلوا ذلك في عمرة القضاء ، فعزت الابل

عليهم فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في البقر .

وقال الواقدي : حدثني غانم بن أبي غانم ، عن عبدالله بن دينار ، عن ابن عمر

قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جندب الاسلمي على هديه يسير بالهدي

أمامة يطلب الرعي في الشجر معه أربعة فتيان من أسلم ، وقد ساق رسول الله صلى الله

عليه وسلم في عمرة القضية ستين بدنة .

فحدثني محمد بن نعيم المجمر ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : كنت مع صاحب

البدن أسوقها .

قال الواقدي : وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي والمسلمون معه يلبون ، ومضى

محمد بن مسلمة بالخيل إلى مر الظهران ، فيجد بها نفرا من قريش ، فسألوا محمد بن مسلمة

فقال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل عذا إن شاء الله . ورأوا

سلاحا كثيرا مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعا حتى أتوا قريشا فأخبروهم بالذي رأوا

من السلاح والخيل ، ففزعت قريش وقالوا : والله ماأحدثنا حدثا ، وإنا على كتابنا

وهدنتنا ، ففيم يغزونا محمد في أصحابه ؟

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران ، وقدم رسول الله صلى الله عليه

وسلم السلاح إلى بطن يأجج حيث ينظر إلى أنصاب الحرم ، وبعثت قريش مكرز بن

حفص بن الاحنف في نفر من قريش ، حتى لقوه ببطن يأجج ورسول الله صلى الله عليه

وسلم في أصحابه والهدي والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا : يامحمد ماعرفت صغيرا ولا

كبيرا بالغدر ، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك ، وقد شرطت لهم ألا تدخل إلا بسلاح المسافر

السيوف في القرب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إني لا أدخل عليهم السلاح)

فقال مكرز بن حفص : هذا الذي تعرف به ، البر والوفاء ، ثم رجع سريعا بأصحابه

إلى مكة .

فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر النبي صلى الله عليه وسلم خرجت قريش من مكة

إلى رؤس الجبال وخلوا مكة وقالوا : لاننظر إليه ولا إلى أصحابه .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدي أمامه حتى حبس بذي طوى ، وخرج

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو على ناقته القصواء وهم محدقون به يلبون وهم

متوحشون السيوف ، فلما انتهى إلى ذي طوى وقف على ناقته القصواء وابن رواحة

آخذ بزمامها وهو يرتجز بشعره ويقول :

- خلوابني الكفار عن سبيله * إلى آخره -

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال : قد م رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأصحابه صبيحة رابعة - يعني من ذي القعدة سنة سبع - فقال المشركون : إنه يقدم

عليكم وفد وهنهم حمى يثرب . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرملوا

الاشواط الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الاشواط كلها

إلا الابقاء عليهم .

قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا إسماعيل بن زكريا ، عن عبدالله

ابن عثمان ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباسس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمانزل

مر الظهران من عمرته بلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشا تقول :

ما يتباعثون من العجف (1) . فقال أصحابه : لو انتحرنا من ظهرنا فأكلنا من لحومه

وحسونا من مرقه أصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جمامة (2) ، فقال : (لاتفعلوا

ولكن اجمعوا لي من أزوادكم) فجمعوا له وبسطوا الانطاع فأكلوا حتى تركوا ، وحشا

كل واحد منهم في جرابه .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر ،

فاضطبع بردائه ثم قال : (لايرى القوم فيكم غميزة) فاستلم الركن ثم رمل حتى إذا تغيب

بالركن اليماني مشى إلى الركن الاسود ، فقالت قريش : مايرضون بالمشي أما إنهم لينفرون

نفر الظباء ! ففعل ثلاثة أطواف فكانت سنة .

قال أبوالطفيل : وأخبرني ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك

في حجة الوداع .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

قال أبوداود ، حدثنا أبوسلمة موسى ، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - انبأنا

أبوعاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة ؟ فقال : صدقوا وكذبوا .

قلت : ماصدقوا وماكذبوا ؟ قا ل : صدقوا ، رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذبوا

ليس بسنة ؟ إن قريشا زمن الحديبية قالت : دعوا محمدا وأصحابه حتى يموتوا موت

* (هامش) * (1) العجف : الهزال . (2) جمامة : بقية من قوة . (*)

ـ 438 ـ

النغف (1) ، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام فقدم

رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون من قبل قعيقعان ، فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لاصحابه : (ارملوا بالبيت ثلاثا) قال : وليس بسنة .

وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجريري ، وعبدالله بن عبدالرحمن بن أبي حسين

و عبدالملك بن سعيد بن أبجر ، ثلاثتهم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن ابن عباس

به نحوه .

وكون الرمل في الطواف سنة مذهب الجمهور ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمل في

عمرة القضاء وفي عمرة الجعرانة أيضا ، كما رواه أبوداود وابن ماجه من حديث عبدالله

ابن عثمان بن خثيم ، عن أبي الطفيل عن ابن عباس فذكره .

وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره أنه عليه السلام رمل في حجة الوداع في

الطواف ، ولهذا قال عمر بن الخطاب : فيم الرملان وقد أطال الله الاسلام ؟ ومع هذا

لانترك شيئا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . وموضع تقرير هذا الكتاب الاحكام .

وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى ذلك سنة ، كما ثبت في الصحيحين من

حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : إنما سعى

النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت وبالصفا والمروة ليرى المشركون قوته .

لفظ البخاري .

وقال الواقدي : لماقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسكه في القضاء دخل البيت ،

فلم يزل فيه حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمره بذلك ، فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع هذا

العبد يقول مايقول ! وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا وقال

* (هامش) * (1) النغف : دود في أنوف الابل والغنم ، ويقال للمحتقر : نغفة . (*)

خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذااليوم حتى يقوم بلال ينهق فوق

البيت . وأما سهيل بن عمر ورجال معه لماسمعوا بذلك غطوا وجوههم .

قال الحافظ البيهقي : قد أكرم الله أكثرهم بالاسلام .

قلت : كذا ذكره البيهقي من طريق الواقدي أن هذا كان في عمرة القضاء ،

والمشهور أن ذلك كان في عام الفتح . والله أعلم .

وأما قصة تزويجه عليه السلام بميمونة

قال ابن إسحاق : حدثني أبان بن صالح وعبدالله بن أبي نجيح ، عن عطاء

ومجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت

الحارث في سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذي زوجه إياها العباس بن ع بدالمطلب .

قال ابن هشام ، : كانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل

أمرها إلى زوجها العباس ، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عنه

أربعمائة درهم .

وذكر السهيلي أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وهي راكبة

بعيرا قالت : الجمل وماعليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وفيها نزلت الآية : (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي

أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) (2) .

وقد روى البخاري من طريق ايوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس إن رسول الله

صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم ، وبنى بها وهو حلال ، وماتت بسرف .

قال السهيلي (1) وروى الدارقطني من طريق أبي الاسود يتيم عروة ، ومن طريق مطر

* (هامش) * (1) سورة الاحزاب 50 (2) كذا في أ وفي ت : البيهقي . (*)

الوراق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة

وهو حلال .

قال : وتأولوا رواية ابن عباس الاولى أنه كان محرما ، أي في شهر حرام ، كما

قا ل الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما * فدعا فلم أر مثله مخذولا -

أي في شهرحرام .

قلت : وفي هذا التأويل نظر ، لان الروايات متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ،

ولا سيما ـ من ـ (1) قوله : (تزوجها وهو محرم وبنى بها وهوحلال) وقد كان في شهر

ذي القعدة أيضا وهو شهر حرام .

وقال محمد بن يحيى الذهلي ، حدثنا عبدالرزاق ، قال : قال لي الثوري : لا يلتفت (2)

إلى قول أهل المدينة . أخبرني عمرو عن أبي الشعثاء ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم تزوج وهو محرم .

قال أ بوعبدالله : قلت لعبد الرزاق : روى سفيان الحديثين جميعا ، عن عمرو ، عن

أبي الشعثاء ، عن ابن عباس وابن خثيم (3) ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس

قال : نعم ، أما حديث ابن خثيم فحدثننا هاهنا - يعني باليمن - وأما حديث عمرو فحدثنا

ثم - يعني بمكة - .

وأخرجاه (4) في الصحيحين من حديث عمروا بن دينار به .

وفي صحيح البخاري من طريق الاوزاعي ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم . فقال سعيد بن المسيب : وهم

* (هامش) * (1) من أ (2) أ : لاتلتفت .

(3) أ خيثم وهو تحريف . (4) أ : أخرجاه . (*)

ـ 441 ـ

ابن عباس وإن كانت خالته ، ماتزوجها إلابعد ماأحل .

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 441 سطر 1 الى ص 450 سطر 21

ابن عباس وإن كانت خالته ، ماتزوجها إلابعد ماأحل .

وقال يونس عن ابن إسحاق : حدثني بقية ، عن سعيد بن المسيب ، أنه قال : هذا

عبدالله بن عباس يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة وهو محرم فذكر

كلمته ، إنما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فكان الحل والنكاح جميعا ، فشبه

ذلك على ابن عباس (1)

وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن يزيد بن الاصم العامري ، عن خالته ميمونة

بنت الحارث ، قالت : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان (2) بسرف .

لكن قال الترمذي : روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الاصم مرسلا ، أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أ بوعبدالله الحافظ ، أنبأنا أ بوعبدالله محمد بن عبدالله

الاصفهاني الزاهد ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا

حماد بن زيد ، حدثنا مطر الوراق ، عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن ، عن سليمان بن يسار ،

عن أبي رافع قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال وبنى (3) بها

وهو حلال وكنت الرسول بينهما .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا ، عن قتيبة ، عن حماد بن زيد به ، ثم قال

الترمذي : حسن ولانعلم أحدا أسنده عن حماد عن مطر . ورواه مالك عن ربيعة

عن سليمان مرسلا .

ـ ورواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلا .

قلت : وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين ، ويقال سنة ستين ، رضى الله عنها ـ (4)

* (هامش) * (1) أ : على الناس . (2) غير أ : حلال .

(3) أ : وبنى . (4) سقطت من أ . (*)

ـ 442ـ

ذكر خروجه عليه السلام من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ماذكره موسى بن عقبة أن قريشا بعثواإليه حويطب بن عبدالعزى بعد مضي

أربعة أيام ليرحل عنهم كما وقع به الشرط ، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة

عندهم ، وإنما أراد تأليفهم بذلك ، فأبوا عليه وقالوا : بل اخرج عنا . فخرج . وكذلك

ذكره ابن إسحاق (1)

وقال البخاري : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن

البراء قا ل : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة : فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل

مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب : هذا ماقاضى

عليه محمد رسول الله . قالوا : لانقر بهذا ، لو نعلم أنك رسول الله مامنعناك شيئا ،

ولكن أنت محمد بن عبدالله . قال : (أنا رسول الله وأنا محمد بن عبدالله) ثم قال لعلي

ابن أبي طالب ، : (امح رسول الله) قال : لا والله لا أمحوك أبدا ، فأخذ رسول الله

صلى الله عليه وسلم الكتاب ، وليس يحسن يكتب ، فكتب : هذا ماقاضى عليه محمد

ابن عبدالله لا يدخل مكة ـ السلاح (2) ـ إلا السيف في القراب ، وألا تخرج من أهلها بأحد

أراد أن يتبعه ، وألا يمنع من أصحابه أحدا أراد أن يقيم بها .

فلمادخل (2) ومضى الاجل أتوا عليا فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عنا فقد مضى

الاجل ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادي : ياعم ياعم . فتناولها علي

فأخذها بيدها وقال لفاطمة : دونك ابنة عمك . فحملتها ، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر (3) ،

فقال علي : أنا أخذتها وهي ابنة عمي . وقال جعفر : ابنة عمي وخالتها تحتي ، وقال زيد :

ابنة أخي . فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال : (الخالة بمنزلة الام) وقال

* (هامش) * (1) في ابن هشام : ثلاثة أيام وأتاه حويطب في اليوم الثالث . (2) من صحيح البخاري .

(3) أ : دخلها ! (4) أ : وحفص . وهو تحريف ! (*)

لعلي : (أنت مني وأنامنك)) وقال لجعفر : (أشبهت خلقي وخلقي) وقال لزيد :

(أنت أخونا ومولانا) قال (1) على : ألا تتزوج ابنة حمزة ، قال : (إنها ابنة أخي

من الرضاعة) .

تفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقد روى الواقدي قصة ابنة حمزة فقا ل : حدثني ابن ابي حبيبة ، عن داود بن

الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن عمارة ابنة حمزة بن ع بدالمطلب وأمها سلمى

بنت عميس كانت بمكة .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم علي بن أبي طالب رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال : علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهراني المشركين ؟ فلم ينة النبي صلى الله

عليه وسلم عن إخراجها ، فخرج بها ، فتكلم زيد بن حارثة وكان وصي حمزة ، وكان النبي

صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ، فقال : أنا أحق بها ، ابنة أخي ،

فلماسمع بذلك جعفر قال : الخالة والدة ، وأنا أحق بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت

عميس . وقال علي : ألا أراكم تختصمون ! هي ابنة عمي وأنا أخرجتها من بين أظهر

المشركين ، وليس لكم إليها سبب دوني ، وأنا أحق بها منكم . فقال النبي صلى الله عليه

وسلم : (أنا أحكم بينكم ، أما أنت يازيد فمولى الله ومولى رسول الله ، وأماأنت

ياجعفر فتشبه خلقي وخلقي ، وأنت ياجعفر أولى بها ، تحتك خالتها ولاتنكح المرأة

على خالتها ولا على عمتها) فقضى بها لجعفر .

قال الواقدي : فلما قضى بها لجعفر ـ قام جعفر (2) ـ فحجل حول رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، فقال : (ماهذا باجعفر ؟) فقال : يارسول الله كان النجاشي إذا أرضى

أحدا قام فحجل حوله ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : تزوجها فقال : (ابنة أخي من

* (هامش) * (1) فقال ورواية البخاري : وقال . (2) سقطت من أ . (*)

الرضاغة) . فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة بن أبي سلمة ، فكان النبي صلى

الله عليه وسلم يقول : (هل جزيت أبا سلمة) .

قلت : لانه ذكر الواقدي وغيره أنه هو الذي زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم

بأمه أم سلمة ، لانه كان أكبر من أخيه عمر بن أبي سلمة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ذي الحجة .

وتولى (1) المشركون تلك الحجة .

قال ابن هشام : وأنزل الله في هذه العمرة فيما حدثني أبوعبيدة قوله تعالى : (لقد

صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين

رؤسكم ومقصرين لاتخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا)

ـ يعني خيبر (2) ـ . فصل

ذكر البيهقي هاهنا سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم .

ثم ساق بسنده عن الواقدي : حدثني محمد بن عبدالله بن مسلم ، عن الزهري قال :

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرة القضية رجع في ذي الحجة من سنة سبع ،

فبعث ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين فارسا ، فخرج العين إلى قومه فحذرهم وأخبرهم

فجمعوا جمعا كثيرا وجاءهم ابن أبي العوجاء والقوم معدون ، فلما أن رآهم (3) أصحاب

رسول الله صلى لله عليه وسلم ورأوا جمعهم إلى الاسلام ، فرشقوهم بالنبل ولم

يسمعوا قولهم وقالوا : لا حاجة لنا إلى مادعوتهم إليه . فرموهم ساعة وجعلت الامداد

* (هامش) * (1) أ : وولى . (2) من ابن هشام .

(3) غير أ : رأوهم . (*)

تأتى حتى أحدقوابهم من كل جانب ، فقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم ،

وأصيب ابن أبي العوجاء بجراحات كثيرة ، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقى معه

من أصحابه في أول يوم من شهر صفر سنة ثمان .

فصل : قال الواقدي : في الحجة (1) من هذه السنة - يعني سنة سبع - رد رسول الله

صلى الله عليه وسلم ابنته زينب على زوجهاأبي العاص بن الربيع ، وقد قدمنا الكلام

على ذلك (2) ، وفيها قدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين ،

وقد أسلمتا في الطريق ، وغلام خصى .

قال الواقدي : وفيهااتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منبره درجتين ومقعده ،

قال : والثابت عندنا أنه عمل في سنة ثمان .

* (هامش) * (1) أ : في المحرم . (2) في الجزء الثاني . (*)

ـ 446 ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن بحولك وقوتك

سنة ثمان من الهجرة النبوية

فصل

في إسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة (1) رضى الله عنهم

وكان قدومهم في أوائل سنة ثمان على ماسيأتي

قد تقدم طرف من ذلك (2) فيما ذكره ابن إسحاق بعد مقتل أبي رافع اليهودي ،

وذلك في سنة خمس من الهجرة .

وإنما ذكره الحافظ البيهقي هاهنا بعد عمرة القضاء ، فروى من طريق الواقدي :

أنبأنا عبدالحميد بن جعفر ، عن أبيه ، قا ل عمرو بن العاص : كنت للاسلام مجانبا معاندا ،

حضرت بدرا مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أحدا فنجوت ، ثم حضرت

الخندق فنجوت .

قال : فقلت في نفسي : كم أوضع (3) ! والله ليظهرن محمد على قريش . فلحقت بمالي

بالرهط (4) ، وأقللت من الناس - أي من لقائهم - .

فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلح ، ورجعت

* (هامش) * (1) أ : وطلحة بن أبي طلحة وهو تحريف . (2) تقدم ذلك في هذاالجزء .

(3) أوضع : أدبر وأحارب . (4) الرهط : موضع في شعر هذيل . المراصد : 2 / 645 (*)

ـ 447 ـ

قريش إلى مكة . جعلت أقول : يدخل محمد قابلا مكة بأصحابه ، مامكة بمنزل ولا

الطائف ، ولاشئ خير من الخروج ، وأنا بعد ناء عن الاسلام ، وأرى لوأسلمت

قريش كلها لم أسلم .

فقدمت مكة وجمعت رجالا من قومي ، وكانوا يرون رأيي ويسمعون مني

ويقدمونني فيما نابهم ، فقلت لهم : كيف أنا فيكم ؟ قالوا : ذو رأينا ومدرهنا (1) في يمن

نقيبة (2) وبركة أمر . قال : قلت : تعلمون إني والله لارى أمر محمدا أمرا يعلو الامور

علوا منكرا ، وإني قد رأيت رأيا . قالوا : وماهو ؟ قلت : نلحق بالنجاشي فنكون

معه ، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشي ـ فإنا أن ـ نكون تحت يد النجاشي احب إلينا من

أن نكون تحت يد محمد ، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا .

قالوا : هذا الرأي . قال : قلت : فاجمعوا مانهديه له - وكان أحب مايهدي إليه من

أرضنا الادام - فجمعنا له (3) أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي ، فوالله إنا

لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه بكتاب

كتبه يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لاصحابي :

هذا عمرو بن أمية الضمري ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت

عنقه ، فإذا فعلت ذلك سرت قريش (4) وكنت قد أجزأت عنها حين (5) قتلت

رسول محمد .

فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبا بصديقي ، أهديت لي

من بلادك شيئا ! قال : قلت : نعم أيها الملك ، أهديت لك أدما كثيرا . ثم قدمته فأعجبه

وفرق منه شيئا ؟ بين بطارقته ، وأمر بسائره فأدخل في موضع وأمر أن يكتب ويحتفظ به .

* (هامش) * (1) أ : ذا رأى . والمدرة : المدافع . (2) المطبوعة : نفسه وهو تحريف

(3) غير أ : فحملنا أدما . (4) أ : سررت قريشا .

(5) المطبوعة : حتى . وهو تحريف . (*)

ـ 448ـ

فلما رأيت طيب نفسه قلت : أيها الملك إني قد رأيت رجلا خرج من عندك ،

وهورسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا ، فأعطنيه فأقتله . فغضب من

ذلك ورفع يده فضرب بها أنفي (1) ضربة ظننت أنه كسره ، فابتدر منخراي فجعلت

أتلقى الدم بثيابي ، فأصابني من الذل مالو انشقت بي الارض دخلت فيها

فرقامنه .

ثم قلت : أيها الملك لوظننت أنك تكره ماقلت ماسألتك . قال : فاستحيا وقال :

عمرو تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى ، والذي

كان يأتي عيسى لتقتله .

قال عمرو : فغير الله قلبي عما كنت عليه ، وقلت في نفسي : عرف هذا الحق

العرب والعجم ، وتخالف أنت ! ثم قلت : أتشهد أيها الملك بهذا ؟ قا ل : نعم أشهد به

عند الله ياعمرو ، فأطعني واتبعه ، فوالله إنه لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر

موسى على فرعون وجنوده .

قلت : أتبايعني له على الاسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعني على الاسلام ،

ثم دعا بطشت فغسل عني الدم وكساني ثيابا . وكانت ثيابي قد امتلات بالدم فألقيتها .

ثم خرجت على أصحابي فلما رأوا كسوة النجاشي سروا بذلك وقالوا : هل أدركت

من صاحبك ماأردت ؟ فقلت لهم : كرهت أن أكلمه في أول مرة وقلت أعود إليه .

فقالوا : الرأي مارأيت .

قال : ففارقهم وكأني أعمد إلى حاجة ، فعمدت إلى موضع السفن فأجد سفينة قد

شحنت تدفع ، قا ل : فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشعبة وخرجت من السفينة

ومعي نفقة ، فابتعت بعيرا وخرجت أريد المدينة حتى مررت على مر الظهران ، ثم

* (هامش) * (1) في الروايات الاخرى : أنفه . (*)

ـ 449 ـ

ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلا ،

وأحدهما داخل في الخيمة والآخر يمسك الراحلتين ، قال : فنظرت فإذا خالد بن الوليد ،

قال : قلت : أين تريد ؟ قال : محمدا ، دخل الناس في الاسلام فلم يبق أحد به طعم (5) ،

والله لو أقمت لاخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع في مغارتها .

قلت : وأنا والله قد أردت محمدا وأردت الاسلام . فخرج عثمان بن طلحة فرحب بي ،

فنزلنا جميعا في المنزل .

ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة ، فما أنسى قول رجل لقيناه ببئر أبي عتبة يصيح :

يارباح يارباح يارباح . فتفاءلنا بقوله وسرنا ، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول : قد أعطت مكة

المقادة بعد هذين . فظننت أنه يعنيني ويعني خالد بن الوليد ، وولى مدبرا إلى المسجد

سريعا ، فظننت أنه بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومنا ، فكان كما ظننت .

وأنخنا بالحرة ، فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نودي بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه ،

وإن لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا بإسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ، ثم

تقدم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدمت فوالله ماهو إلا أن جلست بين يديه فما أستطعت

أن أرفع طرفي حياء منه . قال : فبايعته على أن يغفر لي ماتقدم من دنبي ولم يحضرني

ماتأخر ، فقال : (إن الاسلام يجب ماكان قبله ، والهجرة تجب ماكان قبلها) .

قال : فوالله ماعدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد أحدا من

أصحابه في أمر حزبه منذ أسلمنا ، ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند

عمر بتلك الحالة ، وكان عمر على خالد كالعاتب .

قال عبدالحميد بن جعفر شيخ الواقدي : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن حبيب

* (هامش) * (1) الطعم : القدرة . (*)

فقال : أخبرني راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن مولاه حبيب ، عن عمرو

ابن العاص نحو ذلك .

قلت : كذلك رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد ، عن

مولاه حبيب ـ قال : ـ حدثني عمرو بن العاص من فيه ، فذكر ماتقدم في سنة خمس

بعد مقتل أبي رافع . وسياق الواقدي أبسط وأحسن .

قال الواقدي عن شيخه عبدالحميد : قلت ليزيد بن أبي حبيب : وقت لك متى

قدم عمرو وخالد ؟ قال : لا ، إلا أنه قال قبل الفتح . قلت : فإن أبي فأخبرني أن عمرا

وخالدا وعثمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان .

وفي صحيح مسلم مايشهد لسياق إسلامه وكيفية حسن صحبته لرسول الله صلى الله عليه

وسلم مدة حياته ، وكيف مات وهو يتأسف على ماكان منه في مدة مباشرته الامارة بعده

عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته رضى الله عنه .

طريق إسلام خالد بن الوليد

قال الواقدي : حدثني يحيى بن المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، قال

سمعت أبي يحدث عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله بي ماأراد من الخير قذف في قلبي

الاسلام وحضرني رشدي ، فقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه

وسلم ، فليس في مواطن أشهده إلا انصرف وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شئ ،

وأن محمدا سيظهر .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية خرجت في خيل من المشركين

فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بعسفان ، فقمت بإزائه وتعرضت له ، فصلى

بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نغير عليهم ثم لم يعزم لنا - وكانت فيه خيرة - فأطلع على

ـ 451ـ

مافي أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقعا

.....

- السيرة النبوية مجلد: 3 من ص 451 سطر 1 الى ص 460 سطر 23

مافي أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقعا

وقلت : الرجل ممنوع ، فاعتزلنا ، وعدل عن سنن (1) خيلنا وأخذ ذات اليمين .

فلما صالح قريشا بالحديبية ودافعته قريش بالرواح قلت في نفسي : أي شئ بقى ؟

أين أذهب ؟ إلى النجاشي ؟ فقد اتبع محمدا وأصحابه عنده آمنون ، فأخرج إلى هرقل

فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية ؟ فأقيم في عجم (2) ، فأقيم في داري بمن بقى ؟ فأنا

في ذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضية ـ فتغيبت ولم أشهد

دخوله ، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة

القضية (3) ـ فطلبني فلم يجدني فكتب إلي كتابا فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ! ومثل الاسلام

جهله أحد ؟ وقد سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك وقال : أين خالد ؟ فقلت :

يأتي الله به ، فقال : (مثله جهل الاسلام ؟ ولوكان جعل نكايته وحده مع المسلمين

كان خيرا له ، ولقدمناه على غيره) فاستدرك يا أخي ماقد فاتك ـ من ـ

مواطن صالحة .

قال : فلما جاءني كتابة نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام ، وسرني سؤال

رسول الله صلى الله عليه وسلم عني ، وأرى في النوم كأني في بلاد ضيقة مجدبة فخرجت

في بلاد خضراء واسعة ، فقلت : إن هذه لرؤيا . فلما أن قدمت المدينة قلت : لاذكرنها

لابي بكر ، فقال : مخرجك الذي هداك الله للاسلام ، والضيق الذي كنت فيه

من الشرك .

قال : فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : من أصاحب إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلقيت صفوان بن أمية فقلت : ياأبا وهب أما ترى

* (هامش) * (1) السنن : الجهة . (2) أ : مع عجم . (3) سقط من أ . (*)

مانحن فيه ؟ إنما نحن كأضراس ، وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا على محمد

واتبعناه فإن شرف محمد لنا شر ف ؟ فأبى أشد الاباء فقال : لو لم يبق غيري

ما اتبعته أبدا .

فافترقنا وقلت : هذا رجل قتل اخوه وأبوه ببدر . فلقيت عكرمة بن أبي جهل

فقلت له مثل ماقلت لصفوان بن أمية ، فقال لي مثل ماقال صفوان بن أمية . قلت :

فاكتم علي . قال : لاأذكره .

فخرجت لي منزلي فأمرت براحلتي فخرجت بها ، إلى أن لقيت عثمان بن طلحة

فقلت : إن هذا لي صديق ، فلو ذكرت له ماأرجو . ثم ذكرت من قتل من آبائه ،

فكرهت أن أذكره ، ثم قلت : وماعلي وأنا راحل من ساعتي . فذكرت له ماصار

الامرإليه ، فقلت : إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ،

وقلت له نحوا مما قلت لصاحبي ، فأسرع الاجابة ، وقلت له : إني غدوت اليوم وأنا أريد

أن أغدو ، وهذه راحلتي بفج مناخة . قال : فاتعدت أنا وهو يأجج ، إن سبقني أقام

وأن سبقته أقمت عليه .

قال : فأدلجنا سحرا فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج ، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدة

فنجد عمرو بن العاص بها ، قا ل : مرحبا بالقوم . فقلنا : وبك . فقال : إلى أين

مسيركم ؟ فقلنا : وماأخرجك ؟ فقال : وماأخرجكم ؟ قلنا : الدخول في الاسلام واتباع محمد

صلى الله عليه وسلم . قال : وذاك الذي أقدمني .

فاصطحبنا جميعا حتى دخلنا المدينة ، فأنخنا بظهرالحرة ركابنا فأخبرنا رسول الله صلى

الله عليه وسلم فسر بنا ، فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلقيني أخي : فقال أسرع ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبربك فسر

بقدومك وهو ينتظركم .

ـ 453ـ

فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال يتبسم إلي حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة

فرد علي السلام بوجه طلق ، فقلت : إني أشهد أن لاإله إلاالله وأنك رسول الله . فقال :

(تعال) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك

عقلا رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير) قلت : يارسول الله إني قد رأيت ماكنت

أشهد من تلك المواطن عليك معاندا للحق فادع الله أن يغفرها لي . فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : (الاسلام يجب ماكان قبله) قلت : يارسول الله على ذلك . قال :

(اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ماأوضع فيه من صد عن سبيل الله) .

قال خالد : وتقدم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وكان

قدومنا في صفر سنة ثمان ، قال : والله ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بي

أحدا من أصحابه فيما حزبه .

سرية شجاع بن وهب الاسدي إلى نفر من هوازن

قال الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة ، عن

عمر بن الحكم ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب في أربعة

وعشرين رجلا إلى جمع من هوازن ، وأمره أن يغير عليهم ، فخرج وكان يسير الليل

ويكمن النهار حتى جاءهم وهم غارون ، وقد أوعز إلى أصحابه ألا تمعنوا في الطلب ،

فأصابوا نعما كثيرا وشاء فاستاقوا ذلك حتى إذا قدموا المدينة فكانت سهامهم خمسة عشر

بعيرا كل رجل وزعم غيره أنهم أصابوا سبيا أيضا ، وأن الامير اصطفى عنهم جارية

وضئية ثم قدم أهلوهم مسلمين ، فشاور النبي صلى الله عليه وسلم أميرهم في ردهن إليهم ،

ففال : نعم فردوهن ، وخير الجارية التي عنده فاختارت المقام عنده .

وقد تكون هذه السرية هي المذكورة فيما رواه الشافعي عن مالك عن نافع عن

ـ 454 ـ

ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية قبل نجد فكان فيهم عبدالله بن

عمر ، قال فأصبنا إبلا كثيرا فبلغت سهامنا اثنى عشر بعيرا ونفلنا رسول لله (1) صلى

الله عليه وسلم بعيرا بعيرا . أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ، ورواه مسلم أيضا من حديث الليث ومن

حديث عبدالله كلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه .

وقا ل أبوداود : حدثنا هناد ، حدثنا عبدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع عن

ابن عمر قا ل : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى نجد فخرجت فيها فأصبنا

نعما كثيرا ، فنفلنا أميرنا بعيرا بعيرا لكل إنسان ، ثم قدمنا على رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقسم بيننا غنيمتنا ، فأصاب كل رجل منا أثنا عشر بعيرا بعد الخمس ، وما حاسبنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي أعطانا صاحبنا ولاعاب عليه ماصنع ، فكان

لكل منا ثلاثة عشر بعيرا بنفله .

سرية كعب بن عمير إلى بني قضاعة من أرض الشام .

قال الواقدي : حدثنا محمد بن عبدالله ـ عن (2) ـ الزهري ، قال : بعث رسول الله

صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلا حتى انتهوا إلى ذات

أطلاع من الشام ، فوجدوا جمعامن جمعهم كثيرا ، فدعوهم إلى الاسلام فلم يستجيبوا

لهم ورشقوهم بالنبل ، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوهم أشد

القتال حتى قتلوا ، فارتث (3) منهم رجل جريح في القتلى ، فلما أن برد عليه الليل تحامل

حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم بالبعثة إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر .

* (هامش) * (1) البخاري : ونفلنا بعيرا بعيرا . بالبناء للمجهول .

(2) من أ . (3) ارتث : جرح وبه رمق . (*